بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومضات في فهم الآيات(١٠)

الأجزاء الثلاثة الأخيرة

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

ملخص المقدمة

بني ومضات في فهم الآيات على ثمانية عشر من الأسس والمرتكزات المستمدة من القرآن العزيز وسُنّة الرسول ﷺ، لتكون أساسًا ومرتكزًا لفهم القرآن العزيز، والتمسك به، وإقامته في النفس، ودعوة النّاس له، تمهيدًا لإقامته في الأرض، ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس، ولمنع عقوباته تعالى عنهم، لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} ﴿٩٦﴾ وبيّن الله تعالى أنّ كل إنسان مسؤولًا مسؤولية تامة عن كل ما يصيبه من شُؤم بسبب عمله في قوله تعالى في سورة:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا}﴿١٣﴾ وبيّن تعالى طريق السعادة في الدنيا والآخرة باتباع هديه وأنّ الشقاء فيهما بالإعراض عن دينه في قوله تعالى في سورة طه حيث قال:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهذه الأسس والمرتكزات كما يلي: -

المرتكز الأوّل: الإيمان بالغيب

المرتكز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض وما فيهما.

المرتكز الثالث: الله الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثمّ هدى.

المرتكز الرابع: لله تعالى الخَلْق والأمر، ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه ومشيئته.

المرتكز الخامس: اختيار الرسل ومنحهم المعجزات وتعليمهم

المرتكز السادس: الأديان.

المرتكز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

المرتكز الثامن: أمّة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.

المرتكز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصرته.

المرتكز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.

المرتكز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

المرتكز الثاني عشر: التقوى والإحسان مفاتيح الخير كُله.

المرتكز الثالث عشر: الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين.

المرتكز الرابع عشر: النسب الإيماني هو نسب المؤمنين.

المرتكز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأول من هذه الأمّة.

المرتكز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.

المرتكز السابع عشر: وجوب دعوة النّاس للدين.

المرتكز الثامن عشر: أنّ الله تعالى مظهر الإسلام على كلِّ دين.

فؤاد محمود آل محمود

فهرس المحتوى

العنوان — الصفحة

- **ملخص المقدمة** ٢

الجزء الثامن والعشرون.. ١٢

سورة المجادلة ترتيبها (٥٨) آياتها (٢٢).. ١٣

- (١-٤) بيان حكم المظاهرة من الزوجة والأمر بإقامة أحكامه تعالى.. ١٣
- (٥-٦) الجزم بإذلال الله تعالى للمحاربين لدينه ورسوله ﷺ في الدنيا. ١٦
- (٧) التأكيد بأنّ علم الله تعالى مطلق لا حدّ له.. ١٧
- (٨) تحذير يهود من التناجي بالإثم.. ١٨
- (٩-١٠) النهي عن التناجي بالإثم والأمر بالتناجي بالبر والتقوى وبيان أنّ نجوى السوء من الشيطان.. ٢٢
- (١١) الأمر بتوقير أهل العلم وكبار السن وطاعة الرسول ﷺ.. ٢٤
- (١٢-١٣) الأمر بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ.. ٢٦
- (١٤-١٩) فضح سلوك بعض المنافقين وبيان عقوبتهم وتأكيد بأنهم حزب الشيطان.. ٢٩
- (٢٠-٢٢) الجزم بأنّ المحادين لله تعالى هم الأذلين والأمر بموالاة المؤمنين وتأكيد بأنهم حزب الله. ٣٢

سورة الحشر ترتيبها (٥٩) آياتها (٢٤).. ٣٦

- (١-٤) تسبيح السماوات والأرض وبيان أنّه تعالى هو الذي أخرج يهود بني النضير من حصونهم. ٣٦
- (٥-٧) الإذن بقطع نخل بني النضير وبيان الحكم العام في الفيء.. ٤١
- (٨-١٠) تخصيص فيء بني النضير للمهاجرين وتأكيد حب الأنصار وبيان صفات المؤمنين من بعدهم.. ٤٧
- (١١-١٧) بيان نقض المنافقون عهدهم مع بعضهم، وبيان أنّ خوفهم من المؤمنين أشد من الله تعالى. ٥١
- (١٨-٢١) الأمر بتقوى الله تعالى والتحذير من نسيان عهوده والاعتبار بسننه. ٥٦
- (٢٢-٢٤) بيان بعض أسمائه تعالى وصفاته وتأكيد أن السماوات والأرض تسبح له. ٦٠

سورة الممتحنة ترتيبها(٦٠) آياتها(١٣) ٦٥

- (١-٣) الأمر بعدم موالاة أعداء الدين وإن كانوا أقارب، وبيان حقيقتهم في السلم والحرب. ٦٥
- (٤-٧) الأمر باتخاذ إبراهيم (عس) أسوة وفي تعامله مع الكافرين.. ٦٨
- (٨-٩) بيان الحكم في غير المقاتلين من الكفّار والمقاتلين.. ٧٤
- (١٠-١١) بيان الحكم في المهاجرات المؤمنات إلى المدينة.. ٧٥
- (١٢-١٣) بيان شروط مبايعة المؤمنات والأمر بعدم موالاة من غضب الله تعالى عليهم.. ٧٨

سورة الصف ترتيبها(٦١) آياتها(١٤).. ٨٣

- (١-٤) تأكيد تسبيح السماوات والأرض والأمر بفعل ما يجب والاجتماع عليه. ٨٣
- (٥-٩) ضرب المثل لتكذيب بني إسرائيل وتأكيد إظهار الإسلام على كل دين.. ٨٨

- (١٠-١٣) الدلالة على التجارة الرابحة مع الله تعالى وجزائها........ ٩٣
- (١٤) ضرب المثل لنصره تعالى للمؤمنين........ ٩٥
سورة الجمعة ترتيبها(٦٢) آياتها(١١) ٩٧
- فضل يوم الجمعة وسننه وآدابه. ٩٧
- (١-٤) تسبيح السماوات والأرض وتأكيد بعثته تعالى لرسوله ﷺ للناس........ ١٠٢
- (٥-٨) تحذير المسلمين من التخلي عن حمل الرسالة كما فعل بني إسرائيل........ ١٠٦
- (٩-١١) وجوب حضور صلاة الجمعة والأمر بترك ما يلهي عنها........ ١١١
سورة المنافقون ترتيبها (٣٦) آياتها (١١) ١١٧
- (١-٤) فضح المنافقين وبيان أنّ إضلالهم بسبب نفاقهم. ١١٧
- (١١-١٨) نزول المصائب بإذنه تعالى، والأمر بالطاعة والتوكل عليه، والتحذير من فتنة الأزواج والأولاد، والحض على العفو........ ١٣٧
- سورة الطلاق ترتيبها(٦٥) آياتها(١٢) ١٤٤
- (١-٣) بيان بعض أحكام الطلاق وأنّ من يتقِ الله يجعل له مخرجا........ ١٤٤
- (٤-٥) بيان عدة النساء اليائسات من المحيض واللائي لم يحضن وأولات الأحمال........ ١٥١
- (٦-٨) الأمر بوقاية النفس والأهل من النار والتوبة للفوز في الآخرة........ ١٦٤
ومضات في فهم الآيات الجزء التاسع والعشرون ١٧٥
سورة الملك ترتيبها (٦٧) آياتها (٣٠) ١٧٦
- (١-٤) الأمر بتعظيم الله تعالى وتقديسه وتنزيهه وبالتدبر فيما خلق........ ١٧٦
- (٥-١٤) الإشارة إلى الابداع في خلق السماء وبيان جزاء الكفرين والمؤمنين. ١٨٦
- (١٥-١٨) الأمر بالنظر في الأرض والتحذير من عقوبته الدنيوية. ١٩٠
- (١٩-٢٢) الإشارة إلى إبداعه تعالى في خلق الطير وحوار المعرضين........ ١٩١
- (٢٣-٢٧) الإشارة إلى إبداع خلق الناس وتكذيب الكافرين وحسرتهم يوم الدين........ ١٩٣
- (٢٨-٣٠) حوار الكافرين وبيان أن لا نجاة لهم وأنّ الأمر كلّه بيده تعالى........ ١٩٥
سورة القلم ترتيبها (٦٨) آياتها (٥٢)........ ١٩٧
- (١-١٦) القسم بأنّه ﷺ ليس بمجنون وإنّه على خلق عظيم، والأمر بالإعراض عن الكافرين. ١٩٧
- (١٧-٣٣) تأكيد أنّ سُوء النيّة تستوجب العقوبة في الدنيا........ ٢٠٠
- (٣٤-٤٣) تأكيد عدم استواء المتقون والمجرمون. ٢٠٥
- (٤٤-٥٢) وعيد المكذّبين والأمر بعدم الاستعجال عليهم. ٢٠٧
سورة الحاقة ترتيبها (٦٩) آياتها (٥٢) ٢١١
- (١-١٢) الوعيد بالحاقّة وبيان السنن في المكذّبين وتذكير الناس بحملهم في الجارية........ ٢١١
- (١٣-٢٤) بيان بعض أهوال الحاقة وأحوال أهل اليمين........ ٢١٤

- (٢٥-٣٧) بيان أحوال أصحاب الشمال في الآخرة وسلوكهم في الدنيا........................ ٢١٥

- (٣٨-٥٢) القسم بأنّ القرآن تنزيل رب العالمين وإنه تذكرة للمتقين وحسرة على الكافرين.................. ٢١٧

سورة المعارج ترتيبها (٧٠) آياتها (٤٤).. ٢٢٠

- (١-١٨) تقرير حقيقة اليوم الآخر وبيان بعض أهواله وتمنيات المجرمين فيه ووعيدهم.................. ٢٢٠

- (٣٦-٤٤) ذهول الكافرين عند سماع القرآن وتكذيبهم والإمر بإمهالهم إلى يوم الدين.................. ٢٢٧

سورة نوح ترتيبها (٧١) آياتها (٢٨).. ٢٣١

- (١-٤) تأكيد إرسال نوح (عس) وبيان جانب من دعوته.................................. ٢٣١

- (٥-٢٠) دعوة نوح لقومه وبيانه جزاء الإيمان وإتقان الله تعالى لخلقه.......................... ٢٣٢

- (٢١-٢٨) تكذيب قوم نوح وبيانه عقوبتهم ودعائه على من كفر ولمن آمن...................... ٢٣٥

سورة الجن ترتيبها (٧٢) آياتها (٢٨).. ٢٣٨

- التعريف بالجن.. ٢٣٨

- (١-٧) استماع الجن لقراءته ﷺ وإيمانهم به.. ٢٣٨

- (٨-١٣) منع الجن من استراق السمع عند بعثته ﷺ وإيمانهم به............................ ٢٤١

- (١٤-١٩) بيان أنّ من الجن مسلم وكافر وأنّ المساجد جعلت لله تعالى........................ ٢٤٤

- (٢٠-٢٤) بيان واجب الرسل وأنهم لا يملكون للناس شيئًا.................................. ٢٤٦

- (٢٥-٢٨) تأكيد أنّ أمر الساعة بيده تعالى وهو الرقيب على خلقه.............................. ٢٤٧

سورة المزمل ترتيبها (٧٣) آياتها (٢٠).. ٢٤٩

- (١-٩) الأمر بقيام الليل، وتأكيد ثقل مسؤولية أداء واجبات الدين، والأمر بالتبتل له تعالى.............. ٢٤٩

- (١٠-١٤) الأمر بالصبر على الكافرين والتوكل على الله تعالى بإقامة سننه في المكذبين.................. ٢٥٣

- (١٥-١٩) التحذير من الكفر وضرب المثل بعقوبة فرعون.................................... ٢٥٤

- (٢٠) بيان أهمية قيام الليل والأمر بقراءة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار.............. ٢٥٦

سورة المدثر ترتيبها (٧٤) آياتها (٥٦).. ٢٦٠

- (١-١٠) الأمر بإنذار النّاس وبتعظيم الله تعالى والتطهر والصبر والتحذير من الآخرة.................. ٢٦٠

- (١١-٣٠) تَوَعُد المستكبرين في الدنيا وبيان شدة عذابهم في الآخرة............................ ٢٦٢

- (٣١) بيان الغاية من الإخبار عن عدد خزنة النار من الملائكة................................ ٢٦٥

- (٣٢-٣٧) القسم بأن جهنّم من الآيات العظائم الكُبر...................................... ٢٦٩

- (٣٨-٤٨) تأكيد أنّ كل نفس مرهونة بعملها إلّا أصحاب اليمين.............................. ٢٧١

- (٤٩-٥٦) التعجب من إعراض الكافرين وبيان أمانيهم وأنّ المشيئة التّامة لله تعالى.................. ٢٧٢

سورة القيامة ترتيبها (٧٥) آياتها (٤٠).. ٢٧٥

- (١-١٠) القسم بيوم القيامة وبالنّفس اللوّامة وتأكيد حشر النّاس وبيان بعض مجرياته.................. ٢٧٥

- (١١-١٩) تأكيد حشر الناس وحفظ القرآن. ٢٧٧
- (٢٠-٣٠) التوبيخ على تفضيل الدنيا والإشارة إلى أحوال النّاس والجزم بأنّ المساق له تعالى. ٢٧٩
- (٣١-٤٠) بيان حال المكذبين والجزم بأنّ الإنسان لن يترك سدى وأنّ الموتى لمبعثين. ٢٨١
سورة الإنسان ترتيبها (٧٦) مدنية آياتها (٣١) ٢٨٣
- (١-٤) الاستنكار على المعرضين عن الإيمان ووعيدهم. ٢٨٣
- (٥-٢٢) بيان جزاء الأبرار وأسباب نعيمهم. ٢٨٦
- (٢٣-٣١) تأكيد أنّ الوحي من الله، والأمر بالصبر وقيام الليل، وبيان نهج الكافرين وجعل القرآن تذكرة. ٢٨٩
سورة المرسلات ترتيبها (٧٧) آياتها (٥٠) ٢٩٣
- (١-١٥) القسم بوقوع يوم القيامة وبيان بعض أماراتها وتوعد المكذّبين. ٢٩٣
- (١٦-٢٨) التدليل على قيام الساعة بإهلاك الأوّلين وخلق الإنسان والأرض. ٢٩٥
- (٢٩-٤٠) بيان مآل الكافرين وذكر بعض أحوالهم في جهنّم. ٢٩٨
- (٤١-٥٠) الإشارة إلى جزاء المتقين وتأكيد أن الوعد والوعيد لا ينفع الكافرين. ٣٠٠
ومضات في فهم الآيات الجزء الثلاثون ٣٠٣
سورة النبأ ترتيبها (٧٨) آياتها (٤٠) ٣٠٤
- (١-٥) الاستنكار على المكذبين بيوم الدين وتأكيد وقوعه. ٣٠٤
- (٦-١٧) التدليل المادي والحسِّي على وقوع يوم الدين. ٣٠٥
- (١٨-٢٠) بيان بعض أهوال يوم الدين. ٣٠٩
- (٢١-٣٠) بيان مآل الكافرين يوم الدين وأحوالهم. ٣١٠
- (٣١-٤٠) بيان مآل المتقين وحسرة المكذّبين. ٣١١
سورة النازعات ترتيبها (٧٩) آياتها (٤٦) ٣١٤
- (١-٥) القسم بأصناف من الملائكة. ٣١٤
- (٦-١٤) التحذير من الراجفة الأولى والرادفة وبيان بعض أحوال المكذبين. ٣١٥
- (١٥-٢٦) ضرب المثل بعقوبة فرعون. ٣١٧
- (٢٧-٣٣) تأكيد أنّ خلق السماء والأرض أعظم من خلق الناس. ٣١٨
- (٣٤-٤١) الإشارة إلى بعض أحوال الناس يوم القيامة. ٣٢٠
- (٤٢-٤٦) تأكيد أنّ أجل الساعة بيده تعالى. ٣٢١
سورة عبس ترتيبها (٨٠) آياتها (٤٢) ٣٢٣
- (١-١٠) تأكيد أنّ سنن الله تعالى ماضية في النّاس لا يُستثنى منها أحد. ٣٢٣
- (١١-١٦) تأكيد أنّ القرآن تذكرة للنّاس. ٣٢٦
- (١٧-٢٣) الاستنكار على كفر الكافرين. ٣٢٧

- (٢٤-٣٢) بيان بعض نِعَم الله تعالى على الإنسان. ٣٢٩

- (٣٣-٤٢) بيان أحوال الكفرة والمؤمنين يوم الدين. ٣٣٠

سورة التكوير ترتيبها(٨١) آياتها(٢٩) ٣٣٢

- (١-١٤) بيان بعض صور تبديل الأرض غير الأرض والسماوات. ٣٣٢

- (١٥-٢٩) القسم بأنّ القرآن قول ملك كريم، وليس الذي أنزل عليه بمجنون، وأنّ القرآن ذكر للعالمين. ٣٣٦

سورة الانفطار ترتيبها (٨٢) آياتها (١٩) ٣٤١

- (١-٥) بيان بعض صور تبديل الأرض والسماوات وعلم كلّ نفس ما قدّمت وأخرت. ٣٤١

- (٦-١٢) الاستنكار على تكذيب المكذّبين وبيان بعض الاعجاز في خلق الله تعالى. ٣٤٢

- (١٣-١٩) وصف شيء من جزاء الأبرار والفجار وتأكيد أنّ الأمر لله تعالى. ٣٤٤

سورة المطففين ترتيبها (٨٣) آياتها (٣٦) ٣٤٦

- (١-٦) وعيد المطففين وبيان بعض صفاتهم. ٣٤٦

- (٧-١٧) بيان عقوبة المطففين يوم الدين. ٣٤٨

- (١٨-٢٨) بيان جزاء الأبرار. ٣٤٩

- (٢٩-٣٦) الإشارة إلى بعض سلوك المكذبين في الدنيا وجزاءهم في الآخرة. ٣٥٢

سورة الانشقاق ترتيبها (٨٤) آياتها (٢٥) ٣٥٤

- (١-٥) بيان صور من تبديل الأرض والسماوات. ٣٥٤

- (٦-١٥) تنبيه النّاس وبين حقيقة حياتهم ومئالهم. ٣٥٥

- (١٦-٢٥) القسم بمجازات الناس يوم القيامة. ٣٥٦

سورة البروج ترتيبها (٨٥) آياتها (٢٢) ٣٥٩

- (١-٩) القسم بقتل أصحاب الأخدود. ٣٦٢

- (١٠-١١) تأكيد عقوبة الكافرين وفلاح المؤمنين. ٣٦٥

- (١٢-٢٢) تأكيد إنّ بطش الله تعالى شديد، وضرب المثل بفرعون وثمود وأنّ القرآن مجيد. ٣٦٦

سورة الطارق ترتيبها (٨٦) آياتها (١٧) ٣٧١

- (١-١٠) القسم بأنّ كل نفس إلّا وعليها حافظ وإنه تعالى على رجعهم أحياء لقادر. ٣٧١

- (١١-١٧) القسم بأنّ القرآن قول فصل وليس بالهزل وأنّ كيد الله تعالى متين. ٣٧٤

سورة الأعلى ترتيبها (٨٧) آياتها (١٩) ٣٧٦

- (١-٨) الأمر بتسبيح الله تعالى والتذكير بشيء من خلقه وتيسير اليسرى لنبيه ﷺ. ٣٧٦

- (٩-١٩) الجزم بأنّ الأشقى لا تنفعه الذكرى وبيان أنّ هدي هذه السورة كان في صحف إبراهيم وموسى. ٣٧٩

سورة الغاشية ترتيبها (٨٨) آياتها (٢٦) ٣٨٢

- (١-١٦) التحذير من هول الغاشية وبيان أحوال الناس فيها. ٣٨٢

- (١٧-٢٦) التدليل ببعض آيات الله تعالى والأمر بتذكير الناس. ٣٨٤

سورة الفجر ترتيبها (٨٩) آياتها (٣٠).. ٣٩٣

- (١-١٤) القسم بمعاقبة المكذبين في الدنيا قبل الآخرة. ٣٩٣

- (١٥-٢٠) تأكيد أنّ الفقر والغنى امتحان وابتلاء والاستنكار على غفلة الإنسان. ٣٩٦

- (٢١-٣٠) الأمر بالاستعداد ليوم الحساب. ٣٩٨

سورة البلد ترتيبها (٩٠) آياتها (٢٠).. ٤٠١

- (١-١٠) القسم بحرمة مكّة المكرّمة وأنّ الإنسان خلق في كبد ونصب. ٤٠١

- (١١-٢٠) التحذير من يوم الحساب والأمر بالإحسان للنجاة من العقبة. ٤٠٤

سورة الشمس ترتيبها (٩١) آياتها (١٥).. ٤٠٧

- (١-١٥) القسم بأنّه أفلح من زكّى نفسه وخاب من دسّاها. ٤٠٧

سورة الليل ترتيبها (٩٢) آياتها (٢١).. ٤١٤

- (١-١١) القسم بأنّ اليسر للمتقين والعسر للمكذبين.. ٤١٤

- (١٢-٢١) تأكيد أنّ على الله تعالى الهدى وبيان مآل المصدقين والمكذّبين.............................. ٤١٧

سورة الضحى ترتيبها (٩٣) آياتها (١١).. ٤٢٠

- (١-١١) القسم بحب رسوله ﷺ والأمر بتبليغ رسالته. ٤٢٠

سورة الشرح ترتيبها (٩٤) آياتها (٨).. ٤٢٤

- (١-٨) بيان منّة الله تعالى على نبيّه ﷺ والأمر بالانقياد له تعالى. ٤٢٤

سورة التين ترتيبها (٩٥) آياتها (٨).. ٤٣١

- (١-٨) القسم بخلق الإنسان في أحسن تقويم.. ٤٣١

سورة العلق ترتيبها (٩٦) آياتها (١٩).. ٤٣٦

- (١-٥) الأمر بالتعلم والتدبر في كون الله تعالى الذي خلق. ٤٣٦

- (٦-٨) تقرير طغيان الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى إذا استغنى. ٤٣٩

- (٩ - ١٩) الإشارة إلى طغيان أبو جهل وبيان سنن الله تعالى فيه وأمثاله.............................. ٤٣٩

سورة القدر ترتيبها (٩٧) آياتها (٥).. ٤٤٣

- (١-٥) التأكيد بنزول القرآن في ليلة القدر. ٤٤٣

سورة البيّنة ترتيبها (٩٨) آياتها (٨).. ٤٤٧

- (١-٥) الاستنكار على كفر أهل الكتاب والمشركين من بعد ما جاءتهم البينة.............................. ٤٤٧

- (٦-٨) بيان جزاء الكافرين من أهل الكتاب والمشركين ومن آمن.. ٤٥٠

سورة الزلزلة ترتيبها (٩٩) آياتها (٨).. ٤٥٣

- (١-٨) بيان بعض أمارات الساعة ومعايير الحساب ليوم القيامة.. ٤٥٣

سورة العاديات ترتيبها(١٠٠) آياتها(١١) ٤٥٥

- (١-١١) القسم بالعاديات وتأكيد جحود المعرضين وأنه تعالى خبير بخلقه.............................. ٤٥٥

سورة القارعة ترتيبها (١٠١) آياتها (١١) ٤٥٨

- (١-١١) بيان بعض علامات القيامة، وبيان حال من ثقلت ومن خفت موازينه. ٤٥٨
سورة التكاثر ترتيبها (١٠٢) آياتها (٨) ٤٦٠
- (١-٨) التحذير من الانصراف إلى التكاثر والغفلة عن الدين وواجباته. ٤٦٠
سورة العصر ترتيبها (١٠٣) آياتها (٣) ٤٦٣
- (١-٣) القسم بأنّ المعرضين عن دينه لفي خسر إلّا الذين آمنوا. ٤٦٣
سورة الهمزة ترتيبها (١٠٤) آياتها (٩) ٤٦٦
- (١-٩) التحذير من الهمز واللمز. ٤٦٦
سورة الفيل ترتيبها (١٠٥) آياتها (٥) ٤٦٩
- (١-٥) بيان مكانة الكعبة عند الله تعالى. ٤٦٩
سورة قريش ترتيبها (١٠٦) آياتها (٤) ٤٧٤
- (١-٤) العتب على كفّار قريش. ٤٧٤
سورة الماعون ترتيبها (١٠٧) آياتها (٧) ٤٧٧
- (١-٧) بيان بعض صفات المنافقين المكذبين بالدين. ٤٧٧
سورة الكوثر ترتيبها (١٠٨) آياتها (٣) ٤٨٠
- (١-٣) بشارة الرسول ﷺ بالخير العظيم الكثير والأمر بشكر النعم. ٤٨٠
سورة الكافرون ترتيبها (١٠٩) آياتها (٦) ٤٨٦
- (١-٦) الأمر بعبادة الله تعالى والتبرؤ من عبادة الكافرين. ٤٨٦
سورة النصر ترتيبها (١١٠) آياتها (٣) ٤٨٩
- (١-٣) الإشارة إلى بشائر الانتصارات وفتح مكّة المكرمة واستتباب الأمر في جزيرة العرب. ٤٨٩
سورة المسد ترتيبها (١١١) آياتها (٥) ٤٩٦
- (١-٥) الجزم بخسران أبي لهب وامرأته في الدنيا والآخرة. ٤٩٦
سورة الإخلاص ترتيبها (١١٢) آياتها (٤) ٥٠٢
- (١-٤) الأمر بتوحيد الله تعالى وذكر بعص صفاته. ٥٠٢
سورة الفلق ترتيبها (١١٣) آياتها (٥) ٥٠٧
- (١-٥) الأمر بالتعوذ من شر ما خلق تعالى ومن الغواسق والنفاثات والحاسدين. ٥٠٧
سورة الناس ترتيبها (١١٤) آياتها (٦) ٥١٢
- (١-٦) الأمر بالتعوذ بربب الناس من شر الوسواس الخناس ومن الجنة والناس. ٥١٢

الجزء الثامن والعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المجادلة ترتيبها (٥٨) آياتها (٢٢)

(١–٤) بيان حكم المظاهرة من الزوجة والأمر بإقامة أحكامه تعالى.

قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ
تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا
هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ
وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا
قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ
فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ
حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

ورد في سبب نزول هذه الآيات في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل وغيره أنّ الآيات نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي، ونقضت له بطني وتفرق أهلي وكَبُرتْ

سِنِّي، ظاهر منِّي، فقال ﷺ: حَرُمتِ عليه، فقالت: أشكو إلى الله فقري وفاقتي وضعفي ووحدتي وصبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فقال ﷺ: ما أراك إلا حَرُمتِ عليه، فجعلت تقول: اللهم أشكو إليك، فأنزل الله(قد سمع الله).

فقال الله تعالى{ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ} خولة بنت ثعلبة{ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي} صنيع وحلف{ زَوۡجِهَا} أوس ابن الصامت بقوله لها: أنتِ عليّ كظهر أميّ، أي أنتِ عليّ حرام كما يحرم الزواج من أمِّي{ وَتَشۡتَكِيٓ} حالَها ومُصيبَتها بعد أن أفنت عمرها وذهب شبابها وغناها وأهلها، ثمّ خوفها على أبنائها من الضياع بعد بِرّها العريض بزوجها، فرفعت شكواها{ إِلَى ٱللَّهِ} تعالى ليحكم في أمرها{ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ} وفتياك لها التي وُرِثَت من الجاهلية، واعلموا{ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ} بكلّ شيء في السماوات والأرض ومن وما فيهما.

أمّا حُكم الله تعالى في{ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم} بقولهم أنتِ عليّ كظهر أمي فـ{ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ} بل أزواجهنّ، والحقُّ{ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ} وأنجبنهن{ وَإِنَّهُمۡ} بذلك القول{ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ} وإفكًا وزيفًا وكذبًا{ وَإِنَّ ٱللَّهَ} تعالى من رحمته{ لَعَفُوٌّ} لمن أخطأ ورجع إلى حكم الله تعالى، والله{ غَفُورٞ} لمن تاب واستغفر، ثمّ قال تعالى:{ وَ} أمّا{ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ} ويرجعون{ لِمَا

قَالُواْ} إن أرادو التكفير عن حلفهم{ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ} ليرجعا إلى الزوجية.

وبهذا الحكم خفف الله تعالى حكم الجاهلية وجعله يمين أو حلف، وأباح الرجوع إلى الزوجية بكفّارة، وذلك من رحمة الله تعالى بالمؤمنين لتستمر الحياة الزوجية ويترابط المجتمع، ورحمة أخرى أن جعل الله تعالى لذلك الحلف كفّارات للرقي بالمجتمع، فجعل أوّل الكفّارات تحرير الأرقاء للقضاء على العبودية التي وُرِثت من الجاهلية{ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ} وتؤمرون{ بِهِۦۚ} وبفعله{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ} من عمل{ خَبِيرٞ} فاحذروا مخالفته، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء{ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ} ولا يستطيع عتق رقبة{ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ} لا فاصل فِطرٍ بينهما{ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ} ويرجعا إلى الزوجية{ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ} لضعفه أو غيره{ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ} أو فقيرًا محتاجًا.

وفي هذه الكفّارة رحمة أخرى لمن لا يستطيع الصيام، فعليه سدّ حاجة المحتاجين ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته{ ذَٰلِكَ} من التخفيف للأحكام الموروثة، و{ لِتُؤۡمِنُواْ} ولتتيقنوا{ بِٱللَّهِ} تعالى{ وَرَسُولِهِۦۚ} ﷺ وعدلهما في ما يُشرّع لكم{ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ} تعالى التي حدّها لكم لنقض أحكام الجاهلية{ وَلِلۡكَٰفِرِينَ} الممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا والمخالفين لأحكام الله تعالى{ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة

لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

الخلاصة: -

خفف الله تعالى أحكام الجاهلية بجعل حكم المظاهرة حلف، وفتح باب تحرير الرقاب لتحرير البشرية من العبودية التي خلفتها الجاهلية، ولمن لا يجد تحرير رقبة لفقره عليه اطعام المساكين ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، أو الصيام.

(٥-٦) الجزم بإذلال الله تعالى للمحاربين لدينه ورسوله ﷺ في الدنيا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

يبيّن الله تعالى سننه وجزاءاته في الذين يحادّونه قائلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ} أي يحاربون دين{ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} ﷺ{ كُبِتُوا۟} ومعنى الكبت كما جاء في قواميس اللغة غُلبوا وخُذلوا وأُذلوا وأُخزوا وأُهلكوا ولُعنوا لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا}﴿٦٤﴾ وغلبوا{ كَمَا كُبِتَ} وذُلّ وخُذل وأُخزي ولُعن وأُهلك{ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ} من الأمم التي كفرت كقوم نوح وهود وصالح ومن كفر من قريش وغيرهم.

ثم قال تعالى:{ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ} وشرائع{ بَيِّنَٰتٖۚ} من الجزاءات والعقوبات في المحادِّين لدين الله تعالى ولرُسله ﷺ الدالّة على صدق ما حذّر منه الرّسل{ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ} مخزٍ مذلّ{ مُّهِينٞ} في الدنيا كما أهلك الأمم الكافرة، والآخرة يرونه ويذوقونه{ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ} يوم الحشر والنشور والحساب والجزاء{ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم } ويخبرهم ويطلعهم تعالى{ بِمَا عَمِلُوٓاْۚ} في الدنيا{ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ} وكتبه وضبطه عليهم، وحاضرًا في صحائفهم{ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ} تعالى{ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ} في السماوات والأرض{ شَهِيدٌ} لا يغيب عن علمه شيء.

الخلاصة: -

- تكفّل الله تعالى بسننه وجزاءاته كبت الطغاة المحادّين للدين في الدنيا.
- الوعيد للمحادِّين لدين الله تعالى بالعذاب المهين في الآخرة.

(٧) التأكيد بأنّ علم الله تعالى مطلق لا حدّ له.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧

يقول تعالى:{ أَلَمۡ تَرَ} وألم تعلم{ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ} جميع وكافّة{ مَا} يكون وما يحدث{ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} وما بينهما وما فيهما، فـ{ مَا يَكُونُ} في أي مكان وفي أي زمان وبأي لُغة{ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ} لا رابع لهم{ إِلَّا هُوَ} تعالى{ رَابِعُهُمۡ} شاهدًا عليهم{ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ} سبحانه وتعالى{ سَادِسُهُمۡ} ولا أقل{ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ } تعالى{ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ} في بر أو بحر أو سماء{ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم} ويخبرهم ويريهم ويطلعهم{ بِمَا عَمِلُواْ} وفعلوا وأجرموا{ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ} ويوم الدين{ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية.

الخلاصة: -

- علم الله تعالى مطلق لا حدّ له.

(٨) تحذير يهود من التناجي بالإثم.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨

ورد في كتاب لباب النُّزول للسيوطي" أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مرّ بهم

رجل من أصحابه ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله" ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى" وقال القرطبي:" والأرض حرب" أي المدينة في حال حرب بعد أن إذن الله تعالى للمسلمين بالقتال دفاعًا عن أنفسهم. واليهود كما قال الله تعالى عنهم:" أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا"، والله تعالى بيّن حقيقة وطبيعة نجواهم بقوله: ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، وتناجى القوم أي تَسّاروا، وسرّ بعضهم إلى بعض.

فحذّرهم الله تعالى قائلا:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى} المنافقين من يهود المدينة الذين كفروا بالرسول ﷺ و{ ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ} مع بعضهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، مقترفين أربعة آثام: -

الإثم الأوّل أنهم يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ.

الإثم الثاني{ ثُمَّ يَعُودُونَ} بعد النهي ويرجعون{ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} من نجوى السوء.

وحقيقة نجواهم كما قال تعالى:{ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلۡإِثۡمِ} والإثم هو الذنب الذي يَستحق العقوبة{ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ} أي التناجي ظلمًا بتكرار العداء والمخاصمة{ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ} ﷺ، أي يتناجون بالامتناع عن الانقياد للرسول ﷺ كما وردت المعاني في معاجم اللغة.

والإثم الثالث أنّهم{ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ} بقولهم السّام عليكم فيدعون على الرسول ﷺ بالموت والهلاك، وكان رسول الله ﷺ يرد عليهم قائلًا: وعليكم، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشة- رضي الله عنها- أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السّام عليك، قال: وعليكم، فقالت عائشة: السّام عليكم ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ"، ولما ورد في موطأ الإمام مالك عن عبد الله بن عمر (رلـع) أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن اليهود إذا سلَّم عليكم أحدهم فإنما يقول السّام عليكم، فقل عليك".

والإثم الرابع{ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ} ساخرين مستهزئين بالدين وبالرسول ﷺ:{ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ} أي عذابا ماديًا حسيًا، ويظنّون أنّ العذاب كذلك.

ولكن لله تعالى عذابات غير محسوسة في الدنيا وهو منع وصول الهدي والحقَّ إلى أفهامهم ليزدادوا ضلالًا، كقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}٧ والختم على القلوب والأسماع والأبصار من اللعن الشديد لقوله تعالى في

سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}﴿٢٣﴾ فصمّ الآذان وإعماء الأبصار عن الحق والهدى من اللعن الذي أصابهم.

واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا، وهو أشدّ من العقوبات الحسّية، كون أنّ العقوبة المادية تشعرهم بالذنب فقد يتوبوا، ولكنّ الله تعالى لا يريد توبتهم ولا هدايتهم لما يعلم من خساستهم كقوله تعالى في سورة مريم:{ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾.

وقصدُهم من قولهم:" لولا يعذّبنا الله بما نقول" أنّ الله تعالى توعد بالشقاء لمن أعرض عن ذكره تعالى كما قال في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ فيقولون لبعضهم أو في أنفسهم: ها نحن نتناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ولا يعذّبنا الله بما نقول، فليس الذي يأتي به محمد صِدق، ولا هو برسول.

وكيف يهديهم وقد كفروا وشهدوا أنّ الرسول حق وجائهم البينات كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ}﴿٨٨﴾.

فأولئك{ حَسۡبُهُمۡ} ويكفيهم عقوبة{ جَهَنَّمُ} نزلًا ومرصدًا بما مهّدوا لأنفسهم من آثام ليوم القيامة{ يَصۡلَوۡنَهَاۖ} ويكابدون حرّها ولظاها{ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} مصيرهم وقرارهم وما جنوا على أنفسهم.

الخلاصة: -

- التحذير بسنن الله تعالى من التناجي بالإثم.

(٩-١٠) النهي عن التناجي بالإثم والأمر بالتناجي بالبر والتقوى وبيان أنّ نجوى السوء من الشيطان.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾

يريد الله تعالى من هذه الأمة التي اختارها كخير أمّة أخرجت للنّاس في كلِّ شؤنها أن تقيم المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض بقيم وأخلاق هذا الدين العظيم، فنهاهم الله تعالى عن التناجي الذي يوقع الريبة والشكّ عند الآخرين عمومًا، ونهاهم عن التناجي بالإثم والعدوان ومعصية

الرسول ﷺ خصوصًا، لتكون هذه الأمة منارًا للبشرية، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك لما ورد في صحيح الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزُنه".

فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ} وأسرّ بعضكم لبعض حديثًا{ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ} الموجب للعقوبة{ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ} على الغير{ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ} ﷺ وما يشرّع لكم من أحكام كما يفعل يهود{ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ} وحسن الخلق.

والبر كلمة جامعة للخير كما قال تعالى في سورة البقرة{... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ}﴿١٧٧﴾.

ثمّ قال:{ وَٱتَّقُواْ} المعصية وغضب{ ٱللَّهَ} تعالى في كلّ شُؤنكم فهو{ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ} وترجعون فترون حصيلة أعمالكم{ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ} السوء{ مِنَ} وسوسة{ ٱلشَّيۡطَٰنِ} وغايته{ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ

بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ} ولا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه، ولا يقع الضّر على النّاس إلّا لذنب فعلوه أو ابتلاء أو تمحيص{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ} وليعتمد{ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} للتوفيق لفعل الخير والإعراض عن وسوسة الشيطان كقوله تعالى في سورة فاطر:{ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ}٦.

الخلاصة: -

- الأمر بالتناجي بالبر والتقوى وبيان أنّ نجوى السوء من الشيطان.

(١١) الأمر بتوقير أهل العلم وكبار السن وطاعة الرسول ﷺ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١

سبب نزول الآيات ما ورد في كتاب زاد المسير:" أنّها نزلت في نفر من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السابقة لم يجدوا موضعًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يَلِيَه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم جمعة جالس في صَفَّةٍ ضَيِّقَة في المسجد، جاء نفرٌ من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس ابن

شمّاس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأَوسَعوا لبعضهم وبقي بعضهم، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه من أقامهم الكراهة وتكلم المنافقون في ذلك وقالوا:" والله ما عدل"، فنزلت الآية".

ومن قِيَم المجتمع الأمثل رفع قدر أهل العلم والرأي وكبار السِّن في المجتمع وفي المجالس كما هو معمول به، فأقرّ الله تعالى فِعل رسوله ﷺ فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ} لأهل العلم والفضل وكبار السِّن{ فَٱفۡسَحُواْ} لهم{ يَفۡسَحِ} ويبسط ويوسع{ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ} كيف يشاء في الدنيا والآخرة{ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ} وقموا لغيركم{ فَٱنشُزُواْ} لـ{ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ} تعالى مكانة{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ} في الدنيا والآخرة{ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ} يرفعهم{ دَرَجَٰتٖۚ} من الكرامات في الدنيا، والمنازل والمقامات في الآخرة{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ} لا تخفى عليه خافية، وكذلك في المساجد خلف الإمام لما ورد في سنن أبي داوود وغيره عن أبي مسعود (رلـع) قال: قال رسول الله ﷺ:" لِيَلِيَنِّي منكم أولو الأحلامِ والنُّهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، ولما ورد في سنن والإمام الترمذي بلفظ والإمام أبي داوود عن ابن السرح (رلـع) عن النبي ﷺ قال:" من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا"، ولماورد

في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: " ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا".

الخلاصة: -

- الأمر بتوقير أهل العلم وكبار السن وإفساح المجالس لهم وطاعة الرسول ﷺ.

(١٢-١٣) الأمر بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

ورد في كتاب فتح القدير أنّ الآيات نزلت بسبب أن قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي ﷺ يناجونه، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النّجوى فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى لتقطعهم عن استخلائه، وقيل في كتاب غرائب التفسير أنّها نزلت عندما أكثر المسلمون المسائل على الرسول ﷺ ثمّ نسخ الحكم.

وقيل في كتاب فتح القدير أنّها نزلت" بسبب أن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي ﷺ ويقولون إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان ﷺ لا يمنع أحدا من مناجاته، وكان ذلك يشق على المسلمين".

فبتلك الآيات كفّ الله تعالى المنافقين عن مناجاة الرسول ﷺ كونهم يكرهون الصدقة على فقراء المسلمين، ومنع المسلمين من كثرة المناجاة للرسول ﷺ، وأزال سوء ظن بعض المسلمين ببعضهم ليتفرّغ الرسول ﷺ لتبليغ رسالة الله تعالى، وإقامة الدين في الأرض من عقيدة وعبادات وأخلاق وأحكام المعاملات حتى يكون الدين كلّه لله لتحتكم إليه البشرية، وقد أشار الله تعالى أنّ تكاليف الدين شاقّة تحتاج إلى تفرّغ وبذل النفس والمال كما قال تعالى في سورة المزمل:{ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا}﴿٥﴾ وبحاجة إلى جهد كبير.

ولذلك قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ} أي إذا أردتم أن تسرُّوا له حديثًا أو مسألة{ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ} أي قبل مناجاتكم{ صَدَقَةٗۚ} للفقراء أو المحتاجين ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، ولتمحيص وامتحان المسلمين، وكف كثرة مناجاة المنافقين لرسول ﷺ{ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ} في الدنيا والآخرة{ وَأَطۡهَرُۚ} لقلوبكم، ثمّ عذر المعسرين فقال:{ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ} لفقركم{ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ} لا يكلفكم ما يشق عليكم.

ثمّ قال تعالى:{ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ} ووجلت قلوبكم{ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ} وقبل الله تعالى عذركم{ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ} وعفا عنكم{ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} المفروضة والنوافل المسنونة{ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} للأصناف المذكورة في قوله تعالى في سورة التوبة:{ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ} لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض بسد حاجة المحتاجين ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، وليستتب الأمن في المجتمع وتزول أسباب الجريمة{ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}﴿٦٠﴾ فيما يقضي ويشرّع، ثمّ قال تعالى:{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ} فكلّ ما يشّرع لكم{ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ } ولا تخفى عليه خافية.

الخلاصة: –

- الأمر بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ لسد حاجة المحتاجين، ومنع المنافقين وغيرهم من كثرة مناجاته، والأمر التمسك بهدي الله تعالى.

(١٤-١٩) فضح سلوك بعض المنافقين وبيان عقوبتهم وتأكيد بأنهم حزب الشيطان.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾

ورد في كتاب زاد المسير عن السدي ومقاتل أنّ الآيات نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوما وكان أزرق فقال له رسول الله ﷺ: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: فعلت، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات.

وروى الحاكم أبو عبدالله في صحيحه من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين

فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله واعتذروا إليه فأنزل الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الآية.

فاستنكر الله تعالى على المنافق عبدالله بن نبتل وأصحابه قائلا:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا} أي اتخذوهم إخوة وأحباء ونصراء ومؤيدين رغم أنّ الله تعالى{ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم} والمغضوب عليهم هم اليهود الذي ضربت عليهم الذلّة والمسكنة بكفرهم كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ}﴿١١٢﴾ والمنافقون{ مَّا هُم مِّنكُمۡ} أي ليسوا بمسلمين{ وَلَا مِنۡهُمۡ} أي ليسوا بيهود{ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ} بأنهم لم يسبوا رسول الله ﷺ{ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} أنّهم كاذبون{ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ} في الدنيا بسننه وجزاءاته المعلومة في كتاب الله تعالى في المنافقين، وكذلك في الآخرة{ إِنَّهُمۡ سَآءَ} وخبث{ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}.

وحيث أنّ المنافقين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وهم من أهل الثراء والأولاد فهم يراعون مصالحهم الدنيوية، فـ{ ٱتَّخَذُوٓاْ} الرسول ﷺ

وأصحابه من المهاجرين والأنصار أعداء لعلمهم أنّ المهاجرين كانوا مطهدين في مكّة لثلاثة عشر عامًا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولجئوا إلى المدينة المنورة حيث الأنصار من الأوس والخزرج الذين أنهكهم الاقتتال لأمد بعيد، واليهود أهل غنى ومنعة وأموال وسلاح وحصون محصّنة، فآثروهم على من آمنوا، وأعرضوا عن الحق الذي جاء من عند الله، فأنسهم الله تعالى سننه وجزاءاته التي يمضيها في النّاس بحسب أعمالهم وما كسبت قلوبهم.

ومن سننه تعالى فيهم أن يزيد النفاق الذي في قلوبهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ}﴿١٠﴾ بل وقد يعذّبهم الله في الدنيا مرّتين كما قال تعالى في سورة التوبة:{ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ}﴿١٠١﴾.

والمنافقون اتخذوا{ أَيۡمَٰنَهُمۡ} وحلفهم كذبًا{ جُنَّةً} وسترًا ووقاية لنفاقهم وخيانتهم، لتستر حقيقة ما في قلوبهم{ فَصَدُّواْ} النّاس{ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} ودينه{ فَلَهُمۡ} في الدنيا بسنن الله تعالى{ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ومخزٍ ومذل و{ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ} ولن تدفع عنهم { أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ} ويوم القيامة{ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ} وأوليائها ونُزلائها و{ هُمۡ فِيهَا

خَٰلِدُونَ} أبدًا إلّا أن يتوبوا، فيذوقون ذلك{ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا} وزمرًا{ فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ} سبحانه وتعالى كذبًا{ كَمَا} كانوا{ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ} في الدنيا{ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ} من الهدى والحق{ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ} حقًّا، ولقد{ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ} في الدنيا تصديقًا لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ}(٣٦) جزاء نفاقهم{ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ} ودينه وهديه فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ} وجماعته وزمرته، مؤكدا تعالى قائلًا:{ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} في الدنيا والآخرة وفي الدرك الأسفل من النّار في الأذلّين، ولن تجد لهم نصيرًا.

الخلاصة: -

- فضح سلوك المنافقين وبيان عقوبتهم، وتأكيد أنهم حزب الشيطان، ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا يوم القيامة.

(٢٠-٢٢) الجزم بأنّ المحادين لله تعالى هم الأذلين والأمر بموالاة المؤمنين وتأكيد بأنهم حزب الله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١) لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ
عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ
أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢

يبيّن الله تعالى سننه وجزاءاته في المحاربين لدينه قائلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ} ويعادون ويحاربون دين{ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ} كالكافرين والمنافقين وأمثالهم{ أُوْلَٰٓئِكَ فِي} ومع جموع{ ٱلۡأَذَلِّينَ} في الدنيا والآخرة، والمحادّون لله ورسوله هم الممتنعون عن الإيمان جحودًا وعنادًا وعصيانًا واستكبارًا، فبنهجهم اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة التي يمنحها الله تعالى لمن آمن كما قال تعالى في سورة البقرة:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ}١٧٥ وبنهجهم منعوا عن أنفسهم بركات السماء والأرض كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}٩٦ واستحقوا لعنة الله تعالى في الدنيا لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا}٦٥.

واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، ويكون لهم ولأمثالهم غير محسوس كالختم على القلوب والأسماع والجعل على الأبصار غشاوة

لكي لا يصل الدين والهدى والحق إلى خواطرهم، وهذه العقوبة أدهى وأمر من العقوبة الحسّية، لكي لا تشعرهم بخطيئتهم فيتوبوا ويستغفروا فجزائهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}٧ إلّا أن يتوبوا، وهذا من اللعن الشديد، أمّا اللعن الأقل فصم الآذان وإعماء الأبصار عن هدي الله تعالى لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}٢٣ ثمّ يطردهم الله تعالى من رحمته يوم القيامة ليخلدوا في جهنّم.

ومن سننه تعالى فيهم في الدنيا أن{ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ} بالمؤمنين الصادقين الصالحين كما قال تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}٥٥ فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ} لا يغلب{ عَزِيزٌ} غالب في جميع أسمائه وصفاته.

ثمّ عرّف الله تعالى بعض صفات المؤمنين فقال:{ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ} حقًا{ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ} ويوالون ويحبون ويناصرون{ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} أبدًا، حتى{ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ} فإن استمسكوا بذلك فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ} الذين{ كَتَبَ} وطبع ورسّخ{ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ} فلا يخرج منها ولا يدخلها كفر{ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ} ومعونة ونصر وعمق إيمان ويقين وبجبريل (عس) بأمر{ مِّنۡهُۖ} تعالى{ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ} أبدًا، فهم الذين{ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ} في الدنيا والآخرة{ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ} فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ} وجماعته وزمرته{ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} في الدنيا والآخرة.

فموالاة المسلم واجبة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين لقوله تعالى في سورة المائدة:{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ}﴿٥٦﴾.

الخلاصة: -

- التأكيد بأنّ المحادين لله تعالى هم الأذلين في الدنيا والآخرة، والأمر بموالاة المؤمنين فهم حزب الله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحشر ترتيبها (٥٩) آياتها (٢٤)

(١-٤) تسبيح السماوات والأرض وبيان أنّه تعالى هو الذي أخرج يهود بني النضير من حصونهم.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ
أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ
يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ
لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤

بيّن الله تعالى قائلا:{ سَبَّحَ لِلَّهِ} أي نزه وقدّس، والتنزيه هو التطهير من كل ما لا يليق بالله تعالى من الشرك وغيره، والتقديس هو الصلاة والتعظيم والتكبير كما وردت المعاني في المعاجم، فسبح له تعالى كل{ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} من ملائكة ودواب وجبال ونبات وسحاب

وهواء وجمادات كما قال تعالى في سورة الإسراء:{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا}﴿٤٤﴾.

ثم قال تعالى:{ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} ذو الغلبة في كل اسم من أسمائه وصفة من صفاته والذي ليس كمثله شيء، والمنزه عن كل نقص، والغني عن خلقه، والغالب على أمره ومراده، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء{ ٱلۡحَكِيمُ} في ما يقضي ويمضي ويشرّع، ذو الحكمة البالغة، والحَكم العدل الرشيد، الفعّال لما يريد، و{ هُوَ} سبحانه{ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} بمحمد ﷺ{ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ} من بني النضير{ مِن دِيَٰرِهِمۡ} وبيوتهم وقراهم وحصونهم المحصّنة{ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ} أي لبداية الحشر الأول لليهود في الشام، والذي قضاه الله تعالى على بني إسرائيل، وكان ذلك الحشر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رلع) بوصيّة من رسول الله ﷺ.

فبني النضير الذين أجلوا من المدينة المنورة بعد أحد لم يتعضوا بإجلاء الرسول ﷺ لبني قينقاع بعد غزوة بدر الكبرى حيث وقف ﷺ بسوقهم فوعظهم وذكّرهم ما يعرفون من أمره في كتابهم وحذّرهم ما أصاب

قريشًا من البطشة، فأساؤا الرد وقالوا: لا يغرنّك أنّك لقيت قوما لا يعرفون الحرب فأصبت منهم، والله لإن جربتنا لتعلمنّ أنّا نحن النّاس، فحاصرهم الرسول ﷺ وأجلاهم إلى خيبر كما ورد في كتاب ابن خلدون وغيره.

ومن أهم أسباب إقامة الله تعالى سننه في يهود الجزيرة العربية: -

- نقضهم العهد الذي أخذه الله عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره إذا بعث.
- كفرهم بمحمد ﷺ عنادًا وعصيانًا، والله تعالى لا يقبل أبعاض إيمان فيؤمنوا بالله ويكفروا برسوله ﷺ.
- مشاقتهم ومحاربتهم دين الله تعالى ورسوله ﷺ مع المشركين.

ثمّ قال تعالى:{ مَا ظَنَنتُمۡ} معشر المؤمنين{ أَن يَخۡرُجُواْۖ} من حصونهم المنيعة{ وَظَنُّوٓاْ} ظنًا سيئًا بالله تعالى{ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ} قضاء {ٱللَّهِ} تعالى وقدره، وظنوا أنّ الله تعالى لا يأمر رسوله ﷺ بقتالهم وإجلائهم كما ورد في كتاب زاد المسير{ فَأَتَىٰهُمُ} وداهمهم{ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ} ولم يظنّوا{ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ} بقوّة، فذُحروا وأجلوا من المدينة المنورة، وأصبحوا من شدّة ذلك الرعب{ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ} بعد أن رفض رسول

الله ﷺ الصلح معهم ورضي جلائهم إلى خيبر، واشترط عليهم أن تحمل كل ثلاث بيوت ما شاؤوا معهم بما لا يزيد عن حمل بعير واحد، فأصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم غيظًا لكي لا يستفيد المسلمين من شيء بعدهم، فخرّبوا ما عمّروا سنين طويلة بأيديهم وبكفرهم وعنادهم وعصيانهم{ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ} معشر المؤمنين بما حلّ بهم، فلا تشاقّوا الله ورسوله و{ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ} والإدراك والفطنة، فسننه تعالى لا تتخلّف عن أحد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

وقد أتمّ الله تعالى كلمته ووعده لرسوله ﷺ وللمؤمنين كما قال تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ ولن يخلف الله تعالى وعده ما أقاموا الدين في الأرض حتى يكون الدين كلّه لله لتحتكم إليه البشرية كما قال تعالى في سورة التوبة وسورة الصّف:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}﴿٩﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ} تعالى وأوجب{ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ} من المدينة المنورة إمهالا منه تعالى لعلهم يتوبون أو يرجعون{ لَعَذَّبَهُمۡ} في حصونهم{ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ} كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٥٦﴾ وخذلهم عبدالله بن أبي بن سلول الذي وعدهم بألف رجل، وحلّت عليهم لعنة الله تعالى في الدنيا كما قال تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ}﴿٧٨﴾ على شرائع الله تعالى ومحارمه{ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ} جزاء كفرهم وعصيانهم وعنادهم فـ{ ذَٰلِكَ} أي العذابان{ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ}

وعادوا{ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ} وتآمروا على قتله{ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ} تعالى ويعاديه في كل زمان ومكان{ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}﴿٤﴾.

الخلاصة: -

تسبيح السماوات والأرض وبيان أنّه تعالى هو الذي أخرج يهود بني النضير من حصونهم بقذف الرعب في قلوبهم، وأمر المؤمنين بالاعتبار والحذر من مخالفته تعالى، فسننه قائمة لا يستثنى منها أحد.

(٥-٧) الإذن بقطع نخل بني النضير وبيان الحكم العام في الفيء.

مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾

إنّ ما يعين على فهم هذه الآيات معرفة التســـلســـل الزمني حتى غزوة بني النضير، فبعد أن أذن الله تعالى للمسلمين في المدينة المنورة بالقتال في قوله تعالى في سـورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ}﴿٣٩﴾ كانت غزوة بدر أوّل غزوات الرسـول ﷺ والتي تقع على بعد مائة وخمسون(١٥٠) كيلومتر غرب المدينة المنورة، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر(٣١٣).

وكان نصيب المقاتلين أربع أخماس الغنيمة، وخمسها لله وللرسول ﷺ يقسّمها على المذكورين في قوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ...}﴿٤١﴾ وكانت الغنيمة عتاد حرب وديات الأسرى، ثمّ كانت غزوة بني قينقاع الذين أساؤوا الرد على رسول الله ﷺ، فحاصرهم الرسول ﷺ واستسلموا دون قتال، فأجلاهم إلى خيبر، فلربما ظن بعض المسلمين أن نصيبهم من الفيء يساوي نصيبهم من الغنيمة، فبادروا بطلب تقسيم الفيء، والتي كانت عتاد حرب وأرض وحصون وبيوت بني قينقاع، والتي نزل فيها حكم الفيء العام كما قال تعالى:{ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ...}۝٧ والتي لم يكن للمجاهدين نصيب منها، لاستسلام بني قينقاع وعدم وقوع قتال، إلّا المساكين منهم، ثمّ كانت غزوة أحد والتي لم يكن فيها غنيمة، ثمّ كانت غزوة بني النضير والتي خصّ الله تعالى فيئها للمهاجرين.

وفي غزوة بني النضير رخصّ الرسول ﷺ قطع بعض نخيلهم، فاحتجّ يهود أنّ هذا من الفساد في الأرض فقال تعالى:{ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ} أي نخل بني النضير{ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا} دون قطع{ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ} بني النضير{ ٱلۡفَٰسِقِينَ} لإلقاء الرعب في قلوبهم وبيان أن حصارهم حصار حرب.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَآ أَفَآءَ} وبسط وأنعم{ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ} دون قتال{ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ} وما أسرعتم{ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ وَلَا رِكَابٍ} كالإبل والبغال والحمير كانت سببًا في تعجيل استسلام بني النضير{ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ} وجنوده من ملائكة وجن وإنس وريح وصواعق وبراكين وزلازل ورعب وبأس وجراد وقمّل وضفادع وبكتريا وجراثيم وفيروسات، وما يعلم جنود ربك إلّا هو، فيسلط من رسله ما{ عَلَىٰ مَن

يَشَآءُۚ} من النّاس، وليس لأحد قدره أو شيء من قدرة على نفع أو ضرّ غير الله تعالى{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ} فعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} القدرة التي لا يعترها خلل.

ثمّ بيّن الله تعالى الحكم العام للفيء فقال:{ مَّآ أَفَآءَ} ومنح وأغنم وأفاض{ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ} عامّة من غيمة{ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} يقسّمها ﷺ في المذكورين{ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ} من نساء وأطفال وضعفاء أو عاجزين عن كسب أرزاقهم، أمّا المجاهدين من قرباه ﷺ فلهم مثل ما لغيرهم من المجاهدين، ثمّ قال تعالى:{ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ} فغاية الإسلام إقامة المجتمع الأمثل في الأرض بالعناية بالضعفاء في المجتمع، فشرع لهم من الفيء والغنيمة والزكاة والصدقات والأضحية والكفّارات، ليعفّهم ولرفع شأنهم وكفّ المجتمع من أي أذى قد يصدر منهم بسبب الحاجة، وبتلك الشرائع والأحكام أصبحت المجتمعات المسلمة رائدة في استتباب الأمن أين ما تواجدوا على مستوى العالم، ثمّ علل الله تعالى الغاية من هذه القسمة فقال:{ كَيۡ لَا يَكُونَ} الغنيمة والمال والثراء{ دُولَةَۢ} تتداول{ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ} ولكن ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ} من شرائع وأحكام{ فَخُذُوهُ} واعملوا به{ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ} واجتنبوا، وأكّد رسول الله ﷺ ذلك الحكم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:{ دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم} ومن الآية والحديث يتبيّن أنّ ما لم يفعله رسول الله ﷺ لا يشمله النهي ولا الحرمة، ولكن يدور الحكم فيه مع الأحكام الخمسة التي يفتي بها علماء الفقة من وجوب وجواز وإباحة وكراهية وحرمة، ولقد أجمع الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- جواز ما لم يفعله رسول الله ﷺ لما ورد في صحيح الأمام البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ (رلع) قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ

عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ"، والأدله على ذلك كثيرة كجمع القرآن الكريم بين دفّتين، وكل ما يتعلّق بإقامة الدين في الأرض، كالأمور التي أنشئها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رلع) في إدارة الدولة كوضع دواوين للجند وتأسيس بريد خاص للاتصال بالجيوش، ومنع كبار الصحابة من السفر للشورى والتشريع، ولما يستجد من قضاء تحتاجها الدولة.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ} وعقوبته وغضبه فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ} عظيم القوى و{ ٱلۡعِقَابِ} وسننه تعالى قائمة لا تتخلف عن أحد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ} ١٢٤.

الخلاصة: -

الإذن بقطع نخل بني النضـــير، وبيان الحكم العام في الفيء، والأمر بطاعة الرسول وبالتقوى.

(٨–١٠) تخصيص فيء بني النضير للمهاجرين وتأكيد حب الأنصار وبيان صفات المؤمنين من بعدهم.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

بعد أن بيّن الله تعالى الحكم العام في تقسيم الفيء، خصّ فيء بني النضير للمهاجرين وعلله فقال:{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ} بغير حق إلّا أن يقولوا ربنا الله، وافتقروا بهجرتهم وصبروا وصابروا على أذى المشركين ثلاثة عشر عامًا، وهم{ يَبْتَغُونَ} بذلك{ فَضْلًا} ورفعة وزيادة أجرٍ{ مِّنَ ٱللَّهِ} تعالى لا من أحد سواه{ وَرِضْوَٰنًا} خالصًا يبتغونه من الله لا سخط فيه{ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ} في كل موطن لا يُثنيهم شيئًا عن مقاصدهم التي هاجروا من أجلها ، ولا

يعتذرون عن جهاد ولا يتخلّفون فـ{ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ} في إيمانهم وهجرتهم ونصرهم وصبرهم، فمن ادعى أنّهم ارتدوا عن الدين فقد كذّب الله تعالى، وهو الكافر المرتد لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:" أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما".

والغاية من تخصيص فيء بني النضير للمهاجرين:

- إغنائهم جزاء صبرهم وصدق إيمانهم وتضحيتهم بأموالهم وديارهم.
- إنهاء الأخوّة بسبب الهجرة.
- إثبات أخوّة الدين لقوله تعالى في سورة الحجرات:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}﴿١٠﴾.
- وإثبات أخوّة النسب لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا}﴿٦﴾.

ثمّ قال تعالى عن الأنصار:{ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو} ونزلوا{ ٱلدَّارَ} أي المدينة المنورة{ وَٱلْإِيمَـٰنَ} أي ولتزموا الإيمان، وجعلوا قلوبهم منزلًا وملاذًا للإيمان وللذين{ مِن قَبْلِهِمْ} من المهاجرين، وهم{ يُحِبُّونَ} ويودّون{ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} من المهاجرين{ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً} حتى{ مِّمَّآ أُوتُواْ}

أي طابت أنفسهم بما أوتي المهاجرين من فيء بني النضير{ وَيُؤۡثِرُونَ} أي ويفضلونهم ويخصّونهم بالعطاء{ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ} وعلى أهليهم{ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ} وحاجة ومسألة{ وَمَن يُوقَ} ويحاشى ويجنّب من الله تعالى{ شُحَّ} وبخل{ نَفۡسِهِۦ} من المسلمين كالأنصار{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى عن المهاجرين والأنصار أنّهم هم المؤمنون حقًّا في سورة الأنفال في قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ} ٧٥

ورضي الله تعالى عن المهاجرين والأنصار في الدنيا والآخرة ورضوا عنه وهم خالدون أبدا في الجنّة لقوله تعالى فيسورة التوبة:{ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} ١٠٠.

وتاب الله تعالى عليهم وقبل توبتهم وغفر لهم في قوله تعالى في سورة التوبة:{ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ

فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}﴿١١٧﴾.

وبيّن رسول الله ﷺ أنّ من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغضهم فهو منافق يبغضه الله لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن البراء بن عازب (رلع) قال سمعت النبيّ ﷺ، أو قال قال النبيّ ﷺ:" الأنصار، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله".

ثمّ يقول الله تعالى عن المؤمنين الذين يأتون من بعدهم{ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ} من المؤمنين{ يَقُولُونَ} ويدعون الله تعالى قائلين:{ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ} على مدى الزمان{ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا} ولا حقدًا ولا حسدًا ولا بغضًا{ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ} إلى قيام الساعة{ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}.

وقد احتج العلماء في هذه الآية على أن منهج أهل السنة هو الحب لجميع الصحابة رضي الله عنهم، لأن الله أنزل في كتابه: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا)، مع ما سبق في علمه سبحانه أن يقع بينهم ما يقع، فسلِمت قلوب أهل السنة من ذلك، ومَرِضت قلوبُ آخَرين.

وقد ذكر السيوطي في تفسيره الدر المنثور: أن ابن عمر سمع رجلًا نال من عثمان فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ(والَّذين تبوؤوا الدَّار والإيمان) ثمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَار أفأنت مِنْهُم قَالَ: لَا . ثم قرأ: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)، قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: أرجوا أن أكون منهم، قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

الخلاصة: -

تخصيص فيء بني النضير للمهاجرين، وتأكيد حب الأنصار لهم، وإثبات أخوّة الدين والنسب، وإثبات فضل المهاجرين على الأنصار، ووجوب محبة المسلمين لمن سبقهم بالإيمان عامّة وللمهاجرين والأنصار خاصّة.

(١١-١٧) بيان نقض المنافقون عهدهم مع بعضهم، وبيان أنّ خوفهم من المؤمنين أشد من الله تعالى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ

وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا
يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ
تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ
قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧

ورد في كتاب فتح القدير عن ابن عبّاس (رلع) أنّ سبب نزول الآيات أنّ رهطًا من بني عوف بن الحارث، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعة بن مالك، وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة(أي إلّا السلاح) ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته

فيضعه على ظهر بعير فينطلق به فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

يفضح الله تعالى كذب يهود والمنافقين على بعضهم وعدم الوفاء لهم فقال:{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى} صنيع{ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ} كعبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعة بن مالك، وسويد وداعس من بني عوف بن الحارث{ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ} اليهود{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} بمحمد ﷺ وهم{ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ} من دياركم{ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ} من ديارينا{ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ} وفي خذلانكم{ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ} من محمد ﷺ وأصحابه{ لَنَنصُرَنَّكُمۡ} ولنغيثنّكم{ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ} فيما يعدون وما يدّعون، والحقيقة أنّهم{ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ} من ديارهم{ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ} من المدينة المنورة{ وَلَئِن قُوتِلُواْ} من محمد ﷺ وأصحابه{ لَا يَنصُرُونَهُمۡ} ولا يقاتلون معهم{ وَلَئِن} كان أن{ نَّصَرُوهُمۡ} وقاتلوا معهم{ لَيُوَلُّنَّ} فرارًا ويعطونهم{ ٱلۡأَدۡبَٰرَ} هربًا وجزعًا{ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} أبدًا.

فـ{ لَأَنتُمۡ} أي محمد ﷺ وأصحابه{ أَشَدُّ رَهۡبَةً} وخوفًا وفزعًا{ فِي صُدُورِهِم} حتى{ مِّنَ ٱللَّهِۚ} تعالى{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ} سنن الله

تعالى في الدنيا ولا يفقهون الدين ولا الإيمان، وكيف يفقهون وقد ختم الله على قلوبهم لكي لا يخرج منها نفاق ولا يدخلها إيمان جزاء كفرهم ونفاقهم كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}﴿٢٦﴾.

فهم{ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا} كما زعموا{ إِلَّا} وهم{ فِي قُرًى} محمية{ مُّحَصَّنَةٍ} تحصينًا شديدًا{ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ} تمنعهم بأسكم، وحقيقتهم أنّ{ بَأْسُهُم} وبسالتهم{ بَيْنَهُمْ} وعلى بعضهم{ شَدِيدٌ ۚ} فلو رأيتهم{ تَحْسَبُهُمْ} وتظنّ أنّهم{ جَمِيعًا} يدًا واحدةً على من عاداهم{ وَقُلُوبُهُمْ} حقيقتها{ شَتَّىٰ ۚ} متفرِّقة بحسب مصالحهم الخاصّة{ ذَٰلِكَ} سببه{ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ} وكيف يعقلون وقد حقّت سنن الله تعالى على أكثرهم بنفاقهم كما قال تعالى في سورة يس:{ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ

أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ}١٠.

فمثل يهود بني النضير{ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ} أي بني قينقاع الذين أخرجوا من قبلهم بعد غزوة بدر من المدينة المنورة فـ{ ذَاقُواْ وَبَالَ} وعقوبة{ أَمۡرِهِمۡ} ونفاقهم وكفرهم وتعنّتهم{ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} في الآخرة، فمثل الفريقين من منافقي يهود المدينة المنورة من بني النضير وبني عوف بن الحارث{ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ} بالله{ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ} عقوبة وعذاب{ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} في الدنيا والآخرة{ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ} وجزائهما{ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ}.

الخلاصة: -

المنافقون ينقضون عهدهم مع بعضهم، وبيان أنّ خوفهم من المؤمنين أشد من الله تعالى، ولا يقاتلون المسلمين إلّا من وراء جدر، وأنّ بأسهم بينهم شديد.

(١٨–٢١) الأمر بتقوى الله تعالى والتحذير من نسيان عهوده والاعتبار بسننه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١

أمضى الله تعالى سننه بعقوبة بني النضير من يهود المدينة المنورة لمشاقتهم ومعادتهم دين الله تعالى، ولنقضهم العهد الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصرته إذا بعث، لكنّهم بالنقيض ناصروا المشركين وتآمروا على قتله ﷺ فكان جزائهم سوء الحساب في الدنيا ومأواهم جهنّم وبأس المهاد الذي مهدوه لأنفسهم كما قال تعالى في سورة الرعد:{ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ}﴿١٨﴾.

ولذلك نبّه الله تعالى المؤمنين فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ} سنن{ ٱللَّهَ} تعالى وجزاءاته التي يمضيها في النّاس في الدنيا قبل الآخرة، فسننه لا يستثنى منها أحد ولو كان رسول الله ﷺ لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}﴿٧٥﴾.

ثمّ انتقل الله تعالى إلى تنبيه كلّ نفس فقال:{ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ} أي يوم القيامة{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ} دائمًا وأبدًا{ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} ثمّ نبّه الله تعالى المؤمنين مرة أخرى فقال:{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ} عهد{ ٱللَّهَ} تعالى بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره كيهود المدينة المنورة{ فَأَنسَىٰهُمْ} الله تعالى مصالح{ أَنفُسَهُمْۚ} في الدنيا والآخرة و{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ} الفاجرون المعرضون عن هدي الله تعالى فعذّبهم مرتين كما

قال تعالى في سورة التوبة:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ}﴿١٠١﴾ فأُخرجوا من المدينة إلى خيبر ومن خيبر إلى الشام.

أمّا العهد الذي أخذه الله تعالى على هذه الأمّة بعد الإيمان بمحمد ﷺ ونصره هو العهد الذي اخذه على أولي العزم من الرسل بإقامة الدين في الأرض وعدم التفرق وعدم بغي بعضهم على بعض من بعد ما جائهم العلم فيقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ...}﴿١٤﴾ ودعوة النّاس لدين الله تعالى وعمل الصالحات لقوله تعالى في سورة فصِّلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ}﴿٣٣﴾.

وقد أنجز الله تعالى وعده للمسلمين لمّا تمسكوا بدينه كما قال في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ فلمّا أعرضت هذه الأمة أو نسيت ما شرع الله تعالى لها من إقامة الدين في الأرض ودعوة الناس لدين الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهبت ريحهم وأصبحوا غثاءً كغثاء السيل، ولا سبيل لتمكين في الأرض إلا بالتمسك بهدي الله تعالى مرّة أخرى بقوّة.

ثمّ أكدّ الله تعالى أنّه{ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ} في الدارين لقوله تعالى في سورة:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا} خاضعًا خائفًا{ مُّتَصَدِّعٗا} متفطرًا متفتتًا{ مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ} تعالى ورهبته

لما فيه من الآيات والعبر{ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ} لمن سبقكم من الأمم{ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} ليعتبروا{ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ويرجعون وينيبون ويتضرعون لله تعالى، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

الخلاصة: -

الأمر بتقوى لله تعالى، والتحذير من نسيان عهوده، والأمر بالاعتبار بسننه التي مضت في المنافقين.

(٢٢-٢٤) بيان بعض أسمائه تعالى وصفاته وتأكيد أن السماوات والأرض تسبح له.

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

الله تعالى خالق كل شيء وسبب وجوده، وما أوتي الملائكة والإنس والجنّ من العلم إلّا قليلا لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا}﴿٨٥﴾ ولو كانت محيطات البحر حبرًا لكتابة ما أودعه الله تعالى من أسرار في خلقه ما لبت وما وسعت، والتي لا زالت البشرية تكتشف الجديد كل يوم منها لقوله تعالى في سورة الكهف:{ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا}﴿١٠٩﴾ حتى لو مدّت المحيطات السبعة بسبع أضعافها لقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ}﴿٢٧﴾ فلا يمكن معرفة عظمة خلق الخالق العظيم ولا معاني أسمائه وصفاته بكلمات لعظمته تعالى وجلاله، ولكن المراد تقريب المعاني للأذهان والله أعلم.

فقال تعالى:{ هُوَ ٱللَّهُ} خالق كلّ شيء معلوم وغير معلوم{ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ} غيره ولا يستحق العبادة سواه{ إِلَّا هُوَۖ} وهو تعالى{ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ} أي ما توارى عن علم النّاس، ثمّ قال تعالى:{ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ} أي يعلم ما هو

مشاهد من الخلق، والغيب والشهادة عنده سواء لقوله تعالى في سورة الرعد:{ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ}١٠ و{ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ} بجميع خلقه الذي لا يعاجل الكافرين والمعرضين عن دينه بالعقوبة، ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى، بل يمهلهم طيلة أعمارهم إلى الأجل المسمى عنده، وهو تعالى{ ٱلرَّحِيمُ} أي كبير وعظيم الرحمة والمرحمة بالمؤمنين، و{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ} الذي له الخلق والأمر.

وهو تعالى{ ٱلْقُدُّوسُ} المقدّس المطهر المعظّم المبجل المبرء المنزه عن كل نقص{ ٱلسَّلَٰمُ} لمن آمن وأسلم واتبع هديه وشرعه، وهو تعالى{ ٱلْمُؤْمِنُ} وأهل الأمن والإيمان، والمُؤَمِّن أوليائه{ ٱلْمُهَيْمِنُ} المذعن له، وذو القدرة المطلقة، وهو تعالى{ ٱلْعَزِيزُ} الغالب في كل أسمائه وصفاته الذي ليس كمثله شيء، ذو الشرف والقوّة والمنعة والغلبة والحميّة والأنفة والمكرمة، وهو تعالى{ ٱلْجَبَّارُ} ذو القهر والإرغام والأهوال، المعزّ المذلّ بعدله وعلمه وحكمته، يحي ويميت، مذهب حزن المحزونين، والمقوّم والمصلح لكلّ ما فسد في خلقه من مرض أو عطب، ومنه تجديد الخلايا التالفة في أجسام النّاس والنباتات والحيوانات لضمان استمرار

حياتهم إلى الأجل المسمى، ومنه صيانة السماء من النجوم والشهب المندثرة بالجوار الكنّس، وهو ما يعرف بالثقوب السوداء علميًا والتي تلتهم ما يقع في مجال جاذبيتها، وهو تعالى{ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ} وأهل الكبرياء والعظمة والجلال والجمال والكمال، وأهل الشأن والرفعة والشرف والمكانة، فـ{ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ} وتقدّس وتنزّه وترفّع وتمجد{ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ويدّعون، و{ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ} الموجد المبدع لخلقه من العدم على غير مثال مسبق{ ٱلْبَارِئُ} المُبدئ المنشئ للخلق{ ٱلْمُصَوِّرُۖ} لخلقه وللنّاس في بطون أمهاتهم كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}٦ وهو تعالى الذي أعطى كلّ شيء خَلْقَهُ وصورته وصفاته وهداه ليقوم بواجبه في الكون لقوله تعالى في سورة طه:{... ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ}٥٠ فـ{ لَهُ} تعالى{ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ} ويمجّد ويقدّس{ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ} ولا يفتُرون{ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ} الغني عن خلقه والغالب بعظمته وفي كل اسم من أسمائه وصفة من صفاته{ ٱلْحَكِيمُ} فيما يمضي ويقضي ويشرع ولا يظلم ربُّك أحدا.

الخلاصة: -

بيان بعض أسمائه تعالى وصفاته وتأكيد أن السماوات والأرض تسبح له.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الممتحنة ترتيبها(٦٠) آياتها(١٣)

(١-٣) الأمر بعدم موالاة أعداء الدين وإن كانوا أقارب، وبيان حقيقتهم في السلم والحرب.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣

ورد في سبب نزول الآيات ما رواه الإمام البخاري عن علي بن أبي طالب (رلع) قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها

تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا الكتاب، فقالت ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا، فقلنا ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء(والحجزة موضع شدّ الإزار) فأخرجته، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: صدق، ولا تقولوا له إلا خيرا، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.

وقال المفسرون أن المرأة هي سارة مولاة عمرو بن صهيب بن هشام بن عبد مناف، أتت الرسول الله ﷺ من مكّة بعد أن مستها حاجة شديد، وكانت مغنيّة لم تسلم، ولم تجد من يسد حاجتها من مكّة، وكان رسول الله ﷺ يتجهزّ لفتح مكّة، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فسدّوا

حاجتها، فأعطاها حاطب الكتاب، وكان الكتاب في ذؤوبتها، أي خبئته في شعرها.

فبيّن الله تعالى الحكم في أعداء الدين فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ} ومحبِّين ومناصرين كما فعل حاطب بن أبي بلتعة عن حسن نيّة، وأصبحتم{ تُلْقُونَ} وتُفضون{ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ} والمحبّة والألفة، ثمّ بيّن الله تعالى سبب ذلك فقال:{ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ} والسبب الثاني أنهم{ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} من دياركم وأموالكم، بسبب{ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ} لا تشركون به شيئًا{ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى} حقًا{ وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى} وكيف{ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ} في صدوركم{ وَمَآ أَعْلَنتُمْ} صراحةً{ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ} متعمدًا بعد هذا الحكم{ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} والصراط المستقيم الذي ترجونه، فلا توالونهم.

والسبب الثالث لعدم اتخاذهم أولياء أنّهم{ إِن يَثْقَفُوكُمْ} ويظفروكم منهزمين{ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً} غلاظ شداد، بل{ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} تقتيلًا كما أخرجوكم من دياركم وأموالكم من مكّة المكرّمة{ وَأَلْسِنَتَهُم} يطلقونها{ بِٱلسُّوٓءِ} لا يرقبون فيكم ذمّة، علاوةً على ذلك{ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ} كما كفروا، واعلموا أنّه{ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ

أَوۡلَٰدُكُمۡۚ} في الدنيا ولا في الآخرة، فـ{ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ} ويحكم الله تعالى{ بَيۡنَكُمۡ} جميعًا{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ} وعليكم رقيب، فاحذروا مخالفته فسننه وجزاءاته لا يستثنى منها أحد.

الخلاصة: -

النهى عن اتخاذ الكافرين المحاربين أولياء ولوا كانوا أقارب وأرحام، بسبب عدائهم وبغضهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم.

(٤-٧) الأمر باتخاذ إبراهيم (عس) أسوة وفي تعامله مع الكافرين.

قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾

ضرب الله تعالى المثل للمؤمنين في تعاملهم مع من المشركين بإبراهيم (عس) فقال:{ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ} مثلٌ و{ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ} من المؤمنين في ثباتهم على معتقدهم أمام المشركين{ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ} وليس بيننا وُدٌّ ولا وصال، ولكن قطيعة وشقاق{ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ} من الأصنام والأوثان{ مِن دُونِ ٱللَّهِ} فنحن{ كَفَرۡنَا بِكُمۡ} ولا نؤمن بشرككم{ وَبَدَا} وظهر جليًا{ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا} طوال الدهر{ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ} لا شريك له.

ثمّ استثنى الله تعالى من الأسوة الحسنة استغفار إبراهيم (عس) لأبيه فقال:{ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ} ولا يغفر الله تعالى الشرك لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا}٤٨ ولو كان الاستغفار من رسول الله ﷺ لقوله تعالى في سورة التوبة:{ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ

لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}﴿٨٠﴾ ثمّ قال لأبيه{ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ} نفعًا ولا ضرًا ينزل بك{ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ}.

أمّا المقصود من قوله تعالى لأبيه فهو عمّه الذي تبرأ منه في قوله تعالى في سورة التوبة:{ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ}﴿١١٤﴾ أمّا والديه فقد استغفر لهما في آخر حياته في قوله تعالى في سورة إبراهيم:{ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ}﴿٤١﴾ أمّا قوله تعالى لأبيه بدل عمّه فهو إقرار من الله تعالى لإبراهيم (عس) توقيره واحترامه لعمّه رغم كفره، وقد أكرم رسول الله ﷺ رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول حتى مات رغم نفاقه.

فإذا كان آزر عمّ إبراهيم (عس) وليس أبيه فتارح ليس آزر كما نقل ابن هشام في كتاب السيرة وقال: هو محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب

واسمه شيبة بن هاشم، وهاشم هو عمرو بن عبد مناف، وعبد مناف هو المغيرة، بن قصي، بن كلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة؛ وهو عامر، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، بن أُدّ ويقال له أَدَدْ، بن مقوّم، بن ناحور، بن تَيرح، بن يعرُب، بن يشجُب، بن نابت، بن إسماعيل، بن إبراهيم أبو الأنبياء، بن تارح(وهو آزر)، بن ناحور، بن ساروغ، بن داعور، بن فالَخ، بن عَيبر، بن شالَخ، بن أرفَشخْذ، بن سام، بن نوح، بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ وهو إدريس، بن يرد، بن مهليل، بن قَينَنْ، بن يانِش، بن شِيث، بن آدم (عس).

وكلمة أب تستخدم لغير الوالدين كقوله تعالى في سورة يوسف:{ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ...}﴿١٠٠﴾ فعبّر تعالى بأبويه رغم أنّ المرأة زوجة أبيه، وليست أمّه.

ثمّ دعا إبراهيم (عس) ربّه فقال:{ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا} واعتمدنا لبلوغ ما تحب وترضا{ وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا} وتبنا ورجعنا{ وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} والمآل والمرجع، ثمّ قال:{ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً} وموضع امتحان{ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ}

للصبر على أذاهم{ وَٱغۡفِرۡ لَنَا} أي ذنوبنا وإسرافنا وخطأنا وعمدنا{ رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ} الغالب في جميع أسمائه وصفاته، وليس كمثله شيء، ولم يكن ولن يكن له كفوًا أحد، وأنت{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما تقضي وتمضي وتحكم وتشرّع.

ثمّ أشار الله تعالى على المؤمنين اتخاذ إبراهيم (عس) أسوة فقال:{ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ} وفي نهجهم وتعاملهم{ أُسۡوَةٌ} وقدوة ونماذج{ حَسَنَةٌ} طيبة{ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ} ويطلب رحمة ورضا{ ٱللَّهَ} عزّ وجلّ في الدنيا{ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ} والنجاة فيه، فلهم البشرى في الحياة الدنيا لقوله تعالى سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَن يَتَوَلَّ} ويعرض عن هدي الله تعالى{ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ} عن خلقه، له ملك السماوات والأرض، ومن عزّته يضلّ ويشقي من أعرض عن هديه لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي

فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهو تعالى{ ٱلۡحَمِيدُ} الذي يحب الحمد ويَحمَدَ الحامدين ويجازيهم عليه.

ثمّ قال تعالى:{ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ} إذا غيّروا ما بأنفسهم لقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ...}﴿١١﴾ كما حصل بعد فتح مكّة وأسلم الكثير من قريش{ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ} لا يعجزه شيء{ وَٱللَّهُ غَفُورٞ} لمن تاب وأناب من العصاة والمشركين وهو تعالى{ رَّحِيمٞ} بعبادة المؤمنين.

الخلاصة: -

الأمر باتخاذ إبراهيم (عس) أسوة في تعامله مع المشركين، والتبرأ من المشركين ومما يعبدون، إلا أن يؤمنوا، وعدم اتخاذ إبراهيم (عس) أسوة في استغفاره لعمّه المشرك، وأنّه تعالى قادر على أن يجعل بين المؤمنين والمشركين ودّ إذا غيروا ما بأنفسهم كما حصل بعد فتح مكّة.

(٨-٩) بيان الحكم في غير المقاتلين من الكفّار والمقاتلين.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾

بيّن الله تعالى الحكم العام في الكفّار الذين لا يقاتلون المؤمنين إذا توفر فيهم خِصلتين، فقال:{ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ} موالاة وبِر{ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ} كخصلة أولى، والخصلة الثانية{ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ} وأموالكم{ أَن تَبَرُّوهُمْ} وتصطلحوا معهم{ وَتُقْسِطُوٓا۟} وتعدلوا{ إِلَيْهِمْ ۚ} فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} المنصفين، وفي هذا الحكم والتشريع مصالح منها: -

- بيان عدالة الإسلام لغير المسلمين.
- قبول غير المسلمين في المجتمع.
- تحقيق إقامة العدل في الأرض.
- وسيلة لاستقطاب غير المسلمين للإسلام.

ثمّ بيّن الله تعالى الحكم في الذين لا ينبغي موالاتهم إذا تحققت فيهم إحدى الأمور الثلاثة فقال:{ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ} موالاة ومحبة{ ٱلَّذِينَ

قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ} كخصيصة أولى{ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ} ثانيًا، والخصيصة الثالثة{ وَظَٰهَرُواْ} وأعانوا غيرهم{ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ} من دياركم{ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ} وتبرُّهم{ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ} خلافًا لما أمر الله تعالى{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ}﴿٩﴾ المعرضون عن هدي الله تعالى والذين توعدهم بقوله في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ والله لا يحب الظالمين.

الخلاصة: -

لا ينهى الله تعالى بِر الكافرين الذين لا يقاتلون المؤمنين ولم يخرجوهم من ديارهم، ولكن ينهاهم عن موالاة المقاتلين لهم في الدين، أو يعملون على إخراجهم من ديارهم وأموالهم، أو يعينون غيرهم على إخراجهم من ديارهم.

(١٠-١١) بيان الحكم في المهاجرات المؤمنات إلى المدينة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن

تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ
أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ
ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١

ورد في كتاب زاد المسير عن سبب نزول الآيات قال ابن عباس (رلع): إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافرا فقال: يا محمد اردد عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت هذه الآية، وقيل أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي.

فقال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ} من الكفّار والمشركين{ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ} لتعلموا صدق إيمانهن، و{ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ} وما في قلوبهنّ{ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى

ٱلۡكُفَّارِۖ} كون صلح الحديبية خاص بالرجال، أمّا النساء المؤمنات فـ{ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ} بعد إسلامهن{ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ} في سبيل هجرتهن وفراقهن لأزواجهن{ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ} ولا حرج{ أَن تَنكِحُوهُنَّ} وتتزوجوهن{ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ} ومهورهن{ وَلَا تُمۡسِكُواْ} معشر المسلمين{ بِعِصَمِ} زوجاتكم{ ٱلۡكَوَافِرِ} فأطلقوهن{ وَسۡـَٔلُواْ} منهنّ{ مَآ أَنفَقۡتُمۡ} من الصداق عليهن{ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ} أي الكفار منكم{ مَآ أَنفَقُواْۚ} على زوجاتهن الاتي آمنّ، فـ{ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ} فيما يُشرِّع ويقضي.

ثمّ قال تعالى:{ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ} فهربن دون أن يدفعن لكم ما دفعتم لهنّ من صداق{ فَعَاقَبۡتُمۡ} أي وأردتم عقوبة الكفّار بمثل ما عوقبتم به{ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم} منكم{ مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ} على زوجاتهم الكافرات اللاتي فاتتكم هاربات ليتزوجوا{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} دائمًا وأبدًا فهو{ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ} ومصدّقون.

الخلاصة: –

الحكم في المهاجرات المؤمنات من الكافرين إلى المدينة أن لا يجوز ردّهن إلى الكفّار وامتحانهنّ، ودفع لهن ما أنفقن في سبيل هجرتهن، ويحلّ الزواج منهن بدفع مهورهن، وعلى المسلم أن لا يمسك أزواجه الكافرات إن أصرّوا على الكفر، أمّا إذا هربن دون دفع صداقهن فُيدفع للمسلم عوض مهر الهاربات إلى الكفّار، ليتزوجوا بدل أزواجهم الهاربات.

(١٢-١٣) بيان شروط مبايعة المؤمنات والأمر بعدم موالاة من غضب الله تعالى عليهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

ذكر في كتاب التحرير والتنوير أن المبايعة كانت بعد فتح مكّة المكرّمة والتي امتدت لأيام، وكانت للرجال والنساء، وكان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة على الرجال وعمر بن الخطاب يأخذها على النساء، كما

أخذها الرسول ﷺ على النساء أيضًا لما ورد في مبايعة النساء في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبي ﷺ يمتحنهن بقول الله تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن} إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمحنة(أي أقررن بالشروط)، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله ﷺ: انطلقن فقد بايعتكن، لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن: إذا أخذ عليهن:" قد بايعتكن كلاما".

فقال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ} من غير المسلمين قاصدات الإيمان{ يُبَايِعۡنَكَ} على الإسلام، فاشترط عليهن{ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـًٔا} كشرط أوّل، ثمّ قال:{ وَلَا يَسۡرِقۡنَ} كون السرقة تنقض الأمن والأمان، فأراد الله تعالى تطهير المجتمع منها، ولذلك شرع لذوي الحاجة الزكاة والصدقة والكفارات والأضاحي، وخمس الغنيمة والفيء ليستتب الأمن في المجتمع.

وبسبب تلك الشرائع دخل النّاس في دين الله تعالى لما ورد في صحيح الإمام البخاري أن عائشة- رضي الله عنها- قالت: جاءت هند

بنت عتبة بن ربيعة فقالت: يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يُذّلوا من أهل خبائك، وما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يَعِزُّوا من أهل خبائك، ثم قالت: إن أبا سفيان رجل مسيك، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال لها لا حرج عليك أن تطعميهم من معروف.

ثمّ قال تعالى:{ وَلَا يَزْنِينَ} كشرط ثالث، كون الزنا يدنّس الأنساب، وينشر الأمراض ويثقل ميزانيّات الدول، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ} قيل هو ما تعارفعت عليه الجاهلية من وأد البنات التي حرمها الله تعالى كونهن لم يقترفن ذنبًا.

فشرع الإسلام" أن لا عقوبة بدون ذنب"، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} قيل الولد من الزنا تلحقه المرأة بزوجها، وقال بين أيديهن وأرجلهن لأنّ المرأة تضع الوليد بين يديها ورجليها ترضعه، ثمّ قال تعالى:{ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ} يأمرهنّ الله تعالى به ورسوله ﷺ{ فَبَايِعْهُنَّ} على الإسلام{ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ} فإنّ الله تعالى بالغ الرحمة والمغفرة عمّا سلف{ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ} لمن تاب وأناب{ رَّحِيمٌ} بخلقه وبالمؤمنين.

وقد ورد في كتاب التحرير والتنوير ما روى الطبري بسنده إلى ابن عباس لما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء كانت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان جالسة مع النساء متنكرة خوفا من رسول الله ﷺ أن يقتص منها على شقها بطن حمزة، وإخراجها كبده يوم أحد، فلما قال: على ألّا يشركن بالله شيئا، قالت هند: وكيف نطمع أن يقبل منا شيئا لم يقبله من الرجال، فلما قال: ولا يسرقن، قالت هند: والله إني لأصيب من مال أبي سفيان هنات، فما أدري أتحل لي أم لا؟ فقال : أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فدعاها فأتته فعاذت به وقالت: فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك، فقال: ولا يزنين، فقالت: أو تزني الحرة؟ قال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت هند: ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم، تريد أن المسلمين قتلوا ابنها حنظلة بن أبي سفيان يوم بدر، فتبسم رسول الله ﷺ، فقال: ولا يأتين ببهتان يفترينه، فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ولا يعصينك في معروف، فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

ثمّ قال تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ}

والمغضوب عليهم هم اليهود، أي لا تتخذوهم أولياء ومناصرين وأحباء، وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين

يتقربون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية، وهم{ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ} أي يئسوا من البعث والنشور والحساب والجنّة والنّار{ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ} أن يبعث{ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ}.

الخلاصة: -

الأمر بمبايعة النساء والرجال الذين دخلوا الإسلام بأمور عامّة أضافة على الفرائض الخمس من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه، لتطهير المجتمع مما علق به من أحكام الجاهلية، وإيذانًا لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض بقيم الإسلام الحنيف، وأن لا يتولوا اليهود المغضوب عليهم، الذين كفروا برسول الله ﷺ ويئسوا من حياة الآخرة كما يئس الكفّار من بعث أصحاب القبور، إلّا أن يؤمنوا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الصف ترتيبها(٦١) آياتها(١٤)

(١ – ٤) تأكيد تسبيح السماوات والأرض والأمر بفعل ما يجب والاجتماع عليه.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا
لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ
مَّرۡصُوصٞ ۝٤

ورد في كتاب التحرير والتنوير في سبب نزول الآية عن ابن عباس في قوله تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ) قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عزَّ وجل دلّنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله أن أحب الأعمال: إيمان به وجِهادُ أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلمّا نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ).

فهذا الصنف من المؤمنين موجود في كل زمان ومكان كما تَبيّن في غزوة بدر حيث قال تعالى في سورة الأنفال:{ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ}٨.

فمراد الله تعالى من الجهاد وبذل الأموال والأنفس إقامة دينه في الأرض لقوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}١٣ ولقوله تعالى في سورة التوبة:{ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}٤١ حتى يكون الدين والحكم في الأرض كلّه لله لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}٣٩.

وحيث أنّه انتفى الجهاد بالسلاح لعامة المسلمين في ظل قيام الدولة الحديثة، وبقي محصورًا في الجيوش النظامية، إلّا أنّه بقي بذل الأموال والأنفس في سبيل إقامة الدين في الأرض حتى يكون الدين كلّه لله لتحتكم إليه البشرية بأمور أخرى منها: –

١- دعوة الناس لدين الله تعالى لقوله تعالى في سورة يوسف:{ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}۝١٠٨ ولقوله تعالى في سورة فصّلت:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}۝٣٣ وبالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى في سورة النحل:{ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ}۝١٢٥.

٢- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ... }۝١١٠.

والغاية من إقامة الدين في الأرض أن يكون الدين كلّه لله لتحتكم إليه البشرية وليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للنّاس لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم

بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾.

فنبّه الله تعالى المؤمنين الذين لا يريدون بذل جُهد أو شيئًا من أموالهم وأنفسهم في سبيله تعالى قائلا:{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} بل ويسجد لله تعالى كلّ شيء كما قال تعالى في سورة النحل:{ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ}﴿٤٩﴾.

وفي ذلك إشارة إلى أنّ غير المكلّفين من الخلق يقومون يذكرون الله تعالى ويسبحون ويسجدون ولا يرجون جزاءً ولا يخافون عقابًا، فالأولى للمؤمنين أن يبذلوا ما في وسعهم لإقامة الدين في الأرض ليسعدهم في الدنيا والآخرة، ثمّ قال:{ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} الذي ليس له حاجة لشيء ولا لأحد، وليس كمثله شيء، والغالب في كل أسمائه وصفاته، ولم يكن له ولن يكن له كفوًا أحد، وهو تعالى{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما يقضي ويمضي ويشرع.

ثمّ وجّه تعالى الخطاب قائلا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} بالله تعالى{ لِمَ تَقُولُونَ} لوددنا أن الله عز وجل دلّنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به،

فتقولون{ مَا لَا تَفۡعَلُونَ} مما أوجب الله تعالى عليكم من بذل المال والأنفس، فـ{ كَبُرَ مَقۡتًا} وبغضًا وكرهًا{ عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ} ثمّ دلّهم تعالى على ما يحبه منهم فقال:{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا} واحدًا ملتزمين منقادين لأمر الله تعالى و{كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ} متلاصقين متأهبين لإنفاذ أمر الله تعالى.

ولا يُؤْثِرُون الحياة الدنيا كالذين قال الله تعالى فيهم في سورة التوبة:{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}﴿٢٤﴾ وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور.

الخلاصة: -

بيان أنّ غير المكلّفين يسبحون لله تعالى وهم لا يرجون جنّة ثوابًا ولا نارًا عقابًا، وأنّ الله تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص لإقامة الدين في الأرض حتى يكون الدين كلّه لله لتحتكم إليه البشرية، وحيث أنّ القتال تكفلت به الدول، فبقي على

المسلمين بذل ما في وسعهم لدعوة النّاس للدين بالحكمة والموعظة الحسنة.

(٥-٩) ضرب المثل لتكذيب بني إسرائيل وتأكيد إظهار الإسلام على كل دين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ
إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ
نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩

يضرب الله تعالى المثل لتعنّت وتكذيب بني إسرائيل وإصرارهم على كفرهم فقال:{ وَ} اذكروا{ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي} بالشتم والانتقاص أو رميه بالأدرة(أي الخصية المنتفخة) أو قولهم: اذهب أنت

وربك فقاتلا إننا هاهنا قاعدون وغير ذلك{ وَقَد تَّعۡلَمُونَ} علم يقين{ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ} بالآيات الواضحات كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ}١٠٨ { فَلَمَّا زَاغُوٓاْ} وأعرضوا وانحرفوا عن أحكام التوراة وتعاليمها وشرائعها أقام الله تعالى سننه الثوابت فيهم فـ{ أَزَاغَ} وصرف وحَرف{ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ} عن الإيمان جزاء اعراضهم عن الدين{ وَٱللَّهُ} تعالى من سننه تعالى وثوابته وجزاءاته أن{ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ} المعرضين إلى هديه وشرعه، فلا تؤذوا رسول الله ﷺ ولا تكونوا مثلهم فيزيغ الله تعالى قلوبكم، فسننه تعالى الثابتة لا يستثني منها أحدًا أبدًا بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤ فيضلّكم كما أضلّهم، ويعاقبكم كما عاقبهم فأخزاهم في المدينة المنورة وأجلاهم من جزيرة العرب.

ثمّ ضرب الله تعالى مثل آخر لبني إسرائيل من دعوة الرسول ﷺ وإنكارهم له فقال:{وَ} اذكروا كذلك{ إِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم} فكذّبوه وعمدوا إلى قتله، وقد بيّن لهم قائلا: و{ مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ} التي بين أيدكم{ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ

بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ} ﷺ {فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ} والآيات وعرفوه كما يعرفون أبنائهم{ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ} أي ولا أحد أظلم{ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ} وزوّر واختلق{عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ} كبني إسرائيل{ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ} وفاءً بالمواثيق التي أخذت عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصر، والاستسلام لأحكام دينه وشرائعه{ وَٱللَّهُ} من ثوابته وسننه وجزاءاته أن{ لَا يَهۡدِى} إلى دينه وهديه{ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} المستكبرين المعاندين العاصين لرسله. فبسبب افترائهم الكذب على الله تعالى لصدِّ الناس عن دينه، وغايتهم مخالفة شرع الله تعالى، فيلعنون في الدنيا، ويُحجبون عن فهم آيات الله، ويضاعف عليهم العذاب في الآخرة، وهم الأخسرون فيها لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢}.

ثمّ بيّن الله تعالى غايتهم من ذلك كلّه فقال:{ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ} وهديه والحق الذي جاء من عنده{ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ} وكذبهم{ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ} الذي أوحاه لرسوله محمد ﷺ لا محالة{ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ} في الأرض جميعًا والممتنعون عن الإيمان استكبارًا وعنادًا وعصيانًا، فـ{ هُوَ} تعالى{ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ} محمد ﷺ{ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ} وينصره{ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} ما نزل من قبل، أو الشرائع التي أقامتها البشرية من دون الله تعالى{ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ} قاطبةً على وجه الأرض، فالإسلام مهيمن على شرائع وأحكام كلِّ دين، وأحكامه وشرائعه ناسخةً لما قبلها، وبذلك دلّكم الله عزّ وجلّ على ما يحب أن يرى منكم فتمسّكوا به ليحبكم.

وإظهار الإسلام ونصره على كلّ دين بحاجة إلى بذل الأموال والأنفس بدعوة الناس لدين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإقامة العقيدة الإسلامية من عبادات وأخلاق ومعاملات بما تقتضه الأحوال.

فشرف إقامة الدين بحاجة إلى عمق إيمان وعمل الصالحات لقوله تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي

شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ وهذا الشرف خاص لمن خاف مقام الله يوم القيامة وخاف وعيده تعالى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ}﴿١٤﴾ فاصبروا وصابروا ورابطوا كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}﴿٢٠٠﴾ في الدنيا والآخرة.

الخلاصة: -

ضرب المثل لتكذيب بني إسرائيل وتأكيد إظهار الإسلام على كل دين، وتحذير الذين لا يريدون بذل شيء من أموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى لإقامة دينه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، فسننه تعالى قائمة في النّاس بإسعاد من اتبّع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ كما حصل لبني إسرائيل فأخرجهم من المدينة المنورة وجزيرة العرب.

(١٠-١٣) الدلالة على التجارة الرابحة مع الله تعالى وجزائها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ
ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

دلّ الله تعالى المؤمنين على الأعمال التي يحبّها فقال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ} رابحة في الدنيا والآخرة مع الله تعالى{ تُنجِيكُم} وتنقذكم{ مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ} في الدنيا والآخرة{ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} إيمانًا صادقًا خالصًا{ وَتُجَٰهِدُونَ} بما في وسعكم{ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ} لإقامة دينه في الأرض من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، بدعوة النّاس بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر{ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ} في الدنيا والآخرة{ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}.

لـ{ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ} الدنيوية ولا يعاجلكم بالعقوبة لما اقترفتم{ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} في الآخرة و{ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ

فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ} هو{ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} الذي لا شقاء ولا عناء ولا نصب بعده{ وَ} ويحقق لكم مفازات{ أُخۡرَىٰ} أنتم{ تُحِبُّونَهَاۖ} في الدينا وهي{ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ} على من خالفكم في الدين، والتمكين في الأرض وتبديل خوفكم أمنًا{ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ} كما فتح مكّة المكرّمة{ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} بذلك في كل زمان ومكان، عندما يوفّي المسلمين بعهود الله تعالى كما قال في سورة محمد:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ}٧ فحقق الله تعالى وعده للمسلمين بعد أن لم يكن للعرب في جزيرتهم قوّة يُعتد بها مقارنةً بقوّة الفرس والروم، والذين كانوا يتنافسون الهيمنة على المنطقة بأسراها.

فبعد أن كان المسلمون قلّة مطاردة في مكّة المكرّمة، آواهم الله تعالى إلى المدينة المنوّرة ونصرهم حتى هزم الله تعالى الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة، وفي العام الخامس عشر الهجري هزم الله تعالى الفرس والروم، وساح المسلمين في الأرض حتى وصلوا إلى الصين شرقًا، وإلى أفريقيا غربًا وجنوبًا، وإلى اسطنبول والأندلس وطرقوا حدود فرنسا شمال البحر الأبيض المتوسط.

الخلاصة: -

وجوب بذل الجهد بالأموال والأنفس في سبيل دعوة النّاس لدين الله تعالى هو التجارة الرابحة مع الله تعالى لمغفرة الذنوب ودخول جنّات

تجرِي من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة، وليُمَكِّن لهم في الأرض ينصرهم على عدوِّهم.

(١٤) ضرب المثل لنصره تعالى للمؤمنين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤

حضّ الله تعالى المسلمين على نصر دينه بقوله:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ} دائمًا وأبدًا{ أَنصَارَ ٱللَّهِ} تعالى في كل محفل{ كَمَا} كان الحواريين أنصارًا لمّا{ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ} ومؤيِّدي ومؤازري{ إِلَى ٱللَّهِۖ} تعالى فـ{ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ} والحواريُّون هم المؤمنون المخلصون من النصارى{ فَـَٔامَنَت} بصدق دعوتهم وجهدهم{ طَّآئِفَةٞ} وجماعة{ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ} منهم{ فَأَيَّدۡنَا} ونصرنا وآزرنا{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ} ممن كفر{ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ} غالبين منتصرين، ومن المعلوم أنّه لم يكن للحواريين جهاد

بسلاح كما ورد في تفسير التحرير والتنوير: ولكنه صبر ومصابرة على دين الله تعالى حتى أظهر الله تعالى النصرانية وانتشرت في الأرض.

أمّا نصر الله تعالى للمؤمنين فهو أزلي لا يتخلّف لقوله تعالى في سورة الصافات:{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ}﴿١٧٣﴾ وكقوله تعالى في سورة غافر:{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ}﴿٥١﴾ وكقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ}﴿١٠٦﴾.

الخلاصة: -

أمر المسلمين بنصر دين لينصرهم كما نصر الحواريون عيسى بن مريم في دعوته، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فأيّد الله تعالى الذين آمنوا فأصبحوا بنصر الله تعالى ظاهرين منتصرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجمعة ترتيبها(٦٢) آياتها(١١)

فضل يوم الجمعة وسننه وآدابه.

ليوم الجمعة فضائل وسنن وآداب: -

فمن فضائل يوم الجمعة أنّه خير يوم طلعت فيه الشمس لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبى هريرة (رلـع) أن النبي ﷺ قال:" خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة".

وقد فرض الله تعالى يوم الجمعة على اليهود والنصارى للتفرغ للعبادة فيه فاختلفوا، فاختارت اليهود يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد، فخصّ الله تعالى المسلمين وشرّفهم لتعظيمه والتعبد فيه لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلـع) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا، والنصارى بعد غد". وقد هدنا الله تعالى إليه بقوله:{ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ٩.

ومن سننه أن يصلي الرجل ركعتين إذا دخل وإن كان الإمام يخطب لما رواه الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله (رلع) وعن أبيه قال: جاء رجل والنبي ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة فقال: أصليت يا فلان؟ قال لا، قال: قم فاركع.

ومن تعظيم يوم الجمعة أنّ لا يتكلّم المصلي والإمام يخطب لأنّه من اللغو لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) أخبره أن رسول الله ﷺ قال: إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت. واللغو هو السقط وما لا يعتد به من الكلام ولا يُحصَل عليه من فائدة كما ورد في قواميس اللغة.

وللضرورة يجوز للمصلي أن يكلّم الإمام وهو يخطب لما رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك (رلع) قال بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ جاء رجل فقال يا رسول الله: قحط المطر فادع الله أن يسقينا، فدعا فمُطرنا، فما كدنا أن نصل إلى منازلنا، فما زلنا نُمطر إلى الجمعة المقبلة قال: فقام ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا،

قال فلقد رأيت السـحاب يتقطع يمينا وشـمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة.

ومن أحكام خطبة الجمعة جلوس الإمام بين الخطبتين لما رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر (رلـع) وعن أبيه قال: كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما.

وأنّ الأذان الأوّل قبل دخول الوقت زيد في عهد عثمان بن عفّان لما رواه الإمام البخاري عن السائب بن يزيد (رلـع) أن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان (رلـع) حين كثر أهل المدينة، ولم يكن للنبي ﷺ غير واحد، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام، يعني على المنبر.

ومن فضـائل يوم الجمعة مغفرة ذنوب ما بين الجمعتين لما رواه الإمام البخاري عن سلمان الفارسـي (رلـع) قال: قال رسـول الله ﷺ:" من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طُهر، ثم ادهن أو مس من طيبٍ، ثم راح فلم يفرق بين اثنين، فصـلّى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصـت، غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى". فيسـن في يوم الجمعة الاغتسال والتطيب والإكثار من الصلاة تطوعًا.

ومن فضـل يوم الجمعة أنّ فيها سـاعة استجابة وقتها قصـير ، لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلـع) أن رســـول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها.

ومن سننه التصدق ولو بالطعام لما رواه الإمام البخاري عن سهل بن سـعد السـاعدي (رلـع) قال: كانت فينا امرأة تجعل على أربعاء في مزرعة لها سُـــلقًا (والأربعاء نهر صـــغير أو حرف تجعل عليه القدر) فكانت إذا كان يوم جمعة تنزع أصـول السـلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضـــة من شـــعير تطحنها، فتكون أصـــول السـلق عرقه، وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك". والســـلق هو الشـــعير المطبوخ بالماء.

ومن سـنن يوم الجمعة عدم إفرادها بصـيام لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلـع) قال: سـمعت النبي ﷺ يقول: لا يصـومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوما قبله أو بعده.

ويُسن للإمام فجر الجمعة قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر{ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ} السجدة، وهل أتى على الإنسان.

وأنّ النخلة حنّت لرسـول الله ﷺ لمّا صُـنع له المنبر وخطب عليه لما رواه الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله (رلع) وعن أبيه أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه؟ فإن لي غلاما نجّارًا، قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صُنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشـق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسـمع من الذكر(وأقول كانت النخلة تسـمع الذكر من على المنبر، ولكن حنت لابتعاد الرسول ﷺ عنها، والله أعلم.

الخلاصة: -

ليوم الجمعة فضـائل شُرِّفت به أمَّة الإسـلام، فهو خير يوم طلعت فيه الشـــمس، وأمرت الأمّة بتعظيمه والصـــلاة فيه، ومن تعظيمه الاغتسـال للصـلاة والتبكير في الحضـور، وفيه فضـل مغفرة ذنوب ما بين الجمعتين، ومن سـننه أن يتطوع للصـلاة ما شـاء، ويصـلي الرجل

ركعتين إذا دخل وإن كان الإمام يخطب، وأن لا يتكلّم المصلي والإمام يخطب، ومن فضل يوم الجمعة أنّ فيها ساعة استجابة وقتها قصير، وأن يجلس الإمام بين الخطبتين، ويُسن للإمام فجر الجمعة قراءة سورة السجدة وسورة الإنسان، ومن سننه التصدق ولو بالطعام بعد صلاة، وللضرورة يجوز للمصلي أن يكلّم الإمام وهو يخطب، ومن سنن يوم الجمعة عدم إفراده بصيام، وأنّ النخلة حنّت لرسول الله ﷺ لمّا صُنع له المنبر، وأنّ الأذان الأوّل قبل دخول الوقت زيد في عهد عثمان بن عفّان.

(١-٤) تسبيح السماوات والأرض وتأكيد بعثته تعالى لرسوله ﷺ للناس.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤

يقول تعالى:{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ} كل{ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} لا يفترون قائلين: سبحان الله، والتسبيح هو التقديس والتطهير والتنزيه من كل ما لا ينبغي أن ينسب إليه تعالى تعظيمًا وإجلالًا، كقوله تعالى في سورة الإسراء:{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}﴿٤٤﴾.

وفي ذلك الخبر الحثّ على التسـبيح الذي يمحوا الله تعالى به الخطايا والذنوب لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) أن رسول الله ﷺ قال:" من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر".

والله تعالى هو{ ٱلْمَلِكِ} لكل ما في السماوات والأرض وما بينهما، وسواه لا يملكون مثقال ذرة، وليس لأحد منهم شِرك في شيء البتّة كقوله تعالى في سورة سبأ:{ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}﴿٢٢﴾.

وهو تعالى{ ٱلْقُدُّوسِ} المُطهر المنزه عن كل نقص، ذو الفضل والبركة، المعظم من كل خلقه، وهو{ ٱلْعَزِيزِ} ذو الشرف والقوّة والمنعة والغلبة والحمِيّة والأنفة، الذي ليس كمثله شيء في اسمٍ من أسمائه ولا

في صفة من صفاته، الغالب على أمره ومراده، الذي لا يعجزه شيء، ولا حاجة له لشيء، والخلق مفتقرون إليه، وهو{ ٱلۡحَكِيمِ} فيما يدبر ويقضي ويمضي من سنن وشرائع وأحكام.

فـ{ هُوَ} تعالى{ ٱلَّذِى بَعَثَ} وأرسل{ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ} العرب والأمة الأمية التي لا تكتب ولا تقرأ{ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ} بلسانهم، ولا يرسل الله تعالى رسولا إلّا بلسان قومه لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ...}﴿٤﴾ لئلا يكون لأحد حجّة في الدنيا ولا في الآخرة لقوله تعالى في سورة فصّلت:{ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيٞ وَعَرَبِيّٞۗ ...}﴿٤٤﴾ فأنزل كتابه{ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ}﴿١٩٥﴾ كما قال تعالى في سورة الشعراء.

والغاية من بعثته ﷺ أن{ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ} واعجازاته وحججه وبراهينه، والعِبر من سننه التي يمضيها في خلقه{ وَ} لـ{ يُزَكِّيهِمۡ} ويصلح أحوالهم ويطهرهم من رجس الجاهلية التي مسخت دين إبراهيم (عس) ليكونوا خير أمّة ومنار للبشرية، ولينمي فضائلهم وأخلاقهم، ويرفع قدرهم، ويعيدهم إلى رشدهم وهدي ربهم وصراطه المستقيم{ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ} وشرائعه وعقيدته وعبادته وأخلاقه، والعبر من سننه التي أمضاها في الأوّلين، ويعلمهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، وأمورًا أخرى لا يعلمونها

كما قال تعالى في سورة هود:{ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}﴿٤٩﴾.

كما{ وَ} لِيُعلمهم أفضل العلوم{ ٱلْحِكْمَةَ} والعدل والعِلل، وتزكية النفوس، وما يَقِل لفظه ويَجِلُ معناه، والحُكم فيما اختُلف فيه{ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ} أن ينزل إليهم وفي جاهليتهم{ لَفِى ضَلَٰلٍ} وعَمَه وضياع عن الصراط المستقيم{ مُّبِينٍ} جلي واضح{ وَ} ليزكي أقوامًا{ ءَاخَرِينَ مِنْهُمْ} بما يوحيه و{ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ} فضلا ولا زمانًا{ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ} العلي والغالب على أمرة ومراده، الذي لا يعجزه شيء، والفعّال لما يريد، وهو{ ٱلْحَكِيمُ} فيما يَقضي ويُمضى.

وليجعلهم كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قاطبةً بدينها وأخلاقها وشرائعها{ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ...}﴿١١٠﴾ وليمكن لها في الأرض كما قال تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾.

ف{ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ} والفضيلة والمنّة والزيادة في الإحسان{ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ} من خلقه، فآتاه لخاتم المرسلين ﷺ وأمته{ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} يؤتيه من يشاء من عباده بسابق علمه وعدله وإحسانه.

الخلاصة: -

بيان تسبيح السماوات والأرض، وتأكيد بعثته ﷺ للناس، وهو تعالى الذي بعث في الأمّة الأمية رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا قبل ذلك في ضلال مبين، وليرفع شأن أقوامٍ آخرين منهم ولمّا يلحقوا بهم فضلًا وزمانًا، وهو العزيز النافذ أمره ولا رادّ لقضائه، وهو الحكيم فيما يقضي ويمضي، ليجعلهم خير أمّة للنّاس بعلمه وعدله وحكمته، وليمكن لهم دينهم ويبدل خوفهم أمنًا، فذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(٥-٨) تحذير المسلمين من التخلي عن حمل الرسالة كما فعل بني إسرائيل.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ

ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨

يحذّر الله تعالى هذه الأمة من ترك حمل الرسالة التي أنزلت عليهم كما فعلت بني إسرائيل فقال:{ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ} وأمروا بتنفيذ ما فيها من شرائع وأحكام{ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا} وتخلوا عنها ولم يلتزموا بإقامتها، فعوقبوا في الدنيا لنقضهم المواثيق التي أخذت عليهم كما عوقب أصحاب السبت، وأُخزوا في الدنيا بعقوبات أخرى كإخراجهم من جزيرة العرب، ومن المواثيق التي نقضوها: -

١- الميثاق الذي أخذ عليهم بعدم التفريط في أحكام التوراة والتقيد بها بقوّة عند جبل الطور كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ}٦٦.

٢- الميثاق الذي أخذ عليهم أن لا يعبدوا إلاّ الله تعالى، والإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن يقولوا للنّاس حسنًا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ولا يقتل بعضهم بعضًا، ولا يُخرج بعضهم بعضًا من ديارهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}﴿٨٦﴾.

٣- نقضهم الميثاق العام الذي أخذه تعالى على النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ

لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾.

٤ – نقضهم الميثاق الخاص الذي أخذ عليهم عند جبل الطور بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره لمّا دعا موسى (ع‌س) ربّه كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ والذي ذكّرهم به عيسى (ع‌س) فقالوا: سحر مبين كما قال تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}﴿٦﴾.

فمثلهم بنقضهم تلك المواثيق{ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ} لا يُعِيرُون اهتمامًا لمواثيقهم التي أخذت عليهم، فـ{ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ} وبما أنزل على محمد ﷺ{ وَٱللَّهُ} تعالى من سننه وجزاءاته الثابتة أن{ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} إلى دينه وشرعه في الدنيا، ومن عزّة الله تعالى أن لا يهديهم حتى يلتزموا بالمواثيق التي أخذت عليهم فيغيروا ما بأنفسهم لقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ... }﴿١١﴾.

ثمّ قال تعالى:{ قُلۡ} لهم{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ} ومناصرين{ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ} وأحبائه كما تدّعون{ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ} في سبيل إقامة دين الله تعالى في الأرض{ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} بأنكم أولياء الله وأحبّائه، وقد شرع الله تعالى لهم إقامة الدين في الأرض في قوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}﴿١٣﴾.

{وَ} الحقيقة أنّ الموت{ لَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ} من نقضٍ للعهود التي أخذت عليهم{ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ} وحقيقة ما تخفي صدورهم، فـ{ قُلۡ} لهم{ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ} في سبيل الله تعالى{ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ} لا محالة في الأجل المسمى{ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم} ويجازيكم{ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} لا بما تدعون.

الخلاصة: -

يحذر الله تعالى المسلمين من عدم الوفاء له بما كلّفهم به من الدين بسننه التي لا يستثنى منها أحد، ولا يكونوا كبني إسرائيل لحبهم الدنيا وخشية الموت، والذي هو ملاقيهم في الأجل المسمى، وأنّ الله تعالى سيحاسبهم بما عملوا، لا بما يدّعون.

(٩-١١) وجوب حضور صلاة الجمعة والأمر بترك ما يلهي عنها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ

ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

كما تقدم ليوم الجمعة فضائل شُرِّفت به هذه الأمَّة، ومنه أنّه فُرض على من قبلنا من الأمم فاختلفوا فيه، وهدنا الله تعالى إليه، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس، وأمرت الأمّة بتعظيمه والتبكير في حضوره، وكثرة الذكر والصلاة، ومن فضله مغفرة ذنوب ما بين الجمعتين، وساعة استجابة وقتها قصير، ويسن التصدق فيه ولو بالطعام، وعدم إفراده بصيام إلّا بيوم قبله أو بعده، وغير ذلك.

وورد في سبب نزول آيات الجمعة ما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رلع) وعن أبيه قال:" أقبلت عيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبيِّ ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلا، فأنزل الله{ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}.

فبعد أن حذّر الله تعالى المؤمنين من نقض عهودهم كما فعلت بني إسرائيل، أمرهم قائلا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ} بالأذان{ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ} بجد{ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} تعالى من تسبيح وصلاة تطوع وتلاوة قرآن{ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ} وكل ما يلهيكم عن الصلاة والذكر، فـ{ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ} في الدنيا والآخرة{ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} فسننه تعالى ثابتة في

النّاس والتي أجملها تعالى في قوله في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثمّ قال تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ} من يوم الجمعة{ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ} وسيروا في مناكبها وجوانبها{ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ} لما يصلح معاشكم وأرزاقكم، وفي هذا تخفيف على أمّة محمد ﷺ، حيث جعل تعالى العبادة فيه إلى نصف النهار فقط، ثمّ قال:{ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا} تسبيحًا وتهليلًا وصلاة تطوع وقراءة قرآن، والشكر على ما هداكم، وأوجب عليكم، ولا تكونوا من الغافلين.

ثمّ قال:{ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} في الدنيا والآخرة، وكلمة لعل تعني أكد وشبه واستدرك وتمنى وترجى كما وردت المعاني في كتب اللغة، والمفلحون هم المتقون لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿٥﴾.

وللمفلحين صفات أخرى منها ما ذكر في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٠٤﴾ ومن صفاتهم قوله تعالى في سورة الأعراف:{... فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ ومن سماتهم قوله تعالى في سورة التوبة:{ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿٨٨﴾ ومن خصالهم قوله تعالى في سورة الحشر:{... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}﴿٩﴾.

وحيث أنّ المؤمنين في العموم ثلاث درجات كما قال تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}﴿٣٢﴾ والسابقون بالخيرات هم المتقون، وهم أولياء الله تعالى الذين

بشّرهم تعالى بالفوز العظيم، وأنّ لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة في قوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ فهؤلاء ليسوا المعنيون بقوله تعالى:{ لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} لأنهم هم المفلحون، لكنّ المعنيين بالقول هم الظالمي أنفسهم والمقتصدين منهم ليكونوا من الأولياء.

وحيث أنّ الخطاب عامًا في قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ} فيستفاد من شمول الخطاب المؤمنين حضّ أولياء الله تعالى على المداومة والاستمرار على ما هم عليه من ولاءٍ وخير، ثمّ عطف الله تعالى قوله على سبب النزول لأجل أن لا يكون المؤمنون كالذين{ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ} خطيبًا في النّاس، فـ{ قُلۡ} لهم: إنّ{ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ} في الدنيا والآخرة مما ترجون{ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ} الذي جاءت به العير{ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} وأجودهم، فابتغوا الرزق من عنده تعالى.

الخلاصة: -

وجوب حضور صلاة الجمعة والأمر بترك ما يلهي عنها، والتبكير في حضورها، فذلك خيرٌ لهم في الدنيا والآخرة، وخفف الله تعالى على هذه الأمّة بأن أباح لهم مزاولة الحياة لكسب الأرزاق بعد أداء صلاة الجمعة، وحثّهم على المداومة على كثرة الذكر من تسبيح وصلاة تطوع وقراءة قرآن بحسب الأحوال.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المنافقون ترتيبها (٣٦) آياتها (١١)

(١–٤) فضح المنافقين وبيان أنّ إضلالهم بسبب نفاقهم.

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

ورد في صحيح الإمام البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

ينفضـــوا مِن حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرســـل رســـول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصـــحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذّبَك رســـول الله ﷺ ومَقَتَك، فأنزل الله تعالى{ إذا جاءك المنافقون} فبعث إليّ النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد".

تعهّد الله تعالى بفضح ما في قلوب المنافقين في قوله تعالى في سورة التوبة:{ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ}﴿٦٤﴾ ففضح تعالى نفاق واستهزاء وكذِب المنافق عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه قائلا:{ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ} ونقسم ونحلف بالله{ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ} نفاقًا واستهزاءً{ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ} حقًا{ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ} ويقسم ويحلف{ إِنَّ} عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه{ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ} في شهادتهم وقسمهم، والحقيقة أنّهم{ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ} وحلفهم{ جُنَّةً} ووقاية من مقاتلتهم ومن دفع الجزية، ومن عداوتهم تحايلوا{ فَصَدُّوا۟} النّاس عمومًا وكفّار

قريش خصوصًا{ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} وهديه ودينه{ إِنَّهُمۡ سَآءَ} وخبث{ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}.

ومن سننه تعالى فيهم أن يزيد نفاقهم في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة كما قال تعالى في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ}﴿١٠﴾ فزاد الله تعالى نفاق عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه، ولم يدخلها إيمان حتى هلك من هلك منهم وبقي من بقي، ومن سننه تعالى في المنافقين أن يلعنهم في الدنيا ويسلط عليهم المؤمنين فيقتلونهم كما قال تعالى في سورة الأحزاب:{ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا}﴿٦٢﴾ وقد نزل ببني النظير ذلك لمّا أرادوا الغدر برسول الله ﷺ ليقتلوه بإلقاء حجر عليه من على ظهر بيوتهم لمّا جاءهم ﷺ ليعينوه على دفع فدية من قتل خطأً كما كانت المعاهدة بينهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فأُخذوا وقتلوا تقتيلًا.

ومن سننه أن يعذّب المنافقين مرتين في الدنيا كما قال تعالى في منافقي الأعراب في سورة التوبة:{ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ}﴿١٠١﴾ ونزل ذلك في بني قينقاع وبني قريظة، فعذّبوا أوّلًا بأن أخرجوا من ديارهم من المدينة المنورة إلى خيبر، والعذاب الثاني أنهم أجلوا من جزيرة العرب إلى الشام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رلع)، ثمّ يردُّون إلى عذاب عظيم يوم القيامة وفي الدرك الأسفل من النّار لقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا}﴿١٤٥﴾.

وبسبب صدّهم النّاس عن سبيل الله تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا لقوله تعالى في سورة المجادلة:{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}﴿١٧﴾.

وسبب إنزال كل تلك عقوبات في الدنيا والآخرة{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ} بالله تعالى وبرسوله ﷺ{ ثُمَّ كَفَرُواْ} به ﷺ عنادًا وعصيانًا واستكبارًا

واستهزاءً{ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ} النفاق جزاءً وفاقًا، لئلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كُفر ولا نفاق{ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ} القرآن ولا الحكمة فيما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ.

ثمّ قال تعالى:{ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ} من حسن هيئتهم{ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ} وتصدقهم من فصاحتهم وبلاغتهم، وحقيقتهم{ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ} لا يقدمون خيرًا في سبيل الله تعالى، ومن شدّة نفاقهم وكذبهم ومخالفة سرائرهم عَلنهم{ يَحۡسَبُونَ} أنّ{ كُلَّ صَيۡحَةٍ} وصرخة للجهاد هي دعوةً لقتالهم، وواقعة{ عَلَيۡهِمۡۚ} وأنّ القتال مُصبّحهم، وحقيقتهم أنّ{ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ} الحق{ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ} ثمّ توعدّهم الله تعالى فقال:{ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ} وأهلكهم، فـ{ أَنَّىٰ} وكيف{ يُؤۡفَكُونَ} ويكذبون فيحلفون أنّهم يشهدون إنّه لرسول الله ﷺ.

الخلاصة: -

فضـــح الله تعالى نفاق وكذب ما في قلب المنافق عبدالله بن أبي وأصـــحابه، وبيّن أنّهم اتخذوا حلفهم وقاية من قتالهم ودفع الجزية، واســـتغلوا ذلك لصـــد الناس عن دين الله تعالى، فطبع الله تعالى على

قلوبهم فلم يدخلها إيمان ولم يخرج منها النفاق، ولن يغني عنهم حسن مظهرهم وفصاحتهم ولا قوّة حُججهم، فهم كخشبٌ مسندة لا يقدمون شيئًا لصالح الدين، ويحسبون أنّ كلّ صيحة وصرخة للجهاد عليهم، وهم العدو الحق فاحذروهم.

(٥–٨) فضح المنافقين وبيان بعض عقوباتهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ
يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

ورد في سبب نزول الآيات ما روى الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رلع) وعن أبيه يقول كنّا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار(أي ضربه على قفاه) فقال الأنصاري يا

للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمَّعها الله رسوله ﷺ قال: ما هذا؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها منتنة، قال جابر وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثُر المهاجرون بعد، فقال عبدالله بن أبي أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب (رلع): دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

وكان ذلك في غزوة بني المصطلق عند ماءٍ يسمى المريسيع(وقصد عبدالله بن أبي بن سلول أنّ الأنصار هم أهل المدينة، وآووا المهاجرين فكيف يُعتدى عليهم، وغايته اشعال الفتنة بين المهاجرين والأنصار)، فلمّا نزلت السورة وبان كذب عبدالله بن أبي قيل له: يا أبا حباب إنه قد نزلت فيك آيات شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فلوّى به راسه كما ورد في كتاب زاد المسير وغيره، وقال: لقد أشرتم عليّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي فأعطيت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد كما ورد في كتاب الوسيط والألوسي وغيره.

فقال تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ} منيبين تائبين{ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ} معرضين{ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ} عن التوبة والإنابة{ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ} فعقوبتهم أن{ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ} ومن ثوابته تعالى{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي} لنوره ودينه{ ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ} بسبب أنّ{ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ} ﷺ من المهاجرين{ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ} وينصرفوا عنه{ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} يرزق من يشاء ويمنع من يشاء بعدله تعالى وعلمه وحكمته ولا يظلم ربّك أحدًا{ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ} الدِّين ولا السنن ولا الحكمة.

كما أنّهم{ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ} يعني نفسه{ مِنۡهَا} أي من المدينة المنورة{ ٱلۡأَذَلَّۚ} يعني رسول الله ﷺ، فلمّا أن أراد عبد الله بن أبي أن يدخل المدينة جاء ابنه فقال: وراءك، قال: مالك ويلك، قال: والله لا تدخلها أبدًا إلا بإذن رسول الله ﷺ، ليُعلم اليوم من الأعز ومن الأذل، فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خلِّ عنه حتى يدخل كما ورد في كتاب زاد المسير.

ثمّ أكّد تعالى قائلا:{ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ} والغلبة على أمره ومراده، ولم يكن له ولن يكون له كُفُوًا أحد في اسم من أسمائه أو صفة من صفاته{ وَلِرَسُولِهِۦ} ﷺ ليظهر دينه على كل دين كما قال تعالى في سورة الصف:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}﴿٩﴾ ثمّ قال تعالى:{ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ} بالتمكين لهم في الأرض كما قال تعالى في سورة النور{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾ وقد نصر تعالى محمد ﷺ على المشركين في مكّة المكرّمة، وعلى كفّار أهل الكتاب في المدينة المنورة، ومكّن للمسلمين في الأرض فهزموا الفرس والروم في خلافة عمر بن الخطاب (رلع)، ولن يبقى بيتٌ إلّا ويَدخُله هذا الدين كما وعد الرسول ﷺ.

الخلاصة: –

فضح الله تعالى المنافقين بسبب استكبارهم عن استغفار الرسول ﷺ، وأنّ الله تعالى لن يغفر لهم ولو استغفر لهم رسول الله ﷺ، فالله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين، وبيّن أنّهم يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضّوا عنه، ولله خزائن السماوات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون، وفضح قولهم ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل، وبيّن أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين.

(٩-١١) الأمر بعدم الانشغال عن مقاصد الدين والإنفاق في سبيل الله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١

يحذّر الله تعالى المؤمنين قائلا:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ} ولا تشغلكم{ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ} ومهام إقامة الدين في

الأرض من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات حتى يكون الدين كلّه لله فتحتكم إليه البشرية لقوله تعالى في سورة الشورى:{... أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}﴿١٣﴾ ثمّ قال:{ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه"{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ أمر تعالى المؤمنين فقال:{ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم} علمًا وزكاةً وصدقة ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته{ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ} اليقين في الأجل المسمى{ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} حين لا تنفع الحسرة ولا الندامة كما قال تعالى في سورة الزمر:{ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}﴿٥٨﴾ ثمّ ذكّر تعالى بسُنّة من سننه فقال:{ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ} كائن من كان{ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ} وما تكّنه الصدور.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أن الخسران في الدنيا والآخرة هو الانشغال عن مهام الدين بالأموال والأولاد، والأمر بالإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان، فالله تعالى لن يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، والله خبير لما تعملون.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التغابن ترتيبها (٦٤) آياتها (١٨)

(١-٦) بيان تسبيح السماوات والأرض وإتقان خلقه تعالى والأمر بالاعتبار بمن كفر.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦

يبيّن تعالى أنّه:{ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} لا يفترون يقولون: سبحان الله، والتسبيح هو التبجيل والتعظيم والتوقير والتقديس، ولا يرجون ثوابًا ولا عقابًا، فكونوا مثلهم أو أحسن منهم، فـ{ لَهُ} تعالى

وحده{ ٱلۡمُلۡكُ} والخلق والأمر في السماوات والأرض{ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ} والثناء
الحسن الجميل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى والتي ذَكر منها تعالى
في سورة النحل فقال:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ
فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا
وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ
شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ
وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ
مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ}١٨.

ثمّ قال تعالى:{ وَهُوَ عَلَىٰ} فعل{ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} بعلمه وعدله وحكمته، وما ربّك بظلام للعبيد، و{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ} خلقًا من بعد خلق كما قال تعالى في سورة المؤمنون{ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ}١٤ ورغم كل تلك النعم والآيات والأدلّة والحقائق إلاّ أنّه يكون الجحود{ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ} به تعالى عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ} مصدق متبع لهدي الله تعالى{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه خافية، فاحذروا عصيانه.

وهو تعالى الذي:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ} وأَبدع خلقهما على مثالٍ لم يسبق إليه من قبل{ وَصَوَّرَكُمۡ} في قرار مكين، ومما يخرج من بين الصلب والترائب، ثم من أمشاج وأخلاط جعلكم نطفة، وفي أي صورة

ما شاء ركّبك{ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ} فجعلكم في أحسن تقويم{ وَإِلَيۡهِ} تعالى المرجع اليقين و{ ٱلۡمَصِيرُ} وهو تعالى{ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} فلا تخفى عليه خافية{ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ} في أنفسكم{ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ} وتجهرون{ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} وما تُضمره الخواطر، وما فيها من إيمان وشك وما طبعت عليه، فحذروه ولا تُسوّل لكم أنفسكم شرًا فيقيم فيكم سننه التي أقامها فيمن قبلكم.

ثمّ ضرب الله تعالى المثل لسننه التي أقامها في الذين خلوا من قبل فقال:{ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ} وسوء عاقبة{ أَمۡرِهِمۡ} في الدنيا كما في قوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}١٤ دائمًا وأبدًا{ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة كما قال تعالى في سورة الرعد:{ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ}٣٤ وسببه{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ

أَبَشَرٌ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ} عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ} عنهم وعن أمثالهم{ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ} عن العالمين كما قال تعالى في سورة آل عمران:{... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ}﴿٩٧﴾ وهو تعالى الـ{ حَمِيدٌ} يحب الحامدين ويجزيهم عليه، ولا يرضى لعباده الكفر.

الخلاصة: -

يسبح لله ما في السماوات والأرض لا يفترون، وله الحمد دائمًا وأبدًا على نعمه التي لا تعُد لا تحصى، وهو على كل شيء قدير، إلا أنّه منكم كافر ومنكم مؤمن وهو بما تعملون بصير، يعلم ما في السماوات والأرض وما تسرون وما تعلنون، فحذروا سننه التي أقامها في الذين خلوا من قبل، والله غني عمّن كفر وهو الحميد لمن آمن وشكر.

(٧-١٠) تأكيد البعث والأمر بالإيمان وبيان جزاء الآخرة.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠

يقول تعالى:{ زَعَمَ} وظنّ واعتقد{ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ} عصيانًا وعنادًا واستكبارًا{ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ} يوم القيامة للحساب، فـ{ قُلۡ} لهم{ بَلَىٰ وَرَبِّي} قسمًا{ لَتُبۡعَثُنَّ} كارهين راغمين مهطعين{ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ} وتشهد عليكم ألسنتكم وأيديكم وأرجلكم كما قال تعالى في سورة النور:{ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ}٢٥ ويبعثهم كنفس وحدة كما قال تعالى في سورة لقمان:{ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ}٢٨{ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ} سهل{ يَسِيرٞ} وغير عسير.

ثمّ قال تعالى:{ فَـَٔامِنُواْ} خيرًا لكم{ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ} الجلي المبين{ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ} وانتهوا عن تعنتكم وتكبركم واستعلائكم{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ} بصير، فـ{ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ} الأكبر والحشر الأعظم فـ{ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ} وقد بيّن الرسول ﷺ أنّ كثر من النّاس

مغبونون في الدنيا لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رلع) قال: قال النبي ﷺ" نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ" فكان الأولى أن تستثمر هاتان النعمتان لما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة باتباع هدي الله تعالى وفعل الخير وطلب العلم، فيضيع ثمرتهما في لهو يعود عليه بالحسرة والندامة في الآخرة.

ففي يوم الجمع تكون الحسرة والندامة ويود أحدهم أن يفتدي بما في الأرض جميعا ومثله معه كما قال تعالى في سورة الزمر:{ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ}﴿٤٧﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا} فجزائه أن{ يُكَفِّرْ عَنْهُ} ويغفر له{ سَيِّـَٔاتِهِۦ} في الدنيا ولا عقوبة له بسنن الله تعالى{ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} في الآخرة{ خَٰلِدِينَ} ماكثين{ فِيهَآ أَبَدًاۚ} يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير كما قال تعالى في سورة فاطر:{ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ

رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}﴿٣٥﴾ ومع الذين أنعم الله عليهم من للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما قال تعالى في سورة النساء:{ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا}﴿٧٠﴾ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب كما قال تعالى في سورة الرعد:{ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ}﴿٢٤﴾ و{ ذَٰلِكَ} هو{ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} من ربٍ عظيم.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ} ومرافقوها وملازموها{ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} الذي صاروا إليه، وترهقهم ذِلّة كما قال تعالى في سورة القلم:{ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ}﴿٤٣﴾.

الخلاصة: -

يزعم الذين كفروا في الدنيا أن لن يبعثهم الله تعالى للحساب، وهم قسمًا مبعوثون، ليجزيهم الله تعالى بما عملوا، وذلك ليوم الجمع الأكبر يوم التغابن، يوم لا ينفعهم مالٌ ولا بنون، ولا حسرة ولا ندامة، وقد خدعتهم الأماني الكاذبة، وغرتهم الحياة الدنيا وزينتها وغرّهم الشيطان الغرور، ومن يؤمن بالله تعالى يكفر عنه سيئاته في الدنيا ويدخله جنّات النعيم، والذين كفروا وكذّبوا فأولئك أصحاب النّار وبئس المصير.

(١١-١٨) نزول المصائب بإذنه تعالى، والأمر بالطاعة والتوكل عليه، والتحذير من فتنة الأزواج والأولاد، والحض على العفو.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن
تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ
وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ

وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨

يُؤكد الله تعالى أنّه لا يكون شيئًا في الكون إلّا بإذنه، ,{ مَآ أَصَابَ} الناس{ مِن مُّصِيبَةٍ} في السماوات أو في الأرض هانت أو عظمت{ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ} ومن سننه تعالى أنّه{ وَمَن يُؤۡمِنۢ} مصدقًا{ بِٱللَّهِ} تعالى موقنًا{ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ} للإيمان ولخير الدنيا والآخرة{ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ} فاحذروا معصيته، فإنّه لا تخفي عليه خافية.

ثم قال تعالى:{ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ} في كل ما أُمر به ما نُهي عنه{ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ} وأعرضتم عن هديهما فللمعرضين معيشةً ضنكًا شديدة قاسية في الدنيا، ويحشرون في الآخرة عميًا{ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ} والبلاغ المبين يتحقق بثلاثة أمور، المعجزات تبيّن صدق الرسل، وتبليغ التشريع من أمر ونهي، وتبشير المؤمنين وإنذار المعرضين لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤

وقد صدّق الله تعالى الرسل في الدنيا فنصر ونجّى المؤمنين في الدنيا، ويدخلهم الجنّة في الآخرة، وأهلك الكافرين في الدنيا، ولهم جهنّم في الآخرة.

ثمّ أكّد الله تعالى قائلا:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ} المستحق للعبادة والطاعة والانقياد{ إِلَّا هُوَۚ} خالق السماوات والأرض وحده لا شريك له{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ} وليعتمد{ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} بوفاء كلّ ما وعدهم تعالى به في الدنيا والآخرة، إن هم التزموا بما كلّفهم به لقوله تعالى في سورة محمد:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ}۝٨ ففي زمن قصير نصر الله تعالى المؤمنين على الروم والفرس في السنة الخامسة عشر من الهجرة لمّا نصروا دين الله تعالى، وأتعس من كفر وأحبط أعمالهم، فالله تعالى بالغ أمره، وله تعالى الخلق والأمر في السماوات والأرض جميعًا.

ثم حذّر الله تعالى قائلًا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ} وبعض{ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ} وليس عمومهم{ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ} واحذروا الافتتان والانشغال بهم عمّا كُلفتم به من إقامة الدين في الأرض حتى

تحتكم البشرية جميعًا إليه{ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ} زلاتهم{ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ} يحب المغفرة والرحمة.

وسبب نزول هذه الآية كما ورد في كتاب مُشكل الآثار للطحاوي عن ابن عباس (رلـع) قال: هؤلاء قوم من أهل مكة أسلموا، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدعُوهم يهاجروا(أي إلى المدينة المنورة زمن الهجرة) فلما قدموا المدينة(أي بعد هجرتهم) فرأوا الناس قد تفقهوا في الدين، همُّوا أن يعاقبوهم(أي يعاقبوا أزوجهم وأولادهم) فنزلت هذه الآية:{ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم}.

ثمّ عزز الله تعالى بيانه قائلا:{ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ} واختبارٍ وابتلاء كون القلب ينشغل بهم كما قال تعالى في سورة الكهف:{ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا}٤٦ ولذلك حذّر تعالى من ذلك في قوله تعالى في سورة التوبة:{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ

وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ}﴿٢٤﴾.

فالغاية المرجوّة من إقامة الدين في الأرض احتكام كامل البشرية لشرائع الله تعالى لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ...}﴿٣٩﴾ وذلك عن طريق دعوة النّاس لدين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، أمّا القتال فقد تحملته الدول عن عموم المسلمين، والغاية من إقامة الدين في الأرض أن يفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للنّاس كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}﴿٩٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ} في الدنيا والآخرة لمن يبذل الجُهد في سبيل الله{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ} ما توعظون{ وَأَطِيعُواْ} الله ورسوله ﷺ{ وَأَنفِقُواْ} في سبيل الله لإقامة الدين في الأرض، فهو{ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ} في الدنيا والآخرة{ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ} بإنفاقه وتقواه وإحسانه{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} في الدارين.

ف{ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا} ببذل الأموال والأنفس لدعوة النّاس

لدين الله تعالى{ يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ} إلى سبعمئة ضعف كما قال تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ}﴿٢٦١﴾ ثمّ قال:{ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ} ما سلف من ذُنوب{ وَٱللَّهُ شَكُورٌ} للباذلين في سبيله{ حَلِيمٌ} لا يعاجلكم بالعقوبة، وهو تعالى{ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ} فلا تخفى عليه خافية، فاحذروا عصيانه، وهو{ ٱلۡعَزِيزُ} الذي له مقاليد السماوات والأرض، والغالب على أمره ومراده، والذي ليس كمثله شيء، ولم يكن ولن يكن له كُفُوا أحد في اسمٍ من أسمائه أو صفة من صفاته، وهو{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما يقضي ويمضي ويشرع ويحكم.

الخلاصة: -

لا يكون شيئٌ في الكون إلّا بإذن الله تعالى، ومن سننه تعالى أنّه من يؤمن بالله يهدي قلبه لدينه ورشده، وأطيعوا الله ورسوله في كل ما أُمر ونُهي عنه، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين الذي يصدق بعثته، وبيان تكاليف الرسالة، وتبشير المؤمنين وإنذار المعرضين، وعليه تعالى فليتوكل المؤمنون بوفاء ما وعدهم في الدنيا والآخرة، وليعلموا أنّ من

أزواجكم وأولادكم عدُو لهم يخذِّلونكم عمّا فُرض عليكم، فحذروا فتنتهم، وإن تعفوا وتصفحوا عن ما بدر هم فإنّ الله غفور رحيم، وليعلموا أنّما أموالهم وأولادهم محلّ فتنة وابتلاء واختبار، والله عنده أجر عظيم في الدنيا والآخرة، فاتقوا الله ما استطعتم، وأنفقوا في سبيل إقامة دينه في الأرض فهو خير لكم، ومن يُوق شحّ وبخل نفسه فهم المفلحون، وإن تقرضوا الله من أموالكم قرضا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم في الدنيا خطاياكم، والله شكور لما أنفقتم، حليم لا يعاجلكم بالعقوبة، وهو تعالى عالم الغيب والشهادة ولا تخفى عليه خافية فاحذروه، وهو تعالى العزيز الذي ليس كمثله شيء في أسم من أسمائه ولا في صفة من صفاته، ولم ولن يكن له كُفُوًا أحد، وهو الحكيم فيما يقضي ويمضي ويحكم ويشرع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الطلاق ترتيبها(٦٥) آياتها(١٢)

(١-٣) بيان بعض أحكام الطلاق وأنّ من يتقِ الله يجعل له مخرجا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي
لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ
أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ
ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل
لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ
حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣

الزوجية هي فطرة الله تعالى في جميع خلقه لقوله تعالى في سورة الذاريات:{ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ}٤٩ فجاءت

شرائع الإسلام لتعزيز الزوجية واستدامتها ما دامت ممكنة، والحدّ من الطلاق، فعلى سبيل المثال: -

سنّ تعالى أن يكون الطيبون للطيبات، والخبيثون للخبيثات في قوله تعالى في سورة النور:{ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ...}﴿٢٦﴾ إلّا أن يكون ابتلاءً كما كان لنوح ولوط- عليهما السلام- وهذه السنّة منبثقة من السنّة الإلهية الخالدة في قوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

وجاء الأمر باختيار المرأة الصالحة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال: تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك".

وجعل الله تعالى بين الأزواج مودة ورحمة في قوله تعالى في سورة الروم:{ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ}﴿٢١﴾.

وجاء الأمر بالإحسان لهن ومعاشرتهن بالمعروف لقوله تعالى في سورة النسا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا}﴿١٩﴾.

مدَّ الله تعالى العدة إلى ثلاثة قروء ليتمكن الزوجين من الرجوع للزوجية إن أرادوا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ ...}﴿٢٢٨﴾.

ولأجل الرضا عن الزوجة جاء التوجيه بمقارنة محاسن أخلاق الزوجة مع ما يُكره منها لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبى هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ" لا يفرك(أي يُبغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها آخر".

وجاء النهي عن إخراج الزوجة من بيتها أثناء عدتها لقوله تعالى في نفس السورة:{ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ} ليتسنى لكلا الزوجين العودة للزوجية مرة أخرى إن شاءوا.

نهي ولي الأمر من منع الزوجة من رجوعها إلى بيت الزوجية أثناء العدة إذا تراضوا بالمعروف لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ}٢٣٢.

النهي عن تطليق المرأة وهي حائض لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر (رلع) أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: مُرهُ فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء".

التأكد من براءة رحم المرأة من الحمل لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ} أي إلى الزوجية{ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ ...}﴿٢٢٨﴾.

إذا حصل الطلاق التام، فلا تحل الزوجة للزوج الأوّل حتى يطلقها الزوج الثاني لقوله تعالى في سورة البقرة:{ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ}﴿٢٣٠﴾.

ولذلك قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ} ويا أيها الذين آمنوا{ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ} والطلاق المسنون مرتين متفرقتين، ثمّ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ} ثمّ قال تعالى:{ فَطَلِّقُوهُنَّ} أي الطلقة الأولى{ لِعِدَّتِهِنَّ} أي طاهرات من الحيض مستقبلات العدة بشرط أن لم يكن فيه جماع{ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ} واحسبوا أجلها{ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ} فلا تتجاوزوا حدوده وشرائعه.

ثمّ قال تعالى:{ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ} أي بعد الطلقة الأولى، فإن تبيّن أنها حامل فعدتها وضع حملها لقوله تعالى في سورة الطلاق:{ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ} فإن راجعها قبل انتهاء العدة أو قبل وضع حملها، فتستمر الحياة الزوجية وتحسب عليه طلقة، فإن أراد الرجوع إلى الزوجية بعد العدة أو وضع الحمل فبعقد ومهر جديدين وتحسب عليه الطلقة الأولى، فإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو وضع حملها فهي حرة نفسها تتزوج من غيره إن شاءت.

فإن طلقها ثانية فتعتد المرأة ثانيةً وتجري عليها نفس أحكام الطلقة الأولى، فإن راجعها قبل انقضاء عدتها أو وضع حملها، فإمساك بمعروف أو تسريح تام بإحسان، وهي الطلقة الثالثة، فإن سرّحها فلا تحل له حتى تنكح زوج غيره.

ولا يجوز إخراج الزوجة من بيت الزوجية بعد الطلقة الأولى أو الثانية:{ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ} بارتكاب الإثم بإخراجها{ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا} يرضى به الزوجين أثناء العدّة{ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ} وأردتم

الرجعة قبل انقضاء العدة أو وضع الحمل{ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ} لتوثيق المراجعة{ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ} ومن سننه تعالى أنّه{ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ} في كل ما أمر به وكل ما نهي عنه{ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا} مما حلّ به من مصيبة أو ضرر، إضافة إلى ذلك{ وَيَرۡزُقۡهُ} تعالى رزقًا طيبًا{ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} ومن سننه تعالى كذلك أنّه{ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ} لقضاء حاجاته بفعل ما أُمر به وترك ما نُهي عنه{ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ} وكافيه ما يحذر{ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ} فله تعالى الخلق والأمر{ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا} معلومًا عنده وأجلٌ مسمى.

الخلاصة: -

الزوجية أصلٌ في خلق الله تعالى كله، فأطال الله تعالى العدة بثلاث قُروء أو وضع الحمل، ثمّ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، للحد من الطلاق وتيسير الرجوع للزوجية، كما نهي عن تطليق المرأة وهي حائض، وشرع عدم إخراج الزوجة من بيتها أثناء عدتها، ونهى عن منع الزوجة من الرجوع إلى بيت الزوجية أثناء العدة إذا تراضوا بالمعروف، وأمر

تعالى بتوثيق كل طلقة، ومن يتقِ الله تعالى في كل ما أُمر به ونُهي عنه يجعل له مخرجًا مما حلّ به من مصيبة أو ضرر، ويرزقه تعالى رزقًا طيبًا من حيث لا يحتسب، ومن سننه تعالى أنّه من يتوكل على الله لقضاء حاجاته بفعل ما أُمر به وترك ما نُهي عنه فهو تعالى كافيه ما يحذر، والله بالغ أمره، وجعل تعالى لكل شيء يقضيه قدرًا معلومًا وأجلٌ مسمى.

(٤-٥) بيان عدة النساء اليائسات من المحيض واللائي لم يحضن وأولات الأحمال.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

ورد في سبب نزول الآيات ما ذُكر في المستدرك على الصحيحين وغيره عن أُبي بن كعب (رلع) قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عَدَدْ من عِدَدْ النساء قالوا: قد بقي عَدَد من عِدَدَ النساء لم يُذكرن،

الصغار والكبار ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال، فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة الطلاق:{ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن}.

فبعد أن بيّن الله تعالى الحكم العام والغالب لعدّة النساء اللائي يحضن، بيّن تعالى الحكم في عِدَة النساء اللاتي يئسن من المحيض واللائي لم يحضن فقال:{ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ} لكبر سنّهن{ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ} في حُكم عِدَتهن{ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ} أي ثلاثة أشهر كذلك، ثمّ بيّن حكم المعتدّة من أولات الأحمال فقال:{ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ} وأجل عدَّتهن{ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ} والذي قد يمتد من بضع يوم إلى أن تضع حملها، فإن لم يراجعها زوجها وولدت انقضت عدّتها، وهي حرّة نفسها تتزوج متى شاءت.

ومن سننه تعالى أنّه{ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ} من المؤمنين ذكر أو أنثى{ يَجۡعَل لَّهُۥ} تعالى{ مِنۡ أَمۡرِهِۦ} الذي آلَ إليه بسبب الطلاق أو غيره{ يُسۡرٗا} في الدنيا قبل الآخرة تصديقًا لسنة الله تعالى الخالدة في قوله تعالى في

سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ}﴿١٢٣﴾ فـ{ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ} وحكمه وشرعه الذي{ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ} لتتمسكوا به فلا تُفرطوا فيه، ومن سننه تعالى كذلك أنّه{ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ} ومحارمه والشبهات{ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ} التي اقترفها في الدنيا، ولا يعاجله بالعقوبة في الدنيا{ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا} في الآخرة من عشرة أضعاف إلى سبعمئة ضعف أو يزيد، ولا يظلم ربك أحدًا وما ربّك بظلام للعبيد.

الخلاصة: -

عدة اليائسات من الحيض والصغيرات اللاتي لم يحضن ثلاثة أشهر، وعدة أولات الأحمال أن يضعن حملهن، ومن يتقِ الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجره.

(٦-٧) بيان سكنى المطلقة أثناء عدتها والنفقة على المرضع.

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ

ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾

يبيّن الله تعالى أن المسكن الذي تسكن فيه المعتدة بعد الطلقة الأولى أو الثانية في بيت زوجها فقال{ أَسۡكِنُوهُنَّ} أي أثناء عدتهن{ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم} لا أدنى منه، و{ مِّن وُجۡدِكُمۡ} بحسب يُسركم وسَعتكم{ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ} لتؤذوهن عمدًا في العيش والسعة{ لِتُضَيِّقُواْ} ولتُقتروا{ عَلَيۡهِنَّۚ} في المعيشة والمعاملة والرزق، غايتكم تنفيرهن لأجل أن يطلبن الطلاق{ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ} بالمعروف{ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ}.

فإن طلقتموهن تماماَ وبانت بينونة كبرى{ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ} ما ولدت لكم{ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} وما يستحقون من الأجر وتكاليف العيش{ وَأۡتَمِرُواْ} وتناصحوا{ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ} على نفقة الأم والمولود حتى الفطام{ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ} وتنازعتم واختلفتم على مقدار النفقة{ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ} امرأة{ أُخۡرَىٰ} بأجر.

ثمّ قال تعالى:{ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ} التي وسع الله عليه عمومًا، على مطلقته أثناء العدّة، وعلى المولود مدّة الرضاعة دون إجحاف{ وَمَن

قُدِرَ} وقُتر وضُيق{ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ} في العيش{ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ} فإنّ الله تعالى لا يشقّ عليكم و{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ} من رزق، وتيقنوا أنّه{ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٍ} وضيق وشدّة{ يُسۡرًا} وسعة وفرجًا تجدونه في حياتكم إذا التزمتم بهديه.

الخلاصة: -

لا بدّ أن يكون سكنى المطلقة رجعيًا بمستوى سكن الزوج، ولا يقل عنه، ولا يجوز الإضرار بهن لأجل أن يطلبن الطلاق، وأن يُنفق الزوج على ذات الحمل حتى تضع حملها، فإن أرضعت له بعد طلاقها وجبت عليه نفقتها وولدها، وأن يأتمر الزوجين بالمعروف في ذلك، وإن تعاسروا فسترضع له أخرى، والنفقة عمومًا تكون بحسب السعة واليسر، فلا يكلف الله نفسًا إلّا ما آتاها، وإنّه تعالى جاعلٌ بعد عسر يسرًا عند الالتزام بهديه وشرائعه.

(٨-١٢) بيان أنّ سننه تعالى لا تتخلف عن أحد والأمر بالتمسك بهديه.

وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا

وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ
أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ
لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ
مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢

بعد أن بيّن الله تعالى أحكام الطلاق وعُدَدْ المطلقات، واليائسات من المحيض، واللائي لم يحضن، وأولات الأحمال، وسكنى المطلقة رجعيًا، ونفقة المرضع، حذّر الله تعالى من عدم الالتزام بشرائعه وأحكامه التي شرعها للناس فقال{ وَكَأَيِّن} أي وكم{ مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ} وعصت وامتنعت وأعرضت وتجبرت{ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا} وأحكامه وشرائعه{ وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا} غليظًا رادعًا في الدنيا{ فَذَاقَتۡ وَبَالَ} وسوء العاقبة من{ أَمۡرِهَا} بكفرها وعصيانها{ وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا}

وطغيانها في الدنيا{ خُسۡرًا} كما قال تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ}١٤ تصديقًا لسُنّة الله تعالى الخالدة في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤.

كما و{ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ} عظيمًا غليظًا في الآخرة{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ} واتقوا عقوبته وغضبه{ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ} واحذروا مخالفته وعصيان أحكامه وشرائعه، ف{ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا} دينًا قِيمًا، و{ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ} للحق والشرائع والأحكام، ومبينًا لسننه التي يمضيها في النّاس{ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ} التي راكمتها الجاهلية من شرائع وأحكام جائرة على مر الزمان، ليهديهم ويرشدهم{ إِلَى ٱلنُّورِۚ} والتشريع الإلهي الذي لا يضل ولا يشقى من اتبعه في الدنيا، ويحشره تعالى يوم القيامة مبصرًا، ومن أعرض

عنه فإنّ له معيشة قاسيةً ضنكًا في الدنيا، ويحشره تعالى يوم القيامة أعمى.

ومن سننه تعالى أنّه{ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ} مصدقًا موقنًا{ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ} لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها كلامًا ساقطًا لُغوب، و{ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا} بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، كقوله تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ} في الدنيا{ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٩٧﴾ في الآخرة.

ثمّ قال تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّۖ} أي سبع أراضين مثل عددهن{ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ} والوحي من الله تعالى{ بَيْنَهُنَّ} أي بين السماوات وتلك الأراضي التي فيهن، وفي الآية إشارة إلى أنّ في كل سماء أرض، ويخلق ما لا تعلمون، فأخبركم بخبرها، فإذا تبيّنت لكم تلك الحقيقة، وصدق ما أخبركم به تعالى، فذلكم{ لِتَعْلَمُوٓا۟} علم يقين{ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ} بعلمها و{ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا}.

الخلاصة: –

يحذّر الله تعالى المؤمنين من مخالفة شرعه وأحكامه عمومًا، وما شرعه لأحكام الطلاق خصوصًا بسننه التي لا تتخلف عن أحد، والتي أمضاها فيمن سبق من الأمم التي جحدت وعتت عن أمر ربها ورسله، فحاسبها الله تعالى حسابًا شديدًا وعذّبها عذابًا نكرًا في الدنيا قبل الآخرة، فاتقوا معصيته يا أولي الألباب والعقول، فقد أنزل تعالى إليكم ذكرًا رسولًا يتلوا عليكم آياته وأحكامه وشرائعه، لأجل أن يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات وتشريعات الجاهلية إلى نور تشريع الإسلام ورحمته، ومن يؤمن بالله تعالى ويعمل صالحًا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، قد أحسن الله له رزقًا، وهو تعالى الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن عددًا، وأمره يتنزل بينهن، ذلك لتعلموا أنّ الله تعالى على كل شيء قدير، وأنّ الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التحريم ترتيبها (٦٦) آياتها (١٢)

(١-٥) النهي عن تحريم ما أحل تعالى وموالاته تعالى لرسوله ﷺ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ
ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ
أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ
قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا
خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبۡكَارٗا ۝٥

قيل في سبب نزول الآيات ما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواصيت أنا وحفصة على أيّتُنا دخل

عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدا". والمغافير هو صمغ حلو يؤكل يسيل من شجر العُرفُط.

فنبّه الله تعالى رسوله ﷺ وأمته بأن التشريع بالحل والحرمة ليس لأحد سواه، الذي له الخلق الأمر فقال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ} من شرب عسل أو المكث مع من تريد من أزواجك لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ ...}﴿٥١﴾ فكنت{ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ} والأولى ابتغاء مرضات الله{ وَٱللَّهُ غَفُورٞ} يقبل التوب، وبالمؤمنين رؤوف{ رَّحِيمٞ}.

ومن رحمته أنّه تعالى{ قَدۡ فَرَضَ} وشرع{ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ} وكفارة حلفكم بصيام أو صدقة لقوله تعالى في سورة المائدة:{ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ

كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ}٨٩ ثمّ قال:{ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ} ومؤيدكم وناصركم{ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ} بخلقه وبما يُصلح أحوالهم من حُكم وتشريع، وهو{ ٱلۡحَكِيمُ} فيما يُشرّع ويقضي ويمضي من سنن في خلقه.

ثمّ نبّه تعالى على وجوب كتم سرِّ رسوله ﷺ فقال:{ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا} أي لأم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- وأمرها أن لا تخبر به أحدًا{ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ} وأفشته لأم المؤمنين حفصة- رضي الله عنها-{ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ} فأخبره بما كان{ عَرَّفَ} رسول الله ﷺ{ بَعۡضَهُۥ} لأم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-{ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ} ما قالت{ فَلَمَّا نَبَّأَهَا} ﷺ{ بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ} بكل شيء.

ثمّ أرشد تعالى زوجتيه ﷺ قائلا:{ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ} تعالى عمّا بدر منكُنّ{ فَقَدۡ صَغَتۡ} وطاعت ولانت وأيقنت{ قُلُوبُكُمَاۖ} إلى الحق وقَبِلَته،

أمّا{ وَإِن تَظَٰهَرَا} وتعاونا{ عَلَيۡهِ} ﷺ{ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ} ومؤيده وناصره{ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ} وناصر ومعين.

ثمّ حذّرهن فقال{ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ} يقينًا{ إِن طَلَّقَكُنَّ} وسرحكنّ{ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ} ومن هذا يتبيّن أنّ الله تعالى هو الذي يزوج نبيّه ﷺ بـ{ مُسۡلِمَٰتٍ} مستسلمات لشرع الله تعالى، مظهرات القبول والخضوع{ مُّؤۡمِنَٰتٍ} مصدقات مُطمئِنّات واثقات بإيمانهن{ قَٰنِتَٰتٍ} مطيعات لله تعالى، خاضعات مقرات بالعبودية له تعالى، ملازمات لطاعته، مطيلات قيام الصلاة والدعاء{ تَٰٓئِبَٰتٍ} معترفات مقرات بالتقصير، مقلعات عن الذنب، عازمات على عدم العود{ عَٰبِدَٰتٍ} معظمات لأمر الله تعالى، طائعات خاشعات خاضعات متذللات{ سَٰٓئِحَٰتٍ} بفعل الخير في الأرض، ملازمات للصوم والصلاة، ويزوجه تعالى إمّا بـ{ ثَيِّبَٰتٍ} من بعد زوج{ وَأَبۡكَارًا} عذارى.

الخلاصة: -

ينبه تعالى رسوله ﷺ وأمته بأنّ التشريع بالحل والحرمة له تعالى وحده، وأنّ مرضاته تعالى أولى بالمداراة، والله تعالى غفور رحيم، فشرع

تعالى تحلة الأيمان والحلف بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، وهو تعالى مولاكم ومؤيدكم وناصـــركم، وهو تعالى العليم بما يصلح شؤونكم، الحكيم فيما يشرع ويقضي ويمضي من سنن، ثمّ حذّر الله تعالى زوجتيه ﷺ من إفشـــاء ســـرّهِ ﷺ، وأكدّ تعالى أنّه هو مولاه، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ومعين، وبيّن تعالى أنّه هو الذي يزوجه ممن يشـــاء ويبدله بأزواج خيرًا منهن، مؤمنات قانتات تائبات عابدات ثيبات وأبكارا.

(٦-٨) الأمر بوقاية النفس والأهل من النار والتوبة للفوز في الآخرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ
عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا
يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ
يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾

يوجِّه الله تعالى المؤمنين قائلا:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ} وجنبوا{ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا} فكلّلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر (رلع) أن رسول الله ﷺ قال:" ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

فكلّ فرد من أفراد الأمة مسؤول أمام الله تعالى يوم القيامة عن نفسه ورعيته، وعليه أن يقي نفسه ومن يرعاهم من النّار، بتعلم الدين وتعليمه، من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة النّاس لدين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بالوسائل المشروعة المتاحة، حتى يكون الدين كلّه في الأرض لله لتحتكم البشرية إليه.

ونار الآخرة ليست كنار الدنيا لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" و{ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ} التي لا تتقد في الدنيا، ومن شدّة حرّها ولظاها يُصهر بها ما في البطون والجلود لقوله تعالى في سورة الحج:{ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ}﴿٢٢﴾ و{ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ} صعاب قساة{ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ويقال في ذلك اليوم:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} والممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَۖ} عن كفركم{ إِنَّمَا} هو القصاص لـ{ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ولا تظلمون شيئًا.

ثمّ يوجه الله تعالى المؤمنين قائلا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} وصدّقوا بالله ورسله{ تُوبُوٓاْ} وارجعوا وأنيبوا{ إِلَى ٱللَّهِ} وإلى طاعته في كل ما أمر وكل

ما نهي عنه، ولتكن{ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا} بالندم على الذنب والإقلاع عنه، والاستغفار، والعزم على عدم العود، فمن سننه تعالى أن لا يغير ما بنفس من خير أو شر حتى تغير النفس حقيقة ما في قلبها، فـ{ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ} جزمًا إن فعلتم ذلك إلى يوم تلقونه{ أَن} يغفر و{ يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ} في الدنيا ولا يعاجلكم بالعقوبة بسننه حتى تتوبوا{ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} في الآخرة{ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ} ويُرى{ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ} من أمامهم{ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ} اليمنى جزاء صالح أعمالهم، وهم{ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.

ويومها لا يكون للمنافقين نورا لقوله تعالى في سورة الحديد:{ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ

أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ}﴿١٥﴾.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أن كل نفس مسؤوله عن رعيتها، وعلى ولي الأمر أن يتعلم ويُعلِّم من في ولايته الدين لاجتناب النّار التي وقودها النّاس والحجارة، وذلك بفعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نُهي عنه، والتي عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون، ويقال للذين كفروا عنادًا وعصيانًا واستكبارًا: لا تعتذروا اليوم، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا، ويأمر الله تعالى المؤمنين بأن يتوبوا إلى الله تعالى توبة نصوحًا خالصةً، ليكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة، ويُرى نورهم يسعى من بين أيديهم ومن أمامهم بأعمالهم الصالحة ويقولون: ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير.

(٩-١٢) الأمر بمجاهدة الكفار والمنافقين وبيان أنه لا يغني مؤمن عن كافر شيئًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ
لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن
فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ
أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ
وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢

يرشد الله تعالى النبي ﷺ وأمّته قائلًا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ} والجهاد هو الجدّ في بذل الوسع والطاقة للوصول إلى الغاية، والغاية من الجهاد هي إقامة الدين في الأرض لتحتكم البشرية إليه، ليفتح الله تعالى على النّاس بركات السماء والأرض ولا يعذبهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦}.

أمّا جهاد القتال في ظل الدولة فهو للحاكم وولي الأمر، ويبقى على المسلم جهاد الكلمة كلٌ بحسب طاقته وعلمه وماله ونفسه، من تَعُلم الدين وتعليمه، من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبلاغ المبين، ودعوة النّاس لدين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بالوسائل المشروعة والمتاحة.

أمّا إغلاظ القول فيكون بالبشارة والنذارة بسنن الله تعالى التي يمضيها في الكافرين والمنافقين وهي كثيرة جدًا في القرآن العزيز، فالكافرون يلعنهم الله تعالى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا}﴿٦٤﴾ واللعن هو الطرد عن رحمته تعالى، ومنه صم الآذان وإعماء الأبصار عن هديه تعالى لقوله في سورة محمد:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}﴿٢٣﴾ أو إنزال العذاب بهم كقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}﴿٣١﴾ أو غير ذلك من السنن.

أمّا المنافقون فسننه تعالى أن يزيد النفاق في قلوبهم كقوله تعالى

في سورة البقرة:{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ}﴿١٠﴾ أو يعذبهم مرتين في الدنيا قبل الآخرة كقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ}﴿١٠١﴾ أو غير ذلك من السنن، إلّا أن يتوبوا، فلله العزّة، فإنّ الله تعالى لا يغير سننه فيهم حتى يغيروا ما بأنفسهم لقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ...} ثمّ يقول تعالى{ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ} في الآخرة{ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} الذي يصيرون إليه، وهذا من تغليظ القول.

ثمّ بيّن الله تعالى أنّه لا يغني مؤمن عن كافر ولا منافق شيئًا مهما كانت قرابته فيقول:{ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ} عمومًا أو بالرسول ﷺ خصوصًا{ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا} بكفرهما بالرسل وتكذيبهما بالدين{ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا} من سنن الله تعالى في الدنيا، فأهلكهما الله تعالى{ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} في الآخرة.

وفي هذا المثل تحذير لكفّار أهل الكتاب الذين أخذ الله تعالى عليهم الميثاق بالإيمان بالرسول ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٨٢﴾ فلا ينفعهم إيمانهم بأنبيائهم بعد بعثة الرسول ﷺ إن لم يؤمنوا به وينصروه.

ثمّ ضرب الله تعالى المثل للذين آمنوا فقال:{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ} المؤمنة التي لم يضرها كفر واستكبار زوجها فرعون{ إِذۡ قَالَتۡ} متبرئة منه ومن عمله:{ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ} واستكباره وادعائه الربوبية واضطهاد بني إسرائيل وغير ذلك{ وَنَجِّنِي مِنَ} بطش{ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} فاستجاب لها تعالى وأغرق فرعون وملئِه.

ثمّ ضرب الله تعالى مثل آخر للمؤمنات الصالحات فقال:{ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ} وعفّت{ فَرۡجَهَا} وبرأها تعالى من الفاحشة

وقال:{ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} أي جبريل (عس)، إشارة إلى قوله تعالى في سورة مريم:{ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا}﴿٢١﴾ كما{ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا} ووعوده لقوله تعالى في سورة النساء:{... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ...}﴿١٧١﴾ كما{وَ} صدّقت بـ{ كُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ} الطائعات الخاضعات لله تعالى المقرّات بالعبودية، المطيلات قيام الليل والدعاء، فحقق الله تعالى وعده لها ووهبها تعالى عيسى (عس) غلامًا زكيًا نبيًا.

الخلاصة: -

يوجه الله تعالى النبي ﷺ وأمته لمجاهدة الكافرين والمنافقين لإقامة الدين في الأرض إلى أن تحتكم البشرية لدينه تعالى، وإغلاظ القول لهم بتذكيرهم بسننه تعالى التي يقيمها تعالى فيهم بإسعاد من اتبع هديه في

الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وبيان أنّ مصيرهم في الآخرة لجهنّم، أمّا قتالهم في ظل الدولة فأمره للحاكم وولولي الأمر، وبيان أنّه لا يغني المؤمن عن الكافر ولا المنافق شيئًا مهما كانت قرابته كامرئتي نوح ولوط عليهما السلام، وأنّ المرأة الصالحة لا يضرها صنيع زوجها، فسنن الله تعالى ماضية في النّاس أجمعين كلٌ بحسب عمله وحقيقة ما في الصدور.

ومضات في فهم الآيات الجزء التاسع والعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الملك ترتيبها (٦٧) آياتها (٣٠)

(١–٤) الأمر بتعظيم الله تعالى وتقديسه وتنزيهه وبالتدبر فيما خلق.

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤

من فضائل سورة تبارك ما ورد في مسند الإمام أحمد ابن حنبل والترمذي عن أبي هريرة (رلع) عن النبيِّ ﷺ:" أنّ سورة من القرآن، ثلاثين آية، شفعت لرجل حتى غُفِر له، وهي تبارك الذي بيده الملك" وسمّيت المانعة من عذاب القبر، فيندب الإكثار من قراءتها.

يقول تعالى أنّه{ تَبَٰرَكَ} على خلقه في خلقه دون تفصيل، والآية تفيد في عمومها تعظيم الله تعالى وتقديسه من خلال خلقه لهذا الكون. وأصل البركة هي النماء والزيادة، فمن بركة الله تعالى أن نشأت البشرية من آدم وزوجه، وانتشرت البشرية منهما في الأرض، والبركة في الهواء

يتنفسه الناس، وأكلت وتأكل البشرية من البر والبحر، تشرب الماء دون انقطاع، وفي الأرض ما تحتاجه البشرية لشتى الصناعات، وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى كثير من بركاته ومنها: -

- أن الله تعالى أنزل القرآن لتستتير به البشرية للتفريق بين الحق والباطل ولإقامة العدل بين النّاس، وبشارة للمؤمنين ونذارة للمعرضين كما قال في سورة الفرقان:{ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} ﴿١﴾.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق الماء وأنزله من السماء لإخراج النَّبات والثِّمار التي يحتاجها النّاس كما قال في سورة الأنعام:{ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ﴿٩٩﴾.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق الأنعام للناس لما فيها من منافع جمّة كما قال تعالى في سورة النحل:{ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ

إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} ۝٨ فكم أكل الناس من لحومها شرِبوا من ألبانها واستفادوا من منتجاتها وسينتفعون.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق البحار ليبتغي النّاس منها من فضله كما قال في سورة النحل:{ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ}۝١٤.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق النَّحل لصنع العسل غذاء وشفاء للنّاس كما قال تعالى في سورة النحل:{ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ}۝٦٩.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق الشمس والقمر دائبين لا ينتابهم العطب، وسخّرهما لتأمين الحياة والمناخ المناسب للخلق، وعملية التمثيل الضوئي للنباتات، ولتبخير البحار لتعود أمطارًا، ولتنشأ ظاهرة المد والجزر لما لها من أهمية لتغيير مياه البحار والمحيطات

ومصبات الأنهار كما قال في سورة إبراهيم:{ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ}﴿٣٣﴾.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق النجوم وسخّرها لهداية النّاس في البر والبحر كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ}﴿٩٧﴾.

- ومن عظمته تعالى وبركته أن خلق الحديد وجعله في الأرض لصناعة الآلات والسيّارات والقطارات والبواخر وحاملات طائرات وغيرها كما قال تعالى في سورة الحديد:{... لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾.

ثمّ قال تعالى:{ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ} ومن مقتضيات المُلك: -

- فلا مُلك لأحد من شيء سواه كما قال تعالى في سورة سبأ:{ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ}﴿٢٢﴾.

- ويختار رُسُله من الملائكة والنّاس لقوله تعالى في سورة الحج:{ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ}٧٥ ولما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال:" إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ"، قال الإمام مالك في الموطأ:" فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ" من قول ابن مسعود. وبهذا المعيار اختار الله تعالى أنبيائه ورسله وأصحابهم وأتباعهم.

- أن يُطاع الرسل بإذنه لعلمه بحقيقة ما في الصدور لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ...}٦٤.

- لا يؤمن أحد إلّا بمشيئته لقوله تعالى في سورة يونس:{ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠ ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ

وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ}١١١ لعلمه بحقيقة ما في الصدور.

- وهو تعالى الذي ينشئ السحاب ويرسل الصواعق على من يشاء لقوله تعالى في سورة الرعد:{ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ}١٣.

- وهو تعالى الذي يهب لرسله ما يشاء من المعجزات لقوله تعالى في سورة غافر:{ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ...}٧٨ ولقوله تعالى في سورة إبراهيم:{... وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١.

- وهو تعالى الذي يُعلِّم الرسل والنّاس ما يشاء كما قال تعالى عن يوسف (عس) في سورة يوسف:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وكما قال عن موسى (عس) في سورة القصص:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ}١٤.

- وهو تعالى الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء بعلمه بحقيقة ما في القلوب لقوله تعالى في سورة فاطر:{ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ}﴿٨﴾.

- وهو تعالى الذي يختار السابقون من عباده بعلمه وحكمته وعدله ولا يظلم ربك أحدا لقوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ}﴿٣٢﴾.

- لا تموت نفس إنسان ولا جنّ ولا حيوان ولا نبات إلّا بإذن الله تعالى لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ}﴿١٤٥﴾

- والله تعالى هو الذي يأذن بوقوع السحر على المسحور، وليس للسّاحر شيء إلّا بإذن الله تعالى جزاءً أو بلاءً أو تمحيصًا لقوله تعالى في سورة البقرة:{... فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ

وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾١٠٢.

- النفع والضُر بيده تعالى بحكمته وعلمه وعدله ولا يظلم ربك أحدا لقوله تعالى في سورة التغابن:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾١١ ولما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبدالله بن عباس (رلع) انه حدثه انه ركب خلف رسول الله ﷺ يوما فقال له رسول الله ﷺ :" يا غلام إني مُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

- ولله تعالى الخلق والأمر في الأرض والسماء لقوله تعالى في سورة الأعراف:﴿... وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾٥٤.

- وهو تعالى الذي يسخِّر ما في الكون كيف يشاء لقوله تعالى في سورة الجاثية:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ

وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٣.

- وهو تعالى المدبر لأمر السماوات والأرض لقوله تعالى في سورة يونس:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٣.

- ولا يشفع أحد لأحد في الآخرة إلّا بإذنه، ولا يعلم أحد شيئًا إلّا بإذنه لقوله تعالى في سورة البقرة:﴿... مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ٢٥٥.

- لا يدخل الجنّة أحدًا إلّا بإذن الله تعالى لقوله تعالى في سورة إبراهيم:﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ٢٣.

ثمّ عرّف تعالى نفسه تعريفًا آخر فقال:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ﴾ فعل﴿ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء، وهو﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ والخلق هو ابتداع الشيء على

غير مثال بعد أن لم يكن، وخلق{ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ} وقدّم الموت على الحياة لأن الموت هو الأصل في هذا الكون ثم طرئت الحياة عليه لقوله تعالى في سورة البقرة:{ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ}(٢٨).

ثمّ بيّن الغاية من ذلك فقال:{ لِيَبۡلُوَكُمۡ} وليمتحنكم وليختبركم{ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ} والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك{ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ} الذي ليس كمثله شيء والغالب في كلّ أسمائه وصفاته، وهو تعالى الغني عن كلّ خلقه، والممتنع الذي لا يُخلص إليه، ومن عزّته تعالى أن لا يقبل الشريك لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبى هريرة (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معيَ غيري تركته وشركه".

وهو تعالى{ ٱلۡغَفُورُ} لذنوب التائبين مهما كانت، وهو تعالى{ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ} مطبقًا بعضها على بعض، ويغطي بعضها بعضًا كما جاءت المعاني في قواميس اللغة{ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ} ولا خلل ولا اضطراب ولا تباين{ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ} وأعد النظر في السماء{ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ}؟ أو شقوق{ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ} مرّات ومرّات{ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا} متصاغرا أمام ابداع خلق الله تعالى{

وَهُوَ حَسِيرٌ} قاصر لا يمكنه رؤية كثير من الأشياء كالأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء والمجالات المغناطيسية، ولا الأشياء البعيدة جدا التي لا يصل منها الضوء.

الخلاصة: -

تبارك الله تعالى على خلقه في خلقة، وتقدس وتنزه عن خلقه، فهو على كلِّ شـــيء قدير، وأنّ الغاية من الموت والحياة امتحان أعمال النّاس ليتبيّن أيهم أحســـن عملا وهو العزيز الذي ليس كمثله شـــيء والغالب على أمره ومراده، والغفور مهما كانت الذنوب، وهو تعالى الذي خلق السبع السماوات مطبقة على بعضها دون خلل فيها ولا اضطراب ولا شقوق.

(٥-١٤) الإشارة إلى الابداع في خلق السماء وبيان جزاء الكفرين والمؤمنين.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦
إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ
أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ
كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ
فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

ثمّ يقول تعالى:{ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ} أي بنجوم وكواكب، أمّا نجم المجموعة الشمسية فهي الشمس، وهي النجم المركزي للمجموعة الشمسية ويبلغ قطر الشمس مئة وتسعة(١٠٩) ضعف قطر الأرض، ويقدر قطر الشمس بحوالي مليون وثلاثمئة واثنان وتسعون ألف وستمائة وأربعة وثمانون (١,٣٩٢,٦٨٤) كيلومتر، وكتلة الشمس تساوي تسعة وتسعون وستة وثمانون من مئة ٩٩,٨٦٪ في المئة من كتلة المجموعة الشمسية، أي أنّ كتلة كل كواكب المجموعة الشمسية تساوي أربعة عشر من مئة ٠,١٤٪ في المئة فقط من المجموع الكلي للمجوعة الشمسية والشمس من مجرة التبانة والتي تحتوي على نحو مئتي(٢٠٠) مليار نجم تقريبا، ووظيفة الشمس تأمين الحياة والمناخ على الأرض، وعملية التمثيل الضوئي للنباتات كما جاء في الموسوعة الحرّة.

ثمّ قال تعالى عن الشموس{ وَجَعَلۡنَٰهَا} أي المصابيح أو النجوم{ رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ} والشياطين هم كفرة الجنّ، فالنجوم جعلها تعالى منصات لرجم الشياطين بالشهب كما في قوله تعالى في سورة الجن:{ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا}﴿٩﴾ وهيئنا{ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ} في الآخرة{ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ} كما{ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ} الذي ينتهون إليه{ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا} وصوتاَ شديدا{ وَهِيَ تَفُورُ} وتغلي، جزاء كفرهم وتصديقا لسنّة الله تعالى في قوله في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ومن شدّة غيظها وغضبها عليهم{ تَكَادُ تَمَيَّزُ} وتتقطع{ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ} والغضب{ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ } وجماعة وزمرة{ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ} من الملائكة:{ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ} ينذركم عاقبة كفركم؟{ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ} وبعيد{ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ} في الدنيا{ مَا كُنَّا} اليوم{ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ} والحميم{ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا} وبعدًا عظيمًا عن رحمة الله تعالى{ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ}.

ثمّ يقول تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم} ويخافون وعده ووعيده{ بِٱلۡغَيۡبِ} في الخلوة والعلن{ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ} لذنوبهم في الدنيا{ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ} في الآخرة{ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ} معشر الإنس والجن{ إِنَّهُۥ} تعالى{ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} وطبعها وحِيلها وما تُكنّه وتخفيه{ أَلَا يَعۡلَمُ} هذا المعرض عن هدي الله تعالى{ مَنۡ خَلَقَ} الخلق{ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ} الرفيق بخلقه{ ٱلۡخَبِيرُ} بهم وبأعمالهم، نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة آمين.

الخلاصة: -

الله تعالى هو الذي زيّن السماء الدنيا بمصابيح وجعلها منصّات لقذف مسترقي السمع من الشياطين، وفي الآخرة أعدّ لهم عذاب السعير، كما أعدّ للكافرين بربهم عذاب جهنّم وبئس المصير الذي ينتهون إليه، وأنّ جهنّم تتغيظ وتغضب عليهم، ويندمون حين لا ينفعهم الندم، أمّا المؤمنون فيغفر الله تعالى لهم ذنوبهم الدنيوية ولهم في الآخرة أجر كبير، وإنّ إسرار القول أو الجهر به سواء عند الله تعالى.

(١٥-١٨) الأمر بالنظر في الأرض والتحذير من عقوبته الدنيوية.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

أشار تعالى إلى جعل الأرض ذلول لخلقه فقال:{ هُوَ } سبحانه وتعالى{ ٱلَّذِى} من ابداع واتقان خلقه{ جَعَلَ لَكُمُ} ولمصالحكم{ ٱلۡأَرۡضَ} بكل مكوناتها{ ذَلُولٗا} لا تستعصي عليكم لقضاء منافعكم{ فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا} وربوعها وجنباتها وأرجائها، وتأملوا في عظيم خلقه وإبداعه، وتدبروا في سنن الله في النّاس{ وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ} الذي أخرجه لكم{ وَإِلَيۡهِ} يقينا البعث والحشر و{ ٱلنُّشُورُ}.

ثمّ قال تعالى:{ ءَأَمِنتُم} معشر النّاس إن كفرتم وأعرضتم عن هدي الله تعالى{ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ} الجبّار المنتقم{ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ} وتضطرب وتتزلزل فتهلككم بذنوبكم وعنادكم{ أَمۡ أَمِنتُم} إن عصيتم وكذبتم{ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ} فيحصبكم بالحصى والحجارة كما فعل بقوم لوط أو أصحاب الفيل{ فَسَتَعۡلَمُونَ} عندها{ كَيۡفَ} كان الـ{ نَذِيرِ} الذي أنذركم{ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن

قَبۡلِهِمۡ} من الأمم{ فَكَيۡفَ كَانَ} عذاب الله تعالى في الدنيا{ نَكِيرِ} كما فعل بعاد وثمود وفرعون الذين طغوا في البلاد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب، وسيظل عذاب الله تعالى مستمر في الذين كفروا في الدنيا إلى يوم القيامة لقوله تعالى في سـورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

الخلاصة: –

الله تعالى هو الذي جعل من ابداع خلقه الأرض للنّاس ذلولًا لقضاء مصالحهم وليمشوا في جنباتها ويروا سننه التي أمضاها في النّاس، وليأكلوا من رزقه وليعلموا أنّه تعالى له النشور، ولا أمان للمعرضين عن هدي الله تعالى من أن يخسف الله تعالى بهم الأرض فتمور، أو أن يحصبهم بحجارة كقوم لوط أو أصحاب الفيل، عندها سيعلمون كيف نذير.

(١٩–٢٢) الإشارة إلى إبداعه تعالى في خلق الطير وحوار المعرضين.

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ

ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢

ثمّ يقول تعالى للكافرين المعرضـــين عن هديه تعالى:{ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ} إلى ابداع واتقان خلقه تعالى{ إِلَى ٱلطَّيۡرِ} وهي{ فَوۡقَهُمۡ} تطير{ صَٰٓفَّٰتٖ} باسـطات أجنحتها سـابحات في السـماء{ وَيَقۡبِضۡنَۚ} جناحها واثقات آمنات{ مَا يُمۡسِكُهُنَّ} في جو السـماء{ إِلَّا} اتقان وابداع صـنع وخلق{ ٱلرَّحۡمَٰنُۚ} الذي أحسن كلّ شيء خلقه ثمّ هدى، فجعل وزنها متناسقا مع حجم جناحها، وهيكلها العظمي خفيف يقدر بخمسـة عشـر ١٥٪ في المئة من وزنها، ومغطاه بريش خفيف يعين على حملها في الهواء، منها البري والبحري والذي لا يطير كالنعام، وألوان بديعة زاهية علما بأنّ أصناف الطير يقدر بعشرة آلاف نوع، والطيور عموما لا تعرق كما ذكر في موسوعة الحرّة، واعلموا{ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ} لا يغيب عنه شيء في السماوات ولا في الأرض.

ثمّ أخبروني{ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ} وعون ونصير{ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ} إن حلّ عليكم عذابه وعقوبته في الدنيا، لكنّ الحقيقة{ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ } الحياة الدينا وخداع الشيطان وباطله، ثمّ

أخبروني{ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ} وحبس عنكم{ رِزۡقَهُۥۚ} من السماء والأرض{ بَل} الحقيقة أنّهم{ لَّجُّواْ} وانغمسوا وتمادوا{ فِي عُتُوّٖ} وعناد واستكبار{ وَنُفُورٍ} عن الحق الذي جاء من عند الله تعالى وأخبرت به الرسل، ثمّ سلهم{ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ} لا يعرف مبتغاه، منغمسا في لهوٍ وعبثٍ وضلال{ أَهۡدَىٰٓ} وأرشد وأبصر وأعلم{ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا} منتصبا وفي منتهى نضجه وتمام راشده و{ عَلَىٰ صِرَٰطٖ} ومنهج وطريق{ مُّسۡتَقِيمٖ} يوصله لمبتغاه وغايته؟

الخلاصة: -

ينبه الله تعالى إلى ابداع خلقه للطير وطيرانها باسطات وقابضات أجنحتها، مبينًا أنه بكل شيء بصير، مؤكدًا تعالى أن لا ناصر للكافرين من عذابه إذا نزل، وأنّهم في غرور أنفسهم وتزيين الشيطان، وأنّه تعالى الرازق لخلقه، وأنّ المعرضين في عتو وعناد ونفور.

(٢٣-٢٧) الإشارة إلى إبداع خلق الناس وتكذيب الكافرين وحسرتهم يوم الدين.

قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ

مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠
نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

ثمّ قال تعالى:{ قُلۡ} للمعرضين عن هدي الله تعالى{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ} وأبدع وأتقن خلقكم{ وَجَعَلَ لَكُمُ} ولمصلحتكم ومنفعتكم{ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ} وتحمدون وتتدبرون، ثمّ{ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ} وكثركم ونشركم{ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ} يوم القيامة{ تُحۡشَرُونَ} وترجعون وتؤولون{ وَيَقُولُونَ} مستكبرين مستهزئين{ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ} والأجل المسمى الذي تخبرون{ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} مُحقّين{ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ} بخبر ذلك الوعد{ عِندَ ٱللَّهِ} لا يعلمه أحد سواه{ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ} من عذابه في الدنيا والآخرة{ مُّبِينٞ} بالحجج والبراهين{ فَلَمَّا رَأَوۡهُ} عيانًا{ زُلۡفَةٗ} ووهلةً{ سِيٓـَٔتۡ} وقبُحت وشاهت{ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ} لهم{ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ} وتسألون وتنكرون.

الخلاصة: -

الله تعالى هو الذي أنشأ الناس وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، لكن قليلًا ما يشكرون، وهو تعالى هو الذي نشرهم في الأرض وإليه يحشرون، إلّا أنّ المعرضين عن هديه تعالى منكرون،

وأنهم حين يرونه تســوء وجوههم ويقال لهم هذا الذي كنتم به تدعون وتطلبون.

(٢٨-٣٠) حوار الكافرين وبيان أن لا نجاة لهم وأنّ الأمر كلّه بيده تعالى.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

ثمّ قال تعالى:{ قُلْ أَرَءَيْتُمْ} أيها المعرضون عن هدي الله تعالى{ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ} من المؤمنين كما تودون ابتلاءً من عنده{ أَوْ رَحِمَنَا} بسننه الخالدة بإسعاد من اتبع هديه{ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} في الدنيا والآخرة؟ كما قال تعالى في سورة الرعد:{ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ}﴿٣٤﴾ فـ{ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ} ينجينا، الذي{ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ} في كل شؤوننا{ فَسَتَعْلَمُونَ } في الآخرة{ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ} جليّ واضح{ مُّبِينٍ} و{ قُلْ

أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا } عميقا لا يرجى الوصول إليه{ فَمَن} غير الله تعالى{ يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ}؟ عَذبٌ فرات، قل: الله رب العالمين.

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى نبيّه ﷺ محاورة الكافرين فيما لو أهلكه ومن معه من المؤمنين كما يرغبون، فمن سيجيرهم من عذاب أليم ينزل عليهم في الدنيا وفي الآخرة، ثمّ يؤكد لهم أنّه لا ينجيهم من ذلك ألّا الرحمن الذي آمنوا به وعليه يتكلون، وفي الآخرة سيُعلم من هو في ضلال مبين، وأن لو جعل الله تعالى الماء غورًا لا يمكن الوصــــول إليه، فمن غير الله تعالى سيأتيهم بماء عذب معين؟

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القلم ترتيبها (٦٨) آياتها (٥٢)

(١-١٦) القسم بأنّه ﷺ ليس بمجنون وإنّه على خلق عظيم، والأمر بالإعراض عن الكافرين.

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا
غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥
بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ
بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعۡ
كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢
عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ
أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦

يقسم الله تعالى بحرف من حروف اللغة العربية وهو "النون" فقال:{نٓۚ} والقسم بالحروف عموما يشير إلى أهميتها في كتابة اللغة، ولولا الحروف لما كانت اللغة، ولو أنّ كفّار قريش لم يفهموا معنى هذه الحروف لكتبوا الأشعار والمعلقات في ذم القرآن وأهله وعلّقت في بيت الله تعالى كعادتهم، وهم الذين حاربوا الإسلام وأهله لمدة إحدى وعشرين

عاما حتى فتحت مكّة المكرّمة في السنة الثامنة من الهجرة، فالله تعالى يقسم بالجزءِ لبيان أهميته في تكوين الكل، كما أقسم بالفجر وبالضحى وبالعصر وبالليل وبالنهار لبيان أهمية تلك الأوقات، ولبيان أهمية اليوم في حساب الأيّام والأسابيع والشهور والسنين وللتوثيق والتأريخ، وللمحافظة على الحقوق من الدُيون والمعاملات وآجالها.

ثم أقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلۡقَلَمِ} لأهمية القلم في تدوين الدِّين وشرائعه والعلوم بمختلف تخصصاتها، والمقصود من القسم بالقلم هو جنس القلم، ومنها الأقلام التي لا يعلمها إلّا الله تعالى وما سطرت في اللوح المحفوظ وما تسطر إلى قيام الساعة، ثم أقسم الله تعالى قائلا:{ وَمَا يَسۡطُرُونَ} عمومًا، وفي صُحف الخلق من أعمال، وما يؤمرون به من أرزاق وغير ذلك.

وجواب القسم يؤكد فيه الله تعالى قائلا:{ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ} من وحيٍ يوحى إليك{ بِمَجۡنُونٍ} ولا مفتون{ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا} من الله تعالى في الدنيا والآخرة{ غَيۡرَ مَمۡنُونٍ} ولا مقطوع ولا منقوص لقوله تعالى في سورة يونس:{ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾ كما{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ} ومكارم وتبجيل{ عَظِيمٍ} كبير عريض{ فَسَتُبۡصِرُ} في الدنيا قبل الآخرة ما يَحلّ بهم من وعد

ووعيد{ وَيُبۡصِرُونَ} ويتبيّن لهم جليا{ بِأَييِّكُمُ} ومن منكم{ ٱلۡمَفۡتُونُ} والمجنون.

ف{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ} مستكبرًا عنادًا وعصيانًا ككفار قريش{ وَهُوَ} تعالى{ أَعۡلَمُ} وأدرى وأخبر{ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ} الراشدين{ فَلَا تُطِعِ} أبدًا{ ٱلۡمُكَذِّبِينَ} بالدين والقرآن العظيم، فهم{ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ} وتميل وتماري في دينك{ فَيُدۡهِنُونَ} ويمارون وينحرفون عن عقيدتهم{ وَلَا تُطِعۡ} أبدًا منهم{ كُلَّ حَلَّافٖ} كثير الحلِف{ مَّهِينٍ} وضيع حقير كالوليد ابن المغيرة ممثلا لكفّار قريش، فهو{ هَمَّازٖ} عيّاب مغتاب، و{ مَّشَّآءِۭ} بين النّاس{ بِنَمِيمٖ} ليفسد بينهم، وهو{ مَّنَّاعٖ} شديد المنع{ لِّلۡخَيۡرِ} عن ذوي الحاجة كالفقراء والأرامل والمساكين{ مُعۡتَدٍ} على شرائع الله تعالى وأوامره ونواهيه{ أَثِيمٍ} عظيم الخطية{ عُتُلِّۭ} فظ غليظ القول سيئ الأخلاق{ بَعۡدَ ذَٰلِكَ} أي إضافة إلى تلك المساوئ{ زَنِيمٍ} دعي النسب موسوم بالشر واللؤم.

أَوَ كان بتلك الصـــفات الذميمة بســـبب{ أَن كَانَ ذَا مَالٖ} وغنى{ وَبَنِينَ} كثير؟ فكان الأولى أن يشكر تلك النِعم، ولكن أصـبح{ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ} وخرافات وقصـــص{ ٱلۡأَوَّلِينَ} الغابرين{ سَنَسِمُهُۥ} بعلامة كما يوسم البعير والشاة إذلال وإهانة وتحقير له ولكن{

عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ} على أنفه المُترفّع بها في الدنيا كما حصـــل للوليد بن المغيرة في غزوة بدر.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بحرف نون والقلم وما يسطرون بأنّ رسوله ﷺ ليس بنعمة ربّه وما أوحاه الله تعالى له بمجنون، وأنّ له على تبليغ رسالة الله تعالى لأجر غير ممنون، وإنّه على مكارم أخلاق عظيمة، وسـيبصـر ويبصـرون المعرضـون سنن الله تعالى ما يحلّ بالفريقين، وسيتبيّن لهم من هو المفتون، وأنّه تعالى هو أعلم بمن ضـلّ عن سـبيله وهو أعلم بالمهتدين، والأمر بعدم طاعة المكذّبين، وأنهم ودّو لو رســول الله ﷺ يتمارى في دينه فيتمارون عن شـركهم، وأن لا يطيع كلّ حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، ومنّاع للخير ومعتدٍ على شرع الله تعالى أثيم، وعتل غليظ زنيم دعي النســب، كونه ذا مال لو بنين كثير، إذا تتلى عليه آيات الله تعالى قال أساطير وقصـص الأوّلين، وأنّ الله سـيسـمه على أنفة إذلالا له.

(١٧-٣٣) تأكيد أنّ سُوء النيّة تستوجب العقوبة في الدنيا.

إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ

كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم
مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ
نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ
سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾
قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قال تعالى:{ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ} أي كفّار قريش وفتنّاهم وامتحنّاهم بمكانة عالية بين قبائل العرب، فلا يغار عليهم، ولقوافلهم الأمن في رحلتي الشتاء والصيف، وفي إهلاكه تعالى لأبرهة وجيشه إذ أرادوا هدم الكعبة لصرف العرب عن حج البيت العتيق إلى كنيستهم في اليمن، وكانوا مقِّرين بحماية الله تعالى لبيته عندما قال عبدالمطلب لأبرهة:" إنّ للبيت ربٌ يحميه"، ومن نعم الله تعالى عليهم أن أرسل إليهم رسولا لإعلاء شأنهم ورِفعَة مكانتهم كما قال تعالى في سورة الأنبياء:{ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ}﴿١٠﴾ وكما قال لهم رسول الله ﷺ:" كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم" كما جاء في السير، فأعرضوا وكفروا فخذلهم

الله تعالى، وهزمهم المسلمون بفتح مكّة فخسروا مكانتهم في الدنيا ولهم جهنّم في الآخرة.

ورفع الله تعالى شأن من أسلم من المستضعفين من قريش فهزموا فارس والروم واستتب الأمر للمسلمين في الأرض، وكان بلاء كفّار قريش كبلاء أصحاب الجنّة بجنّتهم كما قال سبحانه:{ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟} بالله تعالى مُصرّين{ لَيَصْرِمُنَّهَا} ويقطفوا ثمارها{ مُصْبِحِينَ} مبكّرين{ وَلَا يَسْتَثْنُونَ} شيئا من ثمارها للمساكين{ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ} بعذاب{ مِّن رَّبِّكَ} بسوء قسمهم ونواياهم{ وَهُمْ نَآئِمُونَ} فاحترقت{ فَأَصْبَحَتْ} سوداء هشيما مظلمة{ كَٱلصَّرِيمِ} لا ثمرة فيها{ فَتَنَادَوْا۟} مجتمعين فرحين{ مُصْبِحِينَ} قائلين:{ أَنِ ٱغْدُوا۟} منطلقين{ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ} وثمار جنّتكم{ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ} عازمين غير مترددين لقطع ثمارها{ فَٱنطَلَقُوا۟} واندفعوا مسرعين{ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ} مسرّين حديثهم قائلين:{ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم} أحد ولا{ مِّسْكِينٌ} فقير{ وَغَدَوْا۟} صباحا{ عَلَىٰ حَرْدٍ} وعزمٍ ومنعةٍ، ويظنون أنهم{ قَٰدِرِينَ} غالبين قاهرين.

{ فَلَمَّا رَأَوۡهَا} محترقةً صريما هشيما لا ثمرة فيها{ قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ} الطريق، فلمّا استيقنوا من جنّتهم قالوا:{ بَلۡ} الحقُّ والحقيقة{ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ} من نعمة الله تعالى بسوء قسمنا ونوايانا، ف{ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ} وخيرهم وأرجحهم عقلا:{ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ} وأحذركم من قبل{ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ} وتتوبون وتستغفرون، عندها{ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ} في نيّتنا وقصدنا وفي سعينا ضالين{ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ} يلقي بعضهم اللّوم على بعض بحسرة{ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ} وعذابنا وخسراننا{ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ} بسوء طوايانا وعزمنا{ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ} في الدنيا{ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ} نادمون تائبون، فلم ينفعهم ندمهم ولا توبتهم، ف{ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ} والعقوبة والجزاء والسنن الثوابت كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ فأفنى الله تعالى جنتهم في الدنيا{ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ} وأعظم وأبشع{ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ} علم يقين، فَسلب الله تعالى نعمته عن أصحاب الجنّة بسوء نواياهم كما سلب مكانة وشرف كفّار قريش وأهلكهم، فسبقت عقوبة الله تعالى المعصية بسوء النية والقصد كما حصل لأصحاب الجنّة.

وستستمر هذه السنن والجزاءات ثابتة قائمة في النّاس بعدله تعالى وعلمه حكمته ولا يظلم ربك أحدا، فحقوق ضعاف النّاس في المجتمع من أيتام وفقراء وأرامل ومساكين عظيمة عند الله تعالى، ولذلك فرض الله تعالى لهم من الغنيمة والفيء والزكاة والصدقة والأضحية والكفّارات، ليتكافل المجتمع غنيّه وفقيره ليقام المجتمع الأمثل في الأرض بهدي الله تعالى ودينه، ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، فالفقير إذا لم يجد من يسد حاجته بطيب نفس، قد يضطر إلى طرق غير مشروعة تفسد سلامة وأمن المجتمع للحصول على ما يُقِيته.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى أنّه امتحن كفّار قريش بالإيمان كما اختبر أصحاب الجنة بجنتهم الذين أقسموا ليقطعنّ ثمارها عن المساكين، فطاف عليها طائف عذاب من ربك وهم نائمون، فاحترقت وكانت كالصريم، فلمّا رأوها قالوا إنّا لمحرومون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون حين لا ينفع الندم، ودعوا ربهم أن يبدلهم خيرًا منها، كلا، فكذلك عذاب الله تعالى في الدنيا للمعرضين الكافرين، ولعذاب الآخرة أخزى وأكبر وأمَرْ لو كانوا يعلمون، ويستفاد من المثل أنّه قد تسبق العقوبة الذنب كما حصل لأصحاب الجنّة.

(٣٤-٤٣) تأكيد عدم استواء المتقون والمجرمون.

إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

أكّد تعالى قائلا:{ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ} في الآخرة{ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ} ثمّ استنكر الله تعالى قائلا:{ أَفَنَجۡعَلُ} حياة{ ٱلۡمُسۡلِمِينَ} المتقين المتبعين لهدي الله تعالى في الدنيا والآخرة{ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ} المعرضين؟ لا يستوون، كقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}﴿٢١﴾ ثم قال تعالى:{ مَا لَكُمۡ} وأين عقولكم وقلوبكم{ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ} هذا الحكم الفاسد{ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ} مُنزّل من السماء لا نعلمه أنتم{ فِيهِ تَدۡرُسُونَ} يقضي بأنّ يكون المسلمين كالمجرمين و{ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ} من التشريع والأحكام{ لَمَا تَخَيَّرُونَ} وتحبون وتشتهون.

{ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ} وعهود ومواثيق أقسمنا فيها وهي{ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ} مفحمة قاطعة دامغة بذلك{ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ} لا يعتريها التغيير ولا التبديل، فـ{ إِنَّ لَكُمۡ} يا من كفر{ لَمَا تَحۡكُمُونَ} وما تَتُوقون إليه وترغبون، لا يلزمنا منها شيء أبدًا، ثمّ{ سَلۡهُمۡ} أي كفّار قريش{ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ} يدعي ذلك{ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ} في السماء شرّعوا لهم ذلك{ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ} ليشهدوا لهم{ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ} في دعواهم.

و{ يَوۡمَ يُكۡشَفُ} الحجاب{ عَن سَاقٍ} يوم القيامة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد بن يسار (رلع) قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسُمعَة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا" تصديقا لقوله تعالى:{ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ} لنفاقهم وريائهم بعبادتهم في الدنيا و{ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ} في الآخرة{ تَرۡهَقُهُمۡ} وتُثقل أوزارهم{ ذِلَّةٌۖ } ومهانة{ وَقَدۡ كَانُواْ} في الدنيا{ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ} والإذعان والانقياد إلى الله تعالى{ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ} آمنون معافون، ولكن كانوا يكفرون، فنسأل الله تعالى الثبات على دينه حتى يأتينا اليقين.

الخلاصة: –

يجزم الله تعالى بأن للمتقين في الآخرة جنّات النعيم، ولن يكون جزاء المسلمين كالكافرين المجرمين في الدنيا والآخرة سواء، ويوم يأمر الله تعالى الكافرين بالسجود في الآخرة فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون له في الدنيا فلا يستجيبون عنادًا وعصيانًا واستكبارًا.

(٤٤-٥٢) وعيد المكذّبين والأمر بعدم الاستعجال عليهم.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾
وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾
أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ
لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن
يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ
لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

ينذر الله تعالى ويتوعد الكافرين في الدنيا قبل الآخرة قائلا:{ فَذَرْنِي} وحدي بعلمي وعدلي وحكمتي ولا أظلم أحدا{ وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ} والقرآن والدين، فسنني ماضية بعقوبتهم في الدنيا لا أستثني أحدا فـ{ سَنَسْتَدْرِجُهُم} وأستميلهم شيئا فشيئا في غيّهم وكفرهم واستكبارهم وتعنتهم{

مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ} ولا يشعرون، استدرجا يزيدهم إثما وهلاكا حتى تزهق أنفسهم وهم كافرون كقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ}٥٥ بل{ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ} وأمهلهم يتمتعون في الحياة الدنيا وزينتها مستهزئين فـ{ إِنَّ كَيۡدِي} لهم{ مَتِينٌ} لا يُفلت منه، ثمّ قال تعالى:{ أَمۡ} أنك{ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا} على هدايتهم{ فَهُم مِّن} خشية دَينٍ و{ مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ} عاجزون عن أدائه{ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ} المسطر في اللوح المحفوظ{ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ} ويستنسخون الأحكام والشرائع منه.

ثمّ قال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ} ومن آمن معك{ لِحُكۡمِ رَبِّكَ} وقضائه وقدره ولا تستعجل حتى يأذن الله تعالى لك{ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ} يونس(عس) { إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ} محبوس في بطن الحوت، فيونس (عس) خرج عن قومه بغير إذن ربه كما قال تعالى في سورة الصافات:{ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ}١٤٠ لشدّة غضبه عليهم، وظنّ أنّ الله تعالى سيعفيه من سننه وجزاءاته ولا يضيق عليه كما قال تعالى في سورة الأنبياء:{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ} فأسكن الله تعالى الريح في عرض البحر، وأوقع القرعة عليه ليكون من المدحضين

المحبطين كما قال تعالى في سورة الصافات:{ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}﴿١٤٢﴾ باستعجاله.

فكان رسول الله ﷺ لا يبادر ولا يستعجل في شيء حتى يأذن الله تعالى، فأنذر ﷺ عشيرته بعد أن قال الله تعالى له في سورة الشعراء:{ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ}﴿٢١٤﴾ وجهر بدعوة النّاس بعد قوله تعالى في سورة الحجر:{ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}﴿٩٤﴾ ولم يهاجر إلى المدينة حتى أذن الله تعالى له، ولم يقاتل الكفرة من قريش حتى قال تعالى في سورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ}﴿٣٩﴾.

ثم قال تعالى:{ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ} ولألُقي ورُمِي{ بِٱلۡعَرَآءِ} الأرض الفضاء{ وَهُوَ مَذۡمُومٞ} باستعجاله وخروجه عن قومه بغير إذن مولاه{ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ} وتاب عليه{ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} ثمّ قال تعالى لرسوله ﷺ:{ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ} ويستزلونك وينحونك{ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ} ويصيبونك بأعينهم حسدا وحقدا وبغضا{ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ} كذبا ونهتانا{ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ} ومفتون{ وَمَا هُوَ} أي القرآن العزيز{ إِلَّا ذِكۡرٞ} ومواعظ وتدبر{ لِّلۡعَٰلَمِينَ}.

الخلاصة: -

يتوعد الله تعالى المكذّبين بدينه باستدراجهم وإمهالهم في غيّهم فإنّ كيده تعالى متين لا يُفلت منه، وأنّه ﷺ لا يسألهم على الإيمان أجرًا، وليس عندهم شيء من علم الغيب، ثمّ الأمر بالصبر لحكم الله تعالى وقضائه على الكافرين، وإن يكاد الكافرون يستزلون رسولهم بأبصارهم ويصيبونه بأعينهم يقولون أنّه لمجنون، وما القرآن إلّا ذكر للعالمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحاقة ترتيبها (٦٩) آياتها (٥٢)

(١-١٢) الوعيد بالحاقّة وبيان السنن في المكذّبين وتذكير الناس بحملهم في الجارية.

ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ
صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى
ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ
بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ
رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١
لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ۝١٢

ينذر الله تعالى بيوم القيامة واسم من أسمائها بقوله:{ ٱلۡحَآقَّةُ} التي يُحقّ الله تبارك وتعالى فيها الحق الذي كذّبت به الأمم من آدم (عس) إلى قيام الساعة إيذانا بيوم القيامة ثمّ يقول:{ مَا ٱلۡحَآقَّةُ} أي وما يدريكم ما أهوالها وجسامتها؟ فهو يوم يَبعث الله تعالى فيه النّاس بعد النفخة الثانية ويوضع الميزان للحساب على محصلة الأعمال، ويُضرب الصراط

فإمّا الجنّة أو النّار{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} يكون في{ الْحَاقَّةُ} فقد{ كَذَّبَتۡ} قبلهم{ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ} التي تتفطر وتمور وتضطرب السماء ويكسوها الغمام، وتتناثر الكواكب، وتتفجر البحار، وتسير الجبال، وتتزلزل الأرض، وتتنزّل الملائكة من السماوات إلى أرض المحشر.

ثمّ قال تعالى:{ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ} لعنًا{ بِٱلطَّاغِيَةِ} الصاعقة وكان عذاب الهون، فأصبحوا كهشيم المحتظر، لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ} في الدنيا بالرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين{ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا}٦٤ في الآخرة، ثمّ قال تعالى:{ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ} شديدة البرد{ عَاتِيَةٖ} تجاوزت الحد إلى اللعن، وفيها العذاب الغليظ والريح العقيم فجعلتهم كالرميم لاستكبارهم على الحق الذي جاءت به الرسل، ثمّ قال تعالى:{ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ} استأصلتهم من الدنيا{ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ} ذابلة{ خَاوِيَةٖ} بالية{ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ} أثرٍ{ بَاقِيَةٖ}؟.

ثمّ قال تعالى:{ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ} من الأمم{ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ} التي استحلّت الفعلة الخبيثة الخسيسة من قرى قوم لوط{ بِٱلۡخَاطِئَةِ} والأفعال الدنيئة{ فَعَصَوۡاْ} مجتمعين{ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ} الله تعالى{ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً} متنامية متعاظمة كما لعنت عاد وثمود في الدنيا، فسننه

تعالى قائمة وبالمرصاد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

ثم وجّه الله تعالى الخطاب للبشرية قائلًا:{ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ} في عهد نوح (عس){ حَمَلْنَٰكُمْ} معشر البشر{ فِى} السفينة{ ٱلْجَارِيَةِ} في موج كالجبال{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} وآثارها لا زالت باقية{ وَتَعِيَهَآ} وتفهمها{ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ} لسنن الله تعالى التي يمضيها في خلقه، والتي لا تتخلف عن أحد في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

الخلاصة: -

ينذر الله تعالى من الحاقة يوم القيامة، وبسننه التي يمضيها فيهم كما كذّب بها قوم عاد، وثمود الذين أهلكوا بالطاغية، وأهلك عاد بريح عاتية، فتركت القوم صرعى كأنهم جذوع نخل خاوية، فلم تبقي منهم باقية، وكذلك فرعون وقوم لوط مجترحي الخاطئة، فأخذهم الله تعالى أخذةً رابية، وأنّه تعالى هو الذي حمل البشرية في سفينة نوح الجارية، لتكون لهم تذكرة.

(١٣-٢٤) بيان بعض أهوال الحاقة وأحوال أهل اليمين.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ
وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾
وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ
تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ
هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ
رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ
أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

ثمّ يقول تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ} والبوق العظيم{ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ} وهي النفخة الأولى{ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ} شديدة قوية{ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ} والحاقّة والنازلة الداهية{ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ} ضعيفة مهلهلة{ وَٱلۡمَلَكُ} أي الملائكة{ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ} وفي جميع نواحيها وجنباتها{ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ} من الملائكة أو صفوف الملائكة{ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ} على الله تعالى{ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ} معشر الإنس والجن{ خَافِيَةٞ} فُعلت غيبًا أو كانت همًّا في الصدور، فإنّه يعلم السر وأخفى.

عندها{ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ} فرحا مسرورا{ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ} وانظروا في{ كِتَٰبِيَهۡ} فـ{ إِنِّي} في الدنيا{ ظَنَنتُ} يقينا{ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ} وجزاء عَمَلِية{ فَهُوَ} في ذلك اليوم{ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ} و{ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ} المنازل{ قُطُوفُهَا} مذلّلة{ دَانِيَةٞ} قريبة سهلة المنال، ويقال لهم:{ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ} وجزاء ما قدمتم من الصالحات، والصيام{ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ} من الشراب والطعام.

الخلاصة: -

ينذر الله تعالى بالنفخة في الصور وأهوال القيامة، والملائكة حاملة عرش ربك، ويوم يعرض الناس على ربك ولا تخفى منهم خافية، واستبشار المؤمنين بسعيهم وجزاء أعمالهم.

(٢٥-٣٧) بيان أحوال أصحاب الشمال في الآخرة وسلوكهم في الدنيا.

وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ
أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ
عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ
ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا

يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

ثمّ يقول الله تعالى:{ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ} لكفره وقبح وسوء فعاله{ فَيَقُولُ} خوفا وجزعا وحسرة:{ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ} ولم أعط{ كِتَٰبِيَهۡ} ولم أعرف جزاء عَملِيَة{ وَلَمۡ أَدۡرِ} ولم أعرف{ مَا} الجزاء و{ حِسَابِيَهۡ} و{ يَٰلَيۡتَهَا} أي الموتة الأولى{ كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ} التي لا بعث بعدها ولا نشور فـ{ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي} اليوم{ مَالِيَهۡۜ} وقد{ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ} ونفوذي وقوتي وحيلتي.

ويقال للملائكة الزبانية{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} وقيدوه واربطوا يديه إلى عنقه{ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ} المتأجج شديد اللهب{ صَلُّوهُ} واحموا عليه سعير جهنّم ليذوق جزاء كفره وسوء فِعاله{ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ} من العذابات المتنامية{ ذَرۡعُهَا} وأصنافها وألوانها وذُلّها{ سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ} عذابًا ونكالًا يتلوه عذابًا صعودا، فـ{ إِنَّهُۥ كَانَ} في الدنيا{ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ} الذي خلقه، وفي أي صورة ما شاء ركّبه{ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ} والمحتاج الفقير{ فَلَيۡسَ لَهُ} في ذلك{ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا} صديق ولا{ حَمِيمٞ} يحميه أو يشفع له ويواسيه{ وَلَا طَعَامٌ} سائغ هنيء{ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ} وصديد وقيح أهل النّار{ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ} ولا يعرف ذوقه{ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ} المكذّبون بالله العظيم.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أنّ الكافرين سيندمون على كفرهم يوم القيامة، ولن تنفعهم أموالهم ولا سلطانهم، ويؤمر بهم إلى الجحيم ليذاقوا أصناف العذابات النامية المتتالية، وليس لهم حميم يشفع لهم، وطعامهم صديد أهل النّار الذي يأكله الكافرون الخاطئون.

(٣٨-٥٢) القسم بأنّ القرآن تنزيل رب العالمين وإنه تذكرة للمتقين وحسرة على الكافرين.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾
وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ
ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم
مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ
بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يقسم الله تعالى بما يبصر النّاس من إبداع خلق الله تعالى قائلا:{ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ} بأعينكم من خلائق{ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ} في أنفسكم وفي السماوات، وجواب القسم قوله تعالى:{ إِنَّهُۥ} أي القرآن{ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ } وهو جبريل (عس) المرسل بوحي القرآن لنبيّنا سيد المرسلين ﷺ{ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ} كما يزعم الكافرون، ولكن الحقيقة أنكم{ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ} وتصدقون{ وَلَا} هو{ بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ} يتكهّن المستقبل{ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ} بل إنّه{ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}.

ثمّ أكد تعالى أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر فقال:{ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا} محمد ﷺ غير ما يوحى إليه، لما تخلّفت عنه ﷺ سنن وجزاءات الله تعالى، ولو كان{ بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ} أو الشيء اليسير{ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ} ونلنا منه{ بِٱلۡيَمِينِ} أي بالقوة والشدة والغلظة{ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ} والوتين قيل هو العِرق الذي تُضمّ إليه عُروق القلب والذي يسمّى" العِرق التاجي"، ويسمى كذلك نياط القلب، وقيل هو العِرق الذي في فِقار الصُّلب، كما ورد في قاموس لسان العرب، ولهلك{ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ} أو مانعين{ وَإِنَّهُۥ} القرآن العزيز{ لَتَذۡكِرَةٞ} وموعظة{ لِّلۡمُتَّقِينَ} الوجلين{ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم} معشر الإنس والجنّ{ مُّكَذِّبِينَ} بالوحي وبسنن وجزاءات الله تعالى{ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ} وشدّة ندامة وحزن

وأسف في الآخرة{ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} يوم الدين{ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ} وُصدّقٌ لا شكّ فيه وعلم{ ٱلْيَقِينِ} الذي لا مرية ولا هزل فيه{ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ}.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بأن القرآن قول رسول كريم، وما هو بقول شاعر ولا كاهن، بل تنزيل من رب العالمين، ولو تقوله الرسول الكريم ﷺ لمضت سننه تعالى وجزاءاته فيه، لا يُستثنى أحد، وإنّ القرآن لتذكرة للمتقين، وأنّه سيكون مكذّبين، وهو حسرة على الكافرين يوم الدين، وأنّه لحق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المعارج ترتيبها (٧٠) آياتها (٤٤)

(١-١٨) تقرير حقيقة اليوم الآخر وبيان بعض أهواله وتمنيات المجرمين فيه ووعيدهم.

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي
ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ
سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ
تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ
حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ
يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧
وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨

جاء في زاد المسير أنّ الآيات نزلت في النضر بن الحارث وقيل غيره حين قال للرسول ﷺ كما قال تعالى عنه في سورة الأنفال:{ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}﴿٣٢﴾ تكذيبًا وانكارًا وتحدِّيًا واستكبارًا، لنكون على يقين بصدق ما تدعي.

والنضر هو ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، أسر يوم بدر مع المشركين. ومدينة بدر تقع غرب المدينة المنورة وعلى بعد مائة وخمسون(١٥٠) كيلومتر، ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ومرّ بالصفراء أمر به فضرب عنقه كما ورد في تاريخ ابن خلدون.

فمشركو قريش ينكرون الآخرة والبعث والحساب والجنّة والنّار بعد الموت، فقال تعالى:{ سَأَلَ} وطلب ودعا{ سَآئِلُۢ} وهو النضر ابن الحارث ومن شاكله من المشركين استنكارًا واستكبارًا{ بِعَذَابٍ} في الدنيا والآخرة مُعدّ سارٍ لا يتخلّف عن أحد وهو{ وَاقِعٖ} لا محالة لقوله تعالى في سورة الرعد:{ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ}﴿٣٤﴾ وهو{ لِّلۡكَٰفِرِينَ} المنكرين المستكبرين عمومًا{ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ} ولا مانع ولا حاجز، وينزل{ مِّنَ ٱللَّهِ} تعالى العزيز الجبّار القهّار{ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ} والطرق والمسالك للسماوات، حيث تصعد الملائكة بإذن ربهم وبأمره تعالى بكل شيء أُمروا به، وسمّى الله تعالى ذاته العلية بذي المعارج حيث{ تَعۡرُجُ} وتنشط وترقى وتَسبح{ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} الموكلون بشؤون الكون{ وَٱلرُّوحُ} جبريل (عس){ إِلَيۡهِ} تعالى{ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ} وطول

زمانه{ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ} مما تعدون إلى سدرة المنتهى كما جاء في التفاسير، وفي ذلك الخبر بيان البُعد الشاسع بين الملائكة وسدرة المنتهى.

ولذلك قال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ} لذلك الأجل{ صَبۡرٗا جَمِيلًا} حميدًا واثقًا مستيقنًا لا استعجال فيه فـ{ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا} سحيقا محالا{ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا} حقًّا يقينًا، وأجله{ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ} مضطربة وتفور{ كَٱلۡمُهۡلِ} والمعدن المنصهر{ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ} فيه مسيّرة خارّةً هدًّا{ كَٱلۡعِهۡنِ} المنفوش المنسوف، عندها{ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا} لذهولهم من الموقف الجلل، والملائكة{ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ} بأعمالهم فـ{ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ} المعرض عن هدي الله تعالى المستكبر الفاجر{ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ} بأعز من كان له في الدنيا ولو{ بِبَنِيهِ} فيودعهم النّار وينجوا{ وَصَٰحِبَتِهِۦ} زوجه{ وَأَخِيهِ} لأمّه وأبيه{ وَفَصِيلَتِهِ} وقبيلته وعشيرة{ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ} وتنصره وتشد من أزره وتحميه، حتى{ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ} بل يتمنى في ذلك اليوم أن يكون ترابا، من شدة وهول ما يرى من العذاب{ كَلَّآۖ} لا يكون شيئًا من ذلك، ولا يُقبل منه عدل الأرض ذهبًا، بل يوم القيامة{ إِنَّهَا} له جهنّم{ لَظَىٰ} حامية من يحموم لا بارد ولا كريم{ نَزَّاعَةٗ} للجلد المَصْلِيّ و{ لِّلشَّوَىٰ} الناضج{ تَدۡعُواْ} وتنادي وتصرخ على كلّ{ مَنۡ أَدۡبَرَ} عن هدي

الله تعالى في الدنيا{ وَتَوَلَّىٰ} وابتعد ونئى{ وَجَمَعَ} زينة الحياة الدنيا وخزّن{ فَأَوۡعَىٰٓ} وادخر وكنز ولم يتزكى.

الخلاصة: -

يستعجل الكافر عذاب الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، ويخبر تعالى أنّه لا محالة واقع، وينزل من الله تعالى ذي المعارج الذي يعرج إليه الملائكة في خمسين ألف سنة، وهو عند الله قريب، وأجله قيام الساعة، وفيه يتمنى مستعجلي العذاب أن يفتدي منه بأعز النّاس له، وليس له مفر من جهنّم.

(١٩-٣٥) التأكيد بجعل الإنسـان المعرض عن هديه تعالى هلوعا إلا المصلين وذكر صفاتهم.

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ
مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ
أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ
ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ
مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ
قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ
مُّكۡرَمُونَ ٣٥

يؤكد الله تعالى أنّه يمضي سننه وجزاءاته في خلقه من غير أن يظلم أحدًا قائلًا:{ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ} أي المعرض عن هدي الله تعالى{ خُلِقَ} وجُبل على أن يكون{ هَلُوعًا} شديد الجزع، قليل الصبر، شديد الحرص والشره، عالي الحزن عند المصيبة، جزاءً وفاقا لإعراضه وصدّه واستكباره عن هدي الله تعالى ورُسله، والصفة الأولى للهلع{ إِذَا مَسَّهُ} وأصابه{ ٱلشَّرُّ} كان{ جَزُوعًا} عالي الخوف والقلق والاضطراب، والصفة الثانية{ وَإِذَا مَسَّهُ} وانتابه{ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا} بخيلا لا ينفق على المحتاجين، بل قد يتعدى بخله إلى زوجه وأولاده وأقاربه وجيرانه، وقد يكون بخيلا على نفسه{ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ} المتقين المخلصين.

والصفة الأولى للمصلين{ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ} فرضًا ونفلًا{ دَآئِمُونَ} لا يتكاسلون، والصفة الثانية{ وَٱلَّذِينَ} يجعلون{ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ} من الزكاة والصدقات والأضاحي وغيرها من الأرزاق{ لِّلسَّآئِلِ} الطارق للباب{ وَٱلۡمَحۡرُومِ} العفيف الذي لا يسأل النّاس، والغاية من تشريع الإنفاق إقامة المجتمع الأمثل في الأرض للبشرية، ليأمن الفقير

والمسكين وذوي الحاجات العاجزين عن الكسب على حياتهم، وليأمن الأغنياء على ثرواتهم، فقد يُضطر المحتاج للسلوك الحرام في سبيل العيش والكفاف، ولذلك فرض الله تعالى الزكاة وشرع الصدقة وغير ذلك.

والصفة الثالثة للمصلين{ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ} والعرض على الله تعالى والحساب والجزاء، فاستعدوا لنجاتهم في ذلك اليوم، والصفة الرابعة{ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم} في الدنيا والآخرة{ مُّشۡفِقُونَ} خائفون وجلون يراقبون رضى الله تعالى في نيّاتهم وعلنهم ليقينهم{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ} بسننه تعالى في الدنيا وفي الآخرة{ غَيۡرُ مَأۡمُونٍ} والصفة الخامسة{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ} عن الزنا والفواحش ومما حرّم الله تعالى{ حَٰفِظُونَ} مُصِينون{ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ} من الإماء{ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ } ولا مؤاخذين، بل مأجورين{ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ} سبيلا وطريقا{ وَرَآءَ ذَٰلِكَ} وغير ذلك{ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ} على هدي الله تعالى وشرائعه وأحكامه.

والصفة السادسة والسابعة{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ} وما يؤتمنون عليه{ وَعَهۡدِهِمۡ} مع الله تعالى والنّاس{ رَٰعُونَ} لا ينقضون ولا يفرطون ولا يُخِلُّون إلّا إذا خافوا الخيانة لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ}٥٨ والصفة

الثامنة{ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ} بالحق{ قَآئِمُونَ} لا يظلمون ولا يزوِّرون، والصفة التاسعة{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ} على أدائها في أوقاتها فـ{ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي} الآخرة في{ جَنَّـٰتٖ مُّكۡرَمُونَ} كرما متناسبا مع ذو الجلال والإكرام بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله تعالى من فضله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون بأعمالهم في الدنيا لأعلى الدرجات وفي الفردوس الأعلى.

الخلاصة: -

يبيّن الله عز وجل أن الإنسان المعرض عن هديه خلق وجُبِل على أن يكون شديد الهلع، قليل الصبر، وإذا مسّه الشرّ كان جزوعًا، وإذا مسّه الخير أصبح منوعًا، لا يؤدي حقّه من زكاة أو صدقة، إلّا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون، مؤدون زكاة أموالهم للسائل والمحروم، ويصدقون بيوم الدين، ومن عذاب ربهم في الآخرة مشفقون، ولفروجهم حافظون، فمن يبتغي غير ذلك فهم العادون على شرع الله تعالى، والذين لأماناتهم وعهدهم راعون، وبشهادتهم قائمون، وعلى صلاتهم يحافظون في أوقاتها، فأولئك في جنّات مكرمون.

(٣٦-٤٤) ذهول الكافرين عند سماع القرآن وتكذيبهم والإمر بإمهالهم إلى يوم الدين.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

ورد في سبب نزول الآيات ما ورد في دلائل النبوة للبيهقي عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري قال: حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه، وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت

الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس بن شريق."

وصف الله تعالى حال الكفّار عند سماعهم القرآن يتلى من رسوله ﷺ قائلا:{ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ} ونحوك وتجاهك{ مُهۡطِعِينَ} والمهطع كما ورد في قاموس لسان العرب هو المقبل ببصره لا يرفعه،

مادًا عنقه مصوب رأسه، في ذل وخشوع، مع خوف وإقرار، وكل ذلك اجتمع في كفّار قريش عند سماعهم للقرآن يُتلى من رسوله ﷺ فتراهم من شدّة انبهارهم وذهولهم مقرين بصدقه، مقبلين بأبصارهم مادي أعناقهم مصوبي رؤوسهم في ذل وخشوع وخوف متحلقين{ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ} متحلقين، وقد ملك واستحوذ القرآن على أسماعهم وأفهامهم، ثم يستنكر الله تعالى قائلا:{ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ} بعد كفره وجحوده{ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} في الآخرة؟{ كَلَّآۖ} وألف كلّا لن يكون كما يشتهون فـ{ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ} وجزاءاته تعالى ماضية فيهم.

ثمّ أقسم الله تعالى بذاته قائلا:{ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ} وجواب القسم قوله تعالى:{ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ} أممًا{ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ} ولا مغلوبين{ فَذَرۡهُمۡ} وأعرض عنهم{ يَخُوضُواْ} في باطلهم{ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ} أجلهم المسمّى و{ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ} وسيعلمون{ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ} والقبور ينسلون{ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٍ} والنُصب هو كل ما نصب على الأرض كالجبال والبناء والأشجار وغيرها، وعني به في الآية الأصنام التي ينصرف إليها المشركون لعبادتها و{ يُوفِضُونَ} ويهرولون عجالًا، فتراهم في الآخرة{ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ} منكسي رؤوسهم في ذلٍ وحسرة{ تَرۡهَقُهُمۡ} وتثقلهم وتغشاهم{

ذِلَّةٌۚ} الكفر والعصيان فـ{ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ} في شرّ مكان، نسأل الله تعالى السلامة في الدنيا والآخرة.

الخلاصة: -

يستنكر الله تعالى عناد وعصيان المشركين عند سماعهم القرآن يتلى وهم مهطعين رؤوسهم منكسرين منبهرين، ثمّ يطمع كل واحد منهم في الآخرة أن يدخل جنّة نعيم، وذاك محال، ويقسم الله تعالى أنّه قادر على أن يبدلهم بخير منهم لا يعجزه شيء، والأمر بتركهم يخوضوا في باطلهم إلى يوم الدين، يوم تغشاهم ذلة في اليوم الذي يوعدون.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة نوح ترتيبها (٧١) آياتها (٢٨)

(١-٤) تأكيد إرسال نوح (عس) وبيان جانب من دعوته.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤

يخبر الله تعالى قائلا:{ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ} من مغبّة الكفر والعصيان والاستكبار{ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} في الدنيا قبل الآخرة، فـ{ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ} أبيّن لكم هدي ربكم وجزاء من آمن ومن كفر، فمن اتبع هدي الله تعالى فلا يضل ولا يشقى في الدنيا والآخرة، ومن أعرض فإنّ له معيشة ضنكًا ويحشره تعالى يوم القيامة أعمى.

وقال:{ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ} في كل ما أمر به وكل ما نهى عنه{ وَٱتَّقُوهُ} باتباع أحسن ما أنزل إليكم، واحذروا غضبه وعقوبته{ وَأَطِيعُونِ} عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملات ولا تعصون لـ{ يَغۡفِرۡ} الله تعالى{ لَكُم مِّن

ذُنُوبِكُمۡ} التي مضت{ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ} إن آمنتم{ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ} بعذاب في الدنيا{ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ } اللهم أجرنا من عذابك يوم تبعث عبادك.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى أنّه أرسل رسوله نوح (عس) إلى قومه لينذرهم قبل أن ينزل عليهم عذاب أليم في الدنيا، فأنذرهم وأمرهم بعبادة الله وحده ليغفر لهم ذنوبهم ويؤخر عذاب الدنيا عنهم إن آمنوا، وأن عذابهم لا يؤخر لو كانوا يعلمون.

(٥-٢٠) دعوة نوح لقومه وبيانه جزاء الإيمان وإتقان الله تعالى لخلقه.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ
جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم
بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا
تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ

سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا
فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾

فلمّا أيس نوح (عس) من إيمان قومه{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي} للإيمان بك{ لَيۡلٗا وَنَهَارٗا} وأنذرتهم سننك بعذاب يوم عظيم في الدنيا، ثمّ قال:{ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ} ونصحي بالإيمان{ إِلَّا فِرَارٗا} وإعراضًا وبعدًا عن هديك ودينك{ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ} ورجوت إيمانهم{ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ} ذنوبهم{ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ} كراهيتهم نصحي{ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ} وغطوا وجوههم بـ{ ثِيَابَهُمۡ} كارهين سماعي ورؤيتي{ وَأَصَرُّواْ} على كفرهم{ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ} على هديك ودينك ورسولك{ ٱسۡتِكۡبَارٗا} شنيعًا فاحشًا.

ثم قال:{ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ} وصدعت لهم{ جِهَارٗا} نهارًا{ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ} مجتمعين زمرًا وشيعًا{ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا} فرادى وثلاث ورباع{ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ} الغفور الرحيم{ إِنَّهُۥ كَانَ} قبل خلق السماوات والأرض{ غَفَّارٗا} لـ{ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم} صيبا{ مِّدۡرَارٗا} غزيرا دفّقا{ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ} كُثُر{ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ} من فضله{ جَنَّٰتٖ} ذات بهجة{ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ} بسننه وجزاءاته{ أَنۡهَٰرٗا}.

ثمّ قال:{ مَّا لَكُمۡ} وشِدّة كفركم وجحودكم أصبحتم{ لَا} تكادون{ تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا} وإجلالًا وتعظيمًا{ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا} من سلالة من طين، وقال لهم:{ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ} وفطر وأنشاء{ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا} كل سماء مطبقة على الأخرى، وفي هذه الآية دلالة على أنه يمكن رؤية السماوات السبع من الأرض، ثمّ قال:{ وَجَعَلَ} وصيّر وهيأ{ ٱلۡقَمَرَ} في فلكه حتى أصبح{ فِيهِنَّ نُورٗا} مضيئا لا حرارة له{ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا} وضياءً وهاجًا منيرًا، وقال:{ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا} ثمّ قال:{ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا} بعد موتكم{ وَيُخۡرِجُكُمۡ} يوم القيامة{ إِخۡرَاجٗا} لا يخطئ ولا يتخلف منكم أحد{ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا} ممهدةً{ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا} وطرقا{ فِجَاجٗا} سحيقة.

الخلاصة: -

اعتذر نوح (عس) لربه بعد أن دعا قومه ليلًا ونهارًا، فلم يزدهم إلّا فرارًا، واستكبروا على هدي الله تعالى استكبارًا شنيعًا، وبشّرهم بسننه تعالى إن استغفروا ربهم يرسل السماء عليهم مدرارًا، ويمددهم بأموال وبنين ويجعل لهم جنّات وأنهارًا، وقد خلقهم تعالى أطوارًا، وخلق سبع سماوات طباقًا، وجعل لهم القمر نورًا والشمس سراجًا، وأنبت لهم الأرض، وأنّه

تعالى يعيدهم فيها بعد موتهم ثمّ يخرجهم يوم القيامة، وهو تعالى جعل لهم الأرض بساطًا ليسلكوا منها طرقًا بعيدة.

(٢١–٢٨) تكذيب قوم نوح وبيانه عقوبتهم ودعائه على من كفر ولمن آمن.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ
إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي
وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ
إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

بعد أن بيّن نوح (عس) لقومه ابداع خلقه تعالى للسماوات والأرض ورأى شدة عصيانهم وأعراضهم{ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} عصيانًا مريرًا{ وَٱتَّبَعُواْ} زخرف قول أغنيائهم وكبرائهم و{ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الرعد:{ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ}﴿٣٤﴾ كما{ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا} متشبثين بعبادة الأصنام{ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ} ولا تدعنّ عبادة{ ءَالِهَتَكُمۡ} وأصنامكم وأوثانكم التي تعبدونها{ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا} بغواية إبليس، وقال نوح (عس):{ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ} من خلقك{ وَلَا تَزِدِ} تلك الأوثان والأصنام{ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا}.

ثمّ قال تعالى:{ مِّمَّا} أي بسبب{ خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ} وذنوبهم وإصرارهم على كفرهم{ أُغۡرِقُواْ} بحلول لعنة الله تعالى عليهم{ فَأُدۡخِلُواْ} بمجرد غرقهم{ نَارٗا} حامية في البرزخ{ فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا} يغيثونهم أو ينصرونهم من الله شيئًا{ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ} لا تبقي ولا تدع { عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا} يسكن الديار، وعلّل ذلك قائلا:{ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا} منبعثًا في المعاصي والمحارم{ كَفَّارٗا} جحّادًا لنعم ربّه، ثمّ دعا قائلًا:{ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا} وسحقًا وفتاتًا وهلاكًا وتدميرًا.

الخلاصة: -

الخسران في الدنيا والآخرة لمن عصى الرسل واتبع الماكرين المعرضين عن هدي الله تعالى، وأنّ الله تعالى مهلكهم في الدنيا جزاء

عنادهم وعصيانهم، ويدخلهم نار جهنّم في الآخرة، والفوز للمؤمنين في الدارين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن ترتيبها (٧٢) آياتها (٢٨)

التعريف بالجن.

الجن خلق من خلق الله، خلقهم الله تعالى من نار قبل خلق آدم من تراب لقوله تعالى في سورة الحجر:{ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ}﴿٢٧﴾ وكل من تبع إبليس من الإنس والجن فهو من ذريته، لقوله تعالى في سورة الكهف:{... أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا}﴿٥٠﴾ والجن مكلفون كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر والمطيع والعاصي كما قال تعالى في سورة الجن:{ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا}﴿١١﴾.

(١-٧) استماع الجن لقراءته ﷺ وإيمانهم به.

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ

ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴿٧﴾

جاء في سبب نزول سورة الجنّ ما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رلع) قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيءٌ حدث، فَاضرِبوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبيّ ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا: يا قومنا:{ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا} فأنزل الله على نبيه ﷺ {قل أوحي إلي} وإنما أوحي إليه قول الجن"، وفي هذا الحديث دلالة واضحة أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب، ولم يكونوا يعلمون خبر بعثته ﷺ أوّل الأمر.

وورد في زاد المسير" ذكر بعض المفسرين أنه لمّا يئس ﷺ من أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، وقيل

ليلتمس نصـــرهم، وذلك بعد موت أبي طالب في الســـنة العاشـــرة من الدعوة، فلما كان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن في صـــــلاة الفجر فمرّ به نفر من أشراف جنّ نصيبين فاستمعوا القرآن"، وورد في تفسير الرازي وفي كتاب اللباب في علوم الكتاب" كان إبليس بعثهم ليعرف الســـبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم، فسمعوا القرآن، فعرفوا أن ذلك هو السبب".

فقال الله تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ} القرآن يتلى من رسول الله ﷺ وهو يصلي الفجر بعد رجوعه من الطائف بعد ما لقي الأذى من سفهاهم{ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا } من فصاحته وبلاغة مَعانِيه{ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ} والحق والصراط المستقيم، وينفي الأباطيل والغيّ والضلال{ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا} أبدًا.

ثمّ قالوا:{ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا} وتقدس، الغني عن العالمين، المنزه عن أدنى شائبة، والذي لا حاجة له لشيء{ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ} زوجة{ وَلَا وَلَدٗا} خلقًا، ثم قالوا:{ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا} أي إبليس{ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا} وبعدًا عن الحق وجورًا وظلمًا{ وَأَنَّا ظَنَنَّآ} جزما أكيدا{ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا} وزورا وبهتانا{ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ} ويستجيرون{ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا } وذلًا وهوانًا وخِفّة عقل

وحماقةً وفساد رأي{ وَأَنَّهُمۡ} أي الجنّ{ ظَنُّواْ} يقينا{ كَمَا ظَنَنتُمۡ} وجزمتم معشر النّاس{ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ} بعد الموت{ أَحَدًا}.

الخلاصة: -

يخبر الرسول ﷺ أنّه أوحي إليه أن نفر من الجنّ استمعوا له يقرأ القرآن مصليًا، وسمعوا قرآنًا عجبًا، يهدي إلى الرشد فأمنوا به ولن يشركوا بالله أحدًا، وأنّه تعالى ما اتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنّ الشيطان إبليس كان يقول على الله شططًا وكذبًا وبعدًا عن الحق، وما كانوا يظنّون أنّ الإنس والجن يقولون على الله كذبًا، وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقًا وجهلًا وحمقًا، وأنّهم ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا، ويتبيّن من ذلك أنّ الجنّ منهم مؤمن ومنهم كافر ومشرك.

(٨-١٣) منع الجن من استراق السمع عند بعثته ﷺ وإيمانهم به.

وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا
نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا
نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣

وقال الجنّ:{ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ} الدنيا، أي عرجنا فيها لنسترق السمع من الملائكة لنلقيه إلى الكهنة{ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا رَّصَدٗا وَأَنَّا كُنَّا} قبل ذلك{ نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ} ومجالس معلومة من السماء{ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا} يقذف به من كل جانب، لمنعهم وطردهم وإبعادهم، وفي ذلك تشريف للرسول ﷺ وأمته.

وإنما منعت الجنّ من استراق السمع لأن كفرة الجن يكذبون على الله تعالى بزيادة الكثير على ما تسمع من الملائكة لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقا، قال:" تلك الكلمةُ الحق يخطفها الجنيّ فيقذفها في أُذن وليّه ويزيد فيها مائة كِذبة"، فأصبحت الجنّ لا تستطيع استراق شيء من الملائكة البتة، أمّا ما يتناقله الكهنة والسحرة فهو ما تسترقه الجنّ من أقوال النّاس وأقرانهم من الجنّ ويزيدون عليه من الكذب فيوحون به لأوليائهم من الإنس، والله أعلم.

وقالوا:{ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ} سبب ذلك المنع من السماء{ أَشَرٌّ} من عذاب{ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا} لا، بل أراد الله تعالى بهم رشدا بإرسال خاتم الرسل ﷺ للبشرية، وقالوا:{ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا} وفرقًا وجماعات وأحزاب مختلفة{ وَأَنَّا ظَنَنَّآ} يقينا{ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا} من بأسه وسننه{ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ} يتلى من رسول الله ﷺ{ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا} لحسناته من الله تعالى{ وَلَا} لأجره ولا{ رَهَقٗا} من مشقة التكليف في عبادة أو طاعة، ولن نجد ظلمًا ولا جفاءً ولا إثمًا.

الخلاصة: –

بيّن الجنّ أنهم منعوا من استراق السمع من السماء بحرس شديد وشهبًا، بعد أن كانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، وفي ذلك تشريفًا له ﷺ ولأمته، وأنّ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وهم طرائق وأحزاب وجماعات، وأنهم لن يعجزوا الله بإقامة سننه وجزاءاته فيهم أينما كانوا، وأنّهم آمنوا ولا يخافون بخسًا لإيمانهم وأعمالهم ولا رهقًا في تكاليف الدين.

(١٤-١٩) بيان أنّ من الجن مسلم وكافر وأنّ المساجد جعلت لله تعالى.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾

وقالوا:{ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ} المطيعون لأوامر الله تعالى ونهيه{ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ} الطاغون الجائرون المعرضون عن هديه{ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟} وجدير بهم أن يجدوا{ رَشَدًا} والرشد ضد الغيّ، وهو تناسق التدبير للوصول إلى المقاصد{ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ} الجائرون المارقون النّاكثون المعرضون عن هدي الله تعالى وشرعه{ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ} وقودًا و{ حَطَبًا} تُسعر بهم جهنّم{ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ} ودين الله تعالى ومنهجه{ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً} غمرًا كثيرًا{ غَدَقًا} في الدنيا{ لِّنَفْتِنَهُمْ} ونختبرهم ونمتحنهم{ فِيهِ ۚ} فمن شكر فله الحمد ومن طغى فله العقوبة{ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ} وهدية وشرعه{ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} في الآخرة، فسنن الله تعالى ماضية في الجنّ كما هي ماضية في الإنس.

ثم قال تعالى:{ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ}" فأفردوها لذكره، وعبادته، فلا تتخذوها متجرًا، ولا مجلسًا، ولا طريقًا، ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا، كما ذكر القرطبي في" الجامع لأحكام القرآن" والذي ورد في تفسير الثعلبي، أي اجعلوها لمصلحة دين الله، كتَعلُّم دينه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات{ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا} أو شريكًا{ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ} ورسوله ﷺ{ يَدۡعُوهُ} ويناجيه في صلاته{ كَادُواْ} أي الجن{ يَكُونُونَ} متكدسين{ عَلَيۡهِ} كالسحاب{ لِبَدٗا} بعضهم فوق بعض.

الخلاصة: -

بيّن الجنّ أنّ منهم المسلمون والمعرضون، فمن أسلم منهم تحرى طريق الرشد، ومن أعرض فكانوا لجهنّم حطبًا، وأن لو استقاموا على هدي الله تعالى لأسقاهم ماءً كثيرًا وفيرًا غدقًا ليمتحنهم أيشكرون أم يكفرون، ومن كفر فله عذابًا في الدنيا متصاعدًا، وأنّ المساجد جعلت لله وعبادته وذكره، ولا ينبغي أن يشرك به أحدًا، وأنّه لمّا قام رسوله الله ﷺ يدعو ربه في صلاته تجمعوا عليه لسماعه كأنهم سحاب متراكمًا لبدًا.

(٢٠-٢٤) بيان واجب الرسل وأنهم لا يملكون للناس شيئًا.

قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلۡ} للإنس والجنّ{ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ} وأعبد{ رَبِّي} وحده المستحق للعبادة{ وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا} و{ قُلۡ} لهم{ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا} لأضركم به{ وَلَا} أملك لكم{ رَشَدٗا} لأهديكم، فذلكم بيد الله وحده الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء بعلمه بحقيقة ما في القلوب، وبعدله وحكمته وما ربك بظلام للعبيد، و{ قُلۡ} لهم{ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ} عذاب{ ٱللَّهِ أَحَدٞ} إن عصيته{ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا} ولا ملجأً أفرّ إليه يوم القيامة، ولن يجيرني من عذابه{ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ} فما علينا إلا البلاغ المبين، ليجيرني من عذابه وسخطه وعقوبته{ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} ليذوق وبال أمره{ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ} حقًا وحقيقةً{ مَا يُوعَدُونَ} عندها{ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا}.

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يبيّن للإنس والجنّ إنّه يدعوهم لله وحده لا يشرك به أحدًا، ولا يملك لهم ضرًا ولا رشدًا، ولن يجيره من الله تعالى أحد إن لم يبلغ رسالته، ولن يجد له ملجأً ولا ملتحدًا، وأن من يعص الله ورسوله ﷺ فأنّ له نار جهنم في الآخرة لا يخرج منها أبدًا، فإذا رأوها حقًا وحقيقةً فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا.

(٢٥-٢٨) تأكيد أنّ أمر الساعة بيده تعالى وهو الرقيب على خلقه.

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

ثمّ يقول تعالى لرسوله ﷺ:{ قُلْ} للمكلفين من الإنس والجن{ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ} من أمر الساعة{ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا} بعيدًا، فهو تعالى وحده{ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا} أبدًا{ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ} من الملائكة أو من النّاس{ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ} ملائكة{ رَصَدًا} رقباء يرصدون ويدونون، ذلك{ لِّيَعْلَمَ} الله

تعالى علم تقرير{ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ} بل و{ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ} مسبقًا{ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا} في السماوات والأرض، فسبحانه من عليمٌ عليٌ قدير.

الخلاصة: -

يخبر ﷺ أنّه لا يدري أقريب أمر الساعة أم بعيد، فهو تعالى عالم الغيب ولا يظهر عليه أحدًا إلّا من ارتضى من رسول فيسلك له رصدًا، ليعلم علم تقرير أن قد بلّغوا رسالات ربهم، وقد أحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددًا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المزمل ترتيبها (٧٣) آياتها (٢٠)

(١-٩) الأمر بقيام الليل، وتأكيد ثقل مسؤولية أداء واجبات الدين، والأمر بالتبتل له تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ
زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ
نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾
وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾

جاء في سبب نزول سورة المزمّل ما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه(وهو التعبد) الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجِئَه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ فقلت: ما أنا بقارئ(أي لا أعرف القراءة)، فأخذني فغطني حتى بلغ مني

الجَهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال:{ اقرأ باسم ربك الذي خلق} حتى بلغ{ علم الإنسان ما لم يعلم} فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت: له كلا، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرا قد عَمى، فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مُخرِجِيّ هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة، حتى حزِن النبيُ ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رءوس

شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، قال ابن عباس{ فالق الإصباح} ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل".

فقال تعالى لرسوله ﷺ:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ} الملتف والمتغطي بثيابه{ قُمِ ٱلَّيۡلَ} راكعًا وساجدًا لله تعالى متحنثًا عابدًا ليسكن جأشك وتقر عينك{ إِلَّا قَلِيلٗا} منه لنومك وراحة بدنك.

ولما ورد في فضل صلاة جوف الليل في صحيح الإمام مسلم عن أبى هريرة (رلع) يرفعه قال: سُئِل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان، فقال:" أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم".

ثمّ قال تعالى:{ نِّصۡفَهُۥٓ} أي قم متهجدًا نصف الليل{ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا} لراحتك{ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ} أي زد في قيامك على نصف الليل، خاشعًا قانتًا متبتلًا{ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا} لفهم القرآن وتدبره وتبليغه للنّاس، ولإقامة شرائع الدِّين في الأرض.

ثمّ قال:{ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا} من شرائع كثيرة وأحكام العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات:{ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ} أي الصلاة التي ينشئها الإنسان في الليل{ هِيَ أَشَدُّ} وأوقع في القلب{ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا} وأثبت للفهم فـ{ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا} ومشاغل كثيرة وخواطر تلهيك عن التدبر والتلاوة{ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ} في كلّ أحوالك{ وَتَبَتَّلۡ} واخلوا لربك وانقطع{ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا} خالصًا، فالله تعالى هو المستحق للعبادة فهو سبحانه{ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ} مالِكُهما، فله تعالى الخلق والأمر فيهما، ولا يكون شيئًا فيهما إلّا بإذنه ومشيئته{ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا} معينًا على الوفاء بتكاليف الرسالة.

الخلاصة: -

الأمر بقيام ما يستطاع من الليل، للاستعانة على تحمّل القيام بأعباء الدين، فقيام الليل أشد وطئً في القلب وأقوم قيلا للوفاء بتلك التكاليف، فإنّ في النهار مشاغل كثيرة، والأمر باتخاذ الله تعالى وكيلا للقيام بتكاليف الدين.

(١٠–١٤) الأمر بالصبر على الكافرين والتوكل على الله تعالى بإقامة سننه في المكذبين.

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

يوجّه الله تعالى نبيّه ﷺ قائلًا:{ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ} أذى الكافرين و{ مَا يَقُولُونَ} من سحر وكهانة وما يفترون على الله تعالى، ولا تنشغل بهم{ وَٱهۡجُرۡهُمۡ} وابتعد عن مسابتهم{ هَجۡرٗا جَمِيلٗا} لا غلظة فيه، واترك أذاهم، ولا تحملهم على النيل منك ومن الدين ومن الله تعالى عَدْوًا بغير علم.

ثمّ قال تعالى:{ وَذَرۡنِي} لي وحدي بسنني وحكمتي وعدلي وقضائي وقدري{ وَٱلۡمُكَذِّبِينَ} بديني وهديّ{ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ} والغِنى والأَشرِ والبَطر، وعلمي بحقيقة ما تخفيه صدورهم{ وَمَهِّلۡهُمۡ} رويدًا ولا تستعجل عليهم وأنظرهم{ قَلِيلًا} فسنني لا تتخلف ولا تخطئ أحدًا أبدًا، وقضائي ماضٍ فيهم لا محالة، وما ربك بظلام للعبيد، وانشغل بتزكية من آمن بك وعلمهم الكتاب والحكمة التي منّ الله تعالى بها عليك.

ف{ إِنَّ لَدَيۡنَآ} للكافرين والمكذّبين والمستكبرين{ أَنكَالٗا} وصنيعًا فيه عِبرًا رادعة كعقوبة قوم عاد وثمود وفرعون وأصحاب الأيكة وغيرهم في الدنيا{ وَجَحِيمٗا} في الآخرة مُحرقًا مهينًا{ وَطَعَامٗا} من زقوم وضريع وغسلين{ ذَا غُصَّةٖ} ولوعةٍ وحُرقة{ وَعَذَابًا أَلِيمٗا} مخزٍ ومذلٍّ، وقَترةِ ذُلٍ وهوان يجدونه{ يَوۡمَ تَرۡجُفُ} وتزلزل{ ٱلۡأَرۡضُ} رجفًا مروعًا{ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ} يومها{ كَثِيبٗا مَّهِيلًا} فتاتًا كالعهن المنفوش لا ثبات ولا قرار.

الخلاصة: -

الأمر بالصبر على ما يقوله الكفّار وأذاهم، والاعتماد على سنن الله تعالى التي يقيمها في النّاس والتي لا تتخلف عن أحد، فإنّ لديه تعالى أنكالًا وجحيمًا وطعام ذا غصّة وعذابًا أليما، يوم ترجف الأرض والجبال وتكون كثيبًا مهيلًا فتاتًا.

(١٥-١٩) التحذير من الكفر وضرب المثل بعقوبة فرعون.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾
فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ
يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

يحذّر الله تعالى النّاس قائلا:{ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا} محمد ﷺ{ شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ} يا معشر العرب والنّاس، لكي لا يكون للناس على الله تعالى حجة بعد الرسل{ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا} موسى (عس){ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ} واستدبر الهدى واستكبر واستعلى على الحق علوًا شنيعًا{ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا} وخيمًا ثقيلًا شديدًا مهلكًا.

ثمّ قال تعالى:{ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ} أنتم عذابه تعالى وعقوبته في الدنيا{ إِن كَفَرۡتُمۡ} كما كفر فرعون، وسننه تعالى ماضية لا مناص منها بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وسيرون ذلك العذاب والنكال{ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ} الله تعالى فيه{ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا} و{ ٱلسَّمَآءُ} تكون{ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ} فاحذروهُ{ كَانَ وَعۡدُهُۥ} دائمًا{ مَفۡعُولًا} فـ{ إِنَّ هَٰذِهِۦ} البينة التي فيها صحف مطهرة، وفيها قصص من قبلكم{ تَذۡكِرَةٞۖ} وموعظة{ فَمَن شَآءَ} منكم في الدنيا{ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا} وطريقًا حسنًا قبل الحسرة والندامة.

الخلاصة: -

يحذّر الله تعالى النّاس بأنه أرسل لهم رسولا كما أرسل إلى فرعون رسولا، فأخذه الله تعالى أخذًا عزيزًا لمّا عصى، ولا يمكنكم النجاة من عذابه يومًا يكون فيه الولدان شيبًا؟ والسماء تنفطر به، وكان وعدًا مفعولًا، فإنّ هذا القرآن تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا قبل فوات الأوان.

(٢٠) بيان أهمية قيام الليل والأمر بقراءة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

أثنى الله تعالى وامتدح رسوله ﷺ وطائفة من المؤمنين بقيام الليل قائلًا:{ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ} وقيام الليل من صفات عباد الرحمن{ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ

وَٱلنَّهَارَۚ} طولًا وقصرًا{ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ} أي أن لن تقدروا على قيام الليل كلّه{ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ} فإذا قمتم لصلاة الليل{ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ} فقد{ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ} لا يستطيعون قيام الليل{ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ} لكسب أرزاقهم وإعالة أسرهم{ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ} مجاهدين{ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ} معذورون عن قيام الليل{ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ} في أيِّ وقت يتسنّى لكم ذلك.

ثمّ قال تعالى:{ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} أي المفروضة لأهميتها{ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} لإقامة المجتمع الأمثل للبشرية، فبالزكاة يأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، والزكاة هي صمام الأمان للمجتمعات، فمعظم الجريمة سببها أنّ الفقير لا يستطيع سدّ احتياجاته الأساسية، فيلجأ إلى الطُرُق غير المشروعة من احتيال أو سرقة أو ممارسات غير أخلاقية حرّمها الله تعالى، وإنّ الحضارة الإنسانية اليوم تئِن من أصناف الجريمة بأشكالها الأخلاقية والإدارية والاقتصادية والسياسية وغيرها، والمال أهم أسبابها، والفقير لا يملك سد حاجاته الأساسية.

ثمّ قال تعالى:{ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ} من الأعمال الصالحة كالنوافل والصدقات وغيرها{ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ} أي من أدنى خير{ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ} سواءً فعله الرسول ﷺ أو لم

يفعله، وقد أتفق الشيخان إبي بكر وعمر (رلع) على ذلك، فجمعا القرآن بين دفتين والذي لم يفعله رسوله ﷺ، لما ورد في صحيح الأمام البخاري زيد بن ثابت (رلع) قال: أرسل إلي أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر (رلع): إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، وقد أمر رسول الله ﷺ بالتمسك بسنتهما لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عرباض بن سارية (رلع) قال: صلى لنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا. قال: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة"، وعمر بن الخطاب (رلع) هو الذي سنّ للمسلمين صلاة التراويح عشرون ركعة في رمضان، فمن الأولى اتباعه (رلع) لأمر رسول الله

ﷺ في قوله: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ".

ثمّ قال تعالى:{ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ} لما للاستغفار من فضائل كثيرة، مؤكدًا ذلك بقوله:{ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ} في كلّ وقت وحين.

الخلاصة: -

بيان علمه تعالى بقيامه ﷺ للصلاة وطائفة من المؤمنين، ولا يريد الله تعالى أن يشق عليهم، كون منهم مرضى وكادحين في الأرض على أرزاقهم، ومجاهدين في سبيل الله، فليقرأ كلٌّ منهم ما يتيسر له من القرآن، والأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنواقل، وسيجدون جزاء كل ما يقدمونه من خير مضاعفًا وأعظم أجرا في الدنيا والآخرة، ثمّ الأمر بملازمة الاستغفار من الذنوب والتقصير، وليعلموا أنّ الله تعالى غفور رحيم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المدثر ترتيبها (٧٤) آياتها (٥٦)

(١-١٠) الأمر بإنذار النّاس وبتعظيم الله تعالى والتطهر والصبر والتحذير من الآخرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾

ورد في سـبب نزول سـورة المدثر ما ذكره الإمام البخاري في صـحيحه وغيره عن جابر بن عبد الله (رلع) أنه سـمع رسـول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي:" فبينا أنا أمشـي سـمعت صـوتا من السـماء فرفعت بصـري قِبَل السـماء، فإذا المَلك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فَجَئثُ منه حتى هويت إلى الأرض، فَجِئْتُ أهلي فقلت: زملوني زملوني، فزملوني فأنزل الله تعالى" يا أيها المدثر قم فأنذر إلى قوله فاهجر".

فأمر الله تعالى رسوله ﷺ قائلًا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ} أي المتلحف بردائه{ قُمۡ} من دثارك ولحافك{ فَأَنذِرۡ} النّاس وبلّغهم تكاليفُ الرسالة من عقيدة

وعبادات وأخلاق وشرائع ومعاملات{ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ} وعظِّم وارفع وأجِل{ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ} من النجاسات{ وَٱلرُّجۡزَ} والكفر والأوثان وقول الزور{ فَٱهۡجُرۡ} وترك وأعرض واعتزل{ وَلَا تَمۡنُن} إذا جِدت وأعطيت لأجل أن{ تَسۡتَكۡثِرُ} ما ترجو نواله، أو لتنال خيرًا منه{ وَلِرَبِّكَ} وأمره ولدينه وتكاليف شرعه وحكمه{ فَٱصۡبِرۡ} فإنّ مع العسر يُسرًا ويُسرى{ فَإِذَا نُقِرَ} ونفخ في الصور و{ فِي ٱلنَّاقُورِ} والبوق العظيم نقرًا مريعًا رهيبًا{ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ} طويل شديد عظيم{ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ}.

الخلاصة: -

الامر بإنذار النّاس من سننه تعالى في الدنيا بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشـــقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سـورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ وهول مـا أعـد للكفرة في الآخرة، والأمر بتعظيم الله تعـالى بملازمـة التطهر، وهجر الشـــرك والأوثان والأرجاس، وعدم المَن للاســـتكثار، والصـــبر على الطاعات وعن المعاصـــي، والتحذير من هول الآخرة وشدّتها.

(١١-٣٠) تَوَعُد المستكبرين في الدنيا وبيان شدة عذابهم في الآخرة.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ
شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ
لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾
سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ
لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

ورد في المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس (رلع) أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قِبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له، أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما

فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت:" ذرني و من خلقت وحيدًا".

فتوعد الله تعالى الوليد بن المغيرة وأمثاله توعدًا شديدًا في الدنيا فقال:{ ذَرۡنِي} لبأسي وشدتي وسنني وحكمتي{ وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا} يعني الوليد ابن المغيرة وأمثاله مِن الكَفرةِ المعاندين المستكبرين، ولا تلقي لهم بالًا ولا وزنًا ولا معيارًا ثمّ قال:{ وَجَعَلۡتُ} وصيرت{ لَهُۥ} وأعطيته وبسطت له{ مَالٗا مَّمۡدُودٗا} كثيرًا وفيرًا غدقًا{ وَبَنِينَ شُهُودٗا} حضورًا بمكة لا يسافرون ولا يحتاجون إلى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم كما ورد في كتاب فتح القدير، وقيل إنّهم عشرة من الولد وقيل اثنى عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة في كتاب زاد المسير وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل{ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ} وأصلحتُ وطيبتُ له عيشه وبسطت له رزقه وولده وعمره{ تَمۡهِيدٗا} وفيرًا كثيرًا{ ثُمَّ يَطۡمَعُ} فيما وهبت من مال ورزق وولد، ثمّ يرجو الجنّة، و{ أَنۡ أَزِيدَ} محال ولن يكون كذلك فـ{ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا} وقرآننا وشرعنا وحُكمنا ولرسولنا ﷺ{ عَنِيدٗا} ولكن{ سَأُرۡهِقُهُۥ} في الدنيا عذابًا{ صَعُودًا}" فمنعه الله تعالى المال والولد حتى مات فقيراّ كما ورد في كتاب زاد المسير، وقيل في كتاب الدُّر المنشور" لم يزل في إدبار من الدنيا في نفسه وماله وولده حتى أخرجه الله تعالى من الدنيا".

فأمضى الله تعالى سننه فيه ويمضيها في أمثاله فيخزيهم في الدنيا ولهم عذاب الحريق في الآخرة لقوله تعالى في سورة الحج:{ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ}﴿٩﴾ إذ{ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} وعَلِم وتيقن لقوله: والله إن لِقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة(أي عليه الحُسن والقبول) وإنه ليَحطِم ما تحته، وإنه ليَعلُو وما يعلى{ فَقُتِلَ} وأُهلك وأُخزي وقُبّح{ كَيۡفَ قَدَّرَ} وافترى واستكبر{ ثُمَّ قُتِلَ} ولعن في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا}﴿٦٤﴾ و{ كَيۡفَ قَدَّرَ} وعتا عتوًّا كبيرًا وازداد نفورًا{ ثُمَّ نَظَرَ} وتفكّر وتأمل{ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} مُقطِبًا كالحًا عبوسًا{ ثُمَّ أَدۡبَرَ} عن الحق والقصد والصراط المستقيم{ وَٱسۡتَكۡبَرَ} عنادًا وتجبرًا وفضاضةً{ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ} أي الذي جاء به رسول الله ﷺ{ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ} عن غيره من السحرة، ثمّ يفتري قائلا:{ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ}.

ووعيده في الآخرة كما قال تعالى:{ سَأُصۡلِيهِ} وأشويه بحميم وعذاب في{ سَقَرَ} جهنّم ليقاسي شدة حرّها{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} عذاب وهوان وذُل{ سَقَرُ} فهي نارٌ تتلظّى{ لَا تُبۡقِي} شحمًا ولا لحمًا ولا عصبًا{ وَلَا تَذَرُ} تطلع على الأفئدة و{ لَوَّاحَةٞ} مُفحمةٌ للعظام، تعطش الجنان، حاميةٌ بشتى

أصناف العذاب{ لِّلۡبَشَرِ} شرابهم الحميمُ وطعامهم من ضريع وغسلين{ عَلَيۡهَا} ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم{ تِسۡعَةَ عَشَرَ} اللهم أجرنا من عذابك يوم تبعث عبادك.

ولو أنّهم آمنوا واتقوا لفتح الله تعالى عليهم بركات السماء والأرض لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}٩٦ ولدانت لهم العرب والعجم كما بشّرهم الرسول ﷺ، ولكن كذّبوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

الخلاصة: -

يتوعد الله تعالى الوليد بن المغيرة وأمثاله توعدًا شديدًا بسننه التي يمضيها في المستكبرين على دينه في الدنيا وفي الآخرة، فسيرهقهم صعودًا، ويصلون سعيرًا في سقر، وعليها ملائكة تسعة عشر.

(٣١) بيان الغاية من الإخبار عن عدد خزنة النار من الملائكة.

وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ

وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١

ورد في سـبب نزول الآية في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل:" لما نزلت هذه الآية{ عليها تسعة عشر} قال أبو جهل: زعم ابن أبي كبشة(والخبيث أبو جهل يعني الرسول ﷺ) أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهماء، والدهماء كما جاء في قاموس لسان العرب" الجماعة الكبيرة ذات السواد الكثير، وتعني الشجعان أيضًا"، أفيَعجُزُ كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم ثم يخرجون من النار، وقال أبو الأشدين كلدة بن أسيد– وكان يوصف بالقوة–: أنا أكفيكم سبعة عشر منهم، فاكفوني اثنين، فأنزل الله{ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة}" كما ذُكر ذلك في كتاب التحرير والتنوير وغيره.

فقال الله تعالى:{ وَمَا جَعَلۡنَآ} أي وما قضينا وقدرنا أن يكون{ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ} وخزنتها ومدبري أمورها، والقائمين على عذاب النازلين فيها{ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ} لا قِبَل ولا طاقة ولا قدرة لأهل الأرض من الإنس والجنّ مجتمعين على النيل من أحدهم، فغضبهم الله تعالى، وهم غلاظ شداد لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون، ثمّ قال تعالى:{ وَمَا جَعَلۡنَا} أي وما صيرنا{ عِدَّتَهُمۡ} وعددهم{ إِلَّا فِتۡنَةٗ} وإضلالاً{ لِّلَّذِينَ

كَفَرُواْ} لاستكبارهم وعنادهم وتجبرهم وفسقهم وفجورهم، وليزدادوا رجسًا وليموتوا وهم كافرين.

وغاية أخرى من ذكر عدد خزنة النّار{ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ} من يهود ونصارى بأنّ القرآن من عند الله تعالى مصدقًا لما معهم، وإنّه الحق من ربهم لما ورد في تفسير الطبري وغيره" وقال قتادةُ: في التوراةِ والإنجيلِ إنَّ خزنةَ النارِ تسعة عشر"، ثمّ قال تعالى:{ وَيَزۡدَادَ} أي وليزداد{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا} ورفعةً ويقينًا ورشادًا وتصديقا بما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ.

ومقصد آخر من الإخبار عن عدد خزنة جهنّم{ وَلَا يَرۡتَابَ} أي لأجل ألّا يرتاب ولا يشك ولا يظن أو يشتَبهُ على{ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ} فيما أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ. ثمّ قال تعالى:{ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ} فيما نزل على رسولهم ﷺ{ وَلِيَقُولَ} أي ولأجل أن يقول{ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} مرض الكفر أو نفاق أو شك في دين الله تعالى{ وَٱلۡكَٰفِرُونَ} الطغاة والمستكبرون على شرائع الله تعالى{ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ} فالله تعالى يطمس على قلوبهم ويجعل في آذانهم وقرًا{ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ} بسننه وعدله وحكمته وبعلمه بحقيقة ما في القلوب، ولا يظلم ربّك أحدًا أبدًا، وما ربك بظلام للعبيد، وليزدادوا شكًا وريبة وضلالًا{ وَيَهۡدِي مَن

يَشَآءُۚ} من المؤمنين التائبين، فسننه تعالى وجزاءاته ماضية في مختلف النّاس بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}۝١٢٤ فكل الخلق مجازى بحقيقة اعتقاده وما تكسبه يداه وما يضمره في نفسه وقلبه{ وَمَا يَعۡلَمُ} حقيقة وعدد{ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} سبحانه.

ثمّ قال تعالى:{ وَمَا هِيَ} أي جهنّم، أو قصص وأخبار الكفرة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي الأشدين كلدة بن أسيد وغيرهم، أو البيّنة التي جاء بها الرسول ﷺ والتي فيها صحفًا مطهرة، أو قصص الأنبياء والأمم وما فيها من عِبَر{ إِلَّا ذِكۡرَىٰ} وهدىً وموعظةً{ لِلۡبَشَرِ} لعلهم يرجعون ويتوبون إلى ربهم ويتضرعون.

الخلاصة: -

بيّن الله تعالى الغاية من الإخبار عن خزنة النّار، أن تكون إضلالًا للذين كفروا، وليستيقن كفّار أهل الكتاب بصدق القرآن، وليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وليقول الذين في

قلوبهم مرض الكفر والنفاق ماذا أراد بهذا المثل، فكذلك يضـــل الله من يشاء ويهدي من يشـاء بعلمه بحقيقة ما في الصـدور، وما يعلم حقيقة جنود الله تعالى إلّا هو، وما هي إلّا ذكرى للبشر.

(٣٢-٣٧) القسم بأن جهنّم من الآيات العظائم الكُبر.

كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى:{ كَلَّآ} أي لن يكون الأمر كما زعم أبو جهل وأبو الأشدين من استطاعتهما مدافعة خزنة جهنّم، كما ورد في كتاب فتح القدير" والمعنى هو رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم: أي ليس الأمر كما يقول" ثم أقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلْقَمَرِ } وإذا أقسم الله تعالى بالشيء دلّ على قدرته تعالى وتسخيره لمصالح النّاس، فالقمر يسبح في السماء بحساب مقدر تقديرا دقيقًا مضبطًا كما قال تعالى في سورة الرحمن:{ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}﴿٥﴾.

ثم أقسم تعالى بالليل قائلا:{ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ} بطلوع الفجر، لما أودع الله تعالى في لليل من ابداع وعظمة وإعجاز، فالليل يغشى النهار ويغطيه، والنهار ليس إلا طبقة رقيقة فوق الأرض بالنسبة لقطر الأرض، وسببه

الغلاف الجوي والجاذبية الأرضية التي أبدعها الله تعالى لحفظ الغلاف الجوي من الانفلات في الفضاء، فأقصى سمكًا أو ارتفاع للنهار أربعمائة وثمانون (٤٨٠) كيلومتر من سطح البحر، والذي يعادل تقريبًا أربعة من مئة (٠,٠٤) من قُطر الأرض، والذي شبهه تعالى بسلخ الشاة كما قال تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}﴿٣٧﴾ فالليل يغطي النهار وهذا من إعجازه تعالى كما قال في سورة الرعد﴿٣﴾ والأعراف﴿٥٤﴾:{... يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ...}.

ثمّ أقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ} وتنفّس وأشرق وأنار مؤذنًا بطلوع يوم جديد وعلى الخلق شهيد، وجواب القسم قوله تعالى:{ إِنَّهَا} أي النار{ لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ} أي العظائم الكبيرة لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"، ولا يمكن لأحد الخروج أو مقاتلة خزنتها، وهي{ نَذِيرًا} وتحذيرًا{ لِّلۡبَشَرِ} و{ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ} بالصالحات وأحسن الأعمال{ أَوۡ} أراد أن{ يَتَأَخَّرَ} في الضلالات والشقاء.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر بأن النّار سقر من إحدى العظائم والدواهي الكبار، والتي من المحال الخروج منها أو منازعة خزنتها.

(٣٨-٤٨) تأكيد أنّ كل نفس مرهونة بعملها إلّا أصحاب اليمين.

كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨

أكّد الله تعالى أنّ كل نفس مرهونة بعملها في الدنيا قبل الآخرة فقال:{ كُلُّ نَفۡسِۭ} من الإنس والجن{ بِمَا كَسَبَتۡ} من خير أو شرّ{ رَهِينَةٌ} ومدانة وموثوقة بعملها وسعيها وحقيقة ما في الصدور، ثمّ استثنى تعالى قائلا:{ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ} التائبين المستغفرين فيغفر ويمحوا سيئاتهم في الدنيا، فهم{ فِي جَنَّٰتٖ} ونعيمٍ وحدائق وأعنابًا وكواعب أترابًا وكأسًا دهاقًا لا يسمعون فيها لغوًا ولا كذّابًا و{ يَتَسَآءَلُونَ} ويتذكرون{ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ} المعاندين المستكبرين.

فيسألونهم:{ مَا سَلَكَكُمۡ} وما أودعكم وأدخلكم{ فِى} جهنّم مسّ وعذاب و{ سَقَرَ} التي لا تبقي لحمًا ولا عظمًا ولا عصبًا ولا تذر{ قَالُواْ لَمۡ نَكُ} في الدنيا{ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ} المصدقين{ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ} ولا زكاةً ولا الصدقة{ وَكُنَّا نَخُوضُ} ونلعب ونفتري ونستهزئ ونكذّب{ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ} الجاحدين{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ} والبعث والحساب والجزاء{ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا} الموت والهلاك والأجل المسمّى{ ٱلۡيَقِينُ} عندها{ فَمَا تَنفَعُهُمۡ} في جهنّم{ شَفَٰعَةُ} ووساطة{ ٱلشَّٰفِعِينَ} المرسلين ولا صديق حميم.

الخلاصة: -

كل نفس يوم القيامة بما كسبت مرهونة، إلّا أصحاب اليمين، الذين يتساءلون عن المجرمين وأسباب شقائهم في الآخرة، والذين لم يكونوا من المصلين، ولم يطعمون المسكين، وكانوا يخضون بالباطل مع الخائضين، ويكذّبون بيوم الدين، فما تنفعهم شفاعة الشافعين.

(٤٩-٥٦) التعجب من إعراض الكافرين وبيان أمانيهم وأنّ المشيئة التّامة لله تعالى.

فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن

قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

ورد في تفسير التحرير والتنوير في قوله تعالى:{ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة} فالوليد ابن المغيرة قال للنبيّ ﷺ: لو كانت النبوءة لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سنا وأكثر مالا وولدا؛ وأن أبا جهل قال: زاحمنا" يعني بني مخزوم" بنو عبد مناف في الشـــرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

فقال تعالى:{ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ} التي أرادها الله تعالى رفعةً لشانهم{ مُعۡرِضِينَ} مستكبرين{ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ} هائجة شاردة{ مُّسۡتَنفِرَةٞ} جزعة خائفة{ فَرَّتۡ مِن} ليثٍ مفتولٍ{ قَسۡوَرَةِۭ} لا{ بَلۡ} الحقيقة أن{ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن} تنزّل عليه و{ يُؤۡتَىٰ} وينبأ بـ{ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ} كما قالوا للنبيّ ﷺ:" إن سرك أن نتبعك فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان بن فلان يؤمر فيه باتباعك" كما ورد في تفسير زاد المسير وغيره.

ثمّ قال تعالى:{ كَلَّاۖ بَل} الحقيقة أنّهم{ لَّا يَخَافُونَ} عقوبة وجزاء{ ٱلۡأٓخِرَةَ} المؤخرة{ كَلَّآ} ليست لرغباتهم بل{ إِنَّهُۥ} أي القرآن العزيز{ تَذۡكِرَةٞ} وموعظة{ فَمَن شَآءَ} اتعظ و{ ذَكَرَهُۥ} وآمن وأناب{ وَمَا يَذۡكُرُونَ} ولا يهتدون{ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ} بحكمته وعدله وبعلمه حقيقة ما في الصدور ولا يظلم ربّك أحدًا، ولا يكون شيء في السماوات والأرض إلّا بمشيئته وإذنه إذا غيروا ما بأنفسهم، فـ{ هُوَ} الله تعالى وليّ لـ{ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ} والورع{ وَأَهۡلُ} الرجاء و{ ٱلۡمَغۡفِرَةِ} فسننه ماضية لا تتخلف عن أحد، فنسأل الله تعالى العلي القدير أن يجعلنا من أهل التقوى والمغفرة.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أن سبب إعراض المستكبرين أنّ كل واحد منهم يريد أن يؤتى صحف منشّرة، والحقيقة أنّهم لا يخافون الآخرة، وإنّ القرآن تذكرة، فمن شاء ذكره، وما يذرون إلّا أن يشاء الله، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا يكون شيء في الكون إلّا بمشيئته لعلمه حقيقة ما في الصدور، وهو تعالى ولي أهل التقوى والمغفرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القيامة ترتيبها (٧٥) آياتها (٤٠)

(١-١٠) القسم بيوم القيامة وبالنّفس اللوّامة وتأكيد حشر النّاس وبيان بعض مجرياته.

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾

يقسم الله تعالى بيوم القيامة قائلا:{ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ} و"لا" كما ورد في كتاب غرائب التفسير رد لإنكار المشركين البعث" وجَمعِ عظامهم بعد الموت كقولهم:" أإنّا لمردودون في الحافرة؟ وقيل أنّ لا" تأكيد للكلام وصلة له" أي أقسم بجمع العظام يوم القيامة كما ورد في كتاب غرائب التفسير أيضًا، وتقديم "لا" على القسم" جارية في كلام العرب كما ورد في كتاب فتح القدير كما في قوله تعالى:{ ما منعك أن لا تسجد} أي ما منعك أن تسجد، وكقوله تعالى:{ لئلا يعلم أهل الكتاب} أي ليعلم كفّار

أهل الكتاب"، أو أنّ جمع العظام ليوم القيامة مؤكد ولا شك فيه ولا حاجة للقَسم بذلك.

ثمّ أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة قائلا:{ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ } ويقسم الله تعالى بالنفس اللوامة لرفعة وجلال قَدرها، فالنفس اللوامة هي النفس التي أقسم الله تعالى بإحدى عشر أمرًا ثم عرّفها في قوله تعالى في سورة الشمس:{ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا}١٠.

ثمّ يقول تعالى:{ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ} الكافر المعرض عن هدي الله تعالى{ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ} بعد موته واندثاره{ بَلَىٰ} سنجمع عظامة وأعظم من ذلك{ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ} وأطراف أصابعه سويةً معتدلة كما ورد في معنى" نسوي بنانه" في قواميس اللغة{ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ} الكافر المعرض عن هدي الله تعالى من وقاحته{ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ} في المعاصي منسلخًا عن فطرته كافرًا مكذبًا بالبعث والحساب{ يَسۡـَٔلُ} ساخرًا مستهزئًا مستخفًا{ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ} وأيّان مرساها، فتوعده الله تعالى قائلا:{ فَإِذَا بَرِقَ} وشخص{ ٱلۡبَصَرُ} بأُزُوفها{ وَخَسَفَ} وذهب ضوء{ ٱلۡقَمَرُ} وأظلم{

وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ} ومدّت الأرض مدًا{ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ} الكافر المعرض عن هدي الله تعالى:{ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ} ولا مفرّ من الحساب والجزاء، نسأل الله العلي القدير النجاة بغير حساب.

الخلاصة: -

القسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، استنكارًا على منكري البعث، وتأكيد القدرة على تسوية بنانه، والحقيقة أنّ الإنسان المعرض عن هديه يريد أن يفجر أمامه، ويسأل ساخرًا متى يوم القيامة، والكائن يوم أن يبرق البصر ويخسف القمر ويجمع بين الشمس والقمر.

(١١-١٩) تأكيد حشر الناس وحفظ القرآن.

كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩

يقول تعالى:{ كَلَّا لَا وَزَرَ } أي ولا ملجأ يُلجأ إليه ولا حصن يُتحصن به ولا معتَصم يُعتصم به كما وردت المعاني في قواميس اللغة، ولا عناء في جمع الشمس والقمر وبعث الناس وحشرهم للمحشر فـ{ إِلَىٰ

رَبِّكَ} وحده لا شريك له{ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ} والمرجع والمآب والغاية والنهاية، عندها{ يُنَبَّؤُاْ } ويُخبر{ ٱلۡإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى{ يَوۡمَئِذِۢ بِمَا قَدَّمَ} من عمل{ وَأَخَّرَ} من يوم التكليف إلى الأجل المسمى شاهدةٌ عليه جميع جوارحه{ بَلِ} الحقيقة إنّ{ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ} شهيدًا و{ بَصِيرَةٞ} ويقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا

ثم يتوجه الله تعالى إلى رسوله ﷺ قائلا:{ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ} لتتلفظ به لحفظه ف{ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ} في صدرك مرتبًا وعلينا بيانه فهمًا وعلمًا{ وَقُرۡءَانَهُۥ} ترتيلًا{ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ} وحيًا عليك{ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ} وتلاوته{ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا} توضيح معانيه و{ بَيَانَهُۥ} محكمًا ومتشابهًا وأحكامه.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أنّه لا أعباء في جمع الشمس والقمر وبعث النّاس لينبئهم بأعمالهم، والأمر بعدم الاستعجال لحفظ القرآن بل التريث لسماعة وفهمه وحفظه.

(٢٠-٣٠) التوبيخ على تفضيل الدنيا والإشارة إلى أحوال النّاس والجزم بأنّ المساق له تعالى.

كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

يوبخ الله تعالى مُؤثري الدنيا قائلا:{ كَلَّا بَلۡ} الحقيقة إنكم{ تُحِبُّونَ} الحياة الدنيا زينتها{ ٱلۡعَاجِلَةَ} الفانية وتُعرضون{ وَتَذَرُونَ} وراء ظهوركم نعيم{ ٱلۡأٓخِرَةَ} الباقية الخالدة، يومها{ وُجُوهٞ} للمؤمنين{ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ} مبتهجة زاهية مشرقة و{ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ} مسرورة كما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره عن جرير بن عبدالله بن مسعود (رلع) قال: كنا جلوسا ليلةً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ:{ وسَبِح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب" وهما صلاتي الفجر والعصر، ولما ورد في صحيح الإمام أحمد بن حنبل عن صهيب (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند

الله موعدا لم تروه، فقالوا: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة، قال: فيُكشف الحجاب، قال: فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم منه، ثم قرأ" للذين أحسنوا الحسنى وزيادة".

ثمّ قال تعالى:{ وَوُجُوهٌ} أخرى{ يَوۡمَئِذِۭ} عابسةٌ كالحةٌ{ بَاسِرَةٌ} مُقطِّبة بعذابها المُعجّلّ، و{ تَظُنُّ} يقينًا{ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} داهية قاصمة كاسرة للاستكبار والاستعلاء، ثمّ يتوعد الله تعالى تلك النفس عند الاحتضار قائلا:{ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ} الروح{ ٱلتَّرَاقِيَ } والحلقوم، ويُرى دنو الأجل{ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ} يُطبُّه من مرضه{ وَظَنَّ} المسجى يقينا{ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ} للدنيا والأصحاب{ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ} وتتباعت عليه شدائد الموت والمصير كما ورد في كتاب فتح القدير، ويقال:{ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ} والمرجع والمآب.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أنّ المعرضين عن هديه يحبون الحياة الدنيا وزينتها العاجلة، ويذرون نعيم الآخرة، فوجوه يوم إذٍ ناظرة لربها، ووجوه باسرة، تيقنت أن يفعل بها فاقرة قاصمة، فإذا بلغت الروح التراقي، وأيقن أنّه الفراق، وأنّ إلى الله تعالى المساق والذهاب.

(٣١-٤٠) بيان حال المكذبين والجزم بأنّ الإنسان لن يترك سدى وأنّ الموتى لمبعثين.

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى:{ فَلَا} هو في حياته{ صَدَّقَ} بكتاب الله ووحي السماء{ وَلَا صَلَّىٰ} مع الراكعين الساجدين{ وَلَٰكِن كَذَّبَ} بالرسول ﷺ وأعرض طغيانًا ونئى{ وَتَوَلَّىٰ} عن الحق والدين{ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ} متطاولًا متبخترًا معاندًا، فيوبخ ويؤنب{ أَوْلَىٰ} وأجدر{ لَكَ فَأَوْلَىٰ} أن تؤمن وتصدق مما تلاقي{ ثُمَّ} كان{ أَوْلَىٰ لَكَ} من خزي الآخرة{ فَأَوْلَىٰ} مما تجد من ذلٍ وهوانٍ في جهنّم{ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى{ أَن يُتْرَكَ} في الدنيا والآخرة{ سُدًى} هملا لا جزاء ولا عقاب ولا حساب، وأنى له التكذيب والإعراض عن هدي الله تعالى{ أَلَمْ يَكُ} في بطن أمه{ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ} وماء دافق مهين{ ثُمَّ كَانَ} بتدبير الله تعالى{ عَلَقَةً} في رحم أمه{ فَخَلَقَ} تعالى وأبدع{ فَسَوَّىٰ} في أحسن

تقويم{ فَجَعَلَ مِنۡهُ} أي من المنيّ{ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} كما قالت زوجة أبي حمزة في شعرها بعد أن هجرها زوجها:

ما بال لأبي حمزة لا يأتينا   يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا   تالله ما ذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا   ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوا فينا،

فمن ماء الرجل يكون الذكر والأنثى كما أكدّه العلم بعد أربعة عشر قرنًا{ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ} الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى{ بِقَٰدِرٍ} مرة أخرى{ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ} بلى إنّه تعالى على كل شيء قدير، فما لهم لا يؤمنون وإذا قرء عليهم القرآن لا يسجدون ولا ينيبون.

الخلاصة: -

المعرض عن هدي الله تعالى لم يصدق ولم يصلي، وذهب إلى أهله يتبختر، فكان الأولى أن يؤمن مما يلاقي في جهنّم، وكيف يجحد وقد كان نطفة من مني يقذف، ثمّ كان علقة، وجُعل منه الذكر والأنثى، أوليس ذلك سبحانه بقادر على أن يحيي الموتى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإنسان ترتيبها (٧٦) مدنية آياتها (٣١)

(١–٤) الاستنكار على المعرضين عن الإيمان ووعيدهم.

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤

يستنكر الله تعالى جحود واستكبار الإنسان قائلا:{ هَلۡ أَتَىٰ} أي ألم يأتي{ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ} زمن و{ حِينٞ} ووقت من الأوقات و{ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن} قبل خلق الخلق{ شَيۡـٔٗا} مطلاقا لا{ مَّذۡكُورًا } ولا معروفًا في السماوات والأرض لمّا كانتا دخانًا، ولم يكن شيئًا قبل أن يُخلق في بطن أمه، فليعلم{ إِنَّا} بقدرتنا وفضلنا وإنعامنا وإحساننا{ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ} من بعد آدم (عس){ مِن نُّطۡفَةٍ} صغيرة، فعلاما يكفر ويتكبر ويتجبر ويتبختر ويعرض عن الإيمان عصيانًا وعنادًا؟ ثمّ كان{ أَمۡشَاجٖ} والمِشجُ كل لونين اختلطا، وقيل كلُ شيئين اختلطا كما ورد في قواميس اللغة.

وهذا ما أكّده العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمن، فكما هو معلوم اليوم أنّ النطفة هي البويضة المخصّبة من ماء الرجل وبويضة المرآة ذكرًا كان أم أنثى، وخلية ماء الرجل مركبة من ثلاثة وعشرون (٢٣) كروموزوم وكذلك خلية البويضة فيكونان معًا بعد اختلاطهما خلية الإنسان الأولى لتكون علقة في جدار الرحم، والعلقة مركبة من مجموع الخليتان لتكون خلية مركبة من ستة وأربعون (٤٦) كروموزوم، ويركب الله تعالى تلك الخلايا بعد انشطارها مرات ومرات بالصورة التي يشاء سبحانه لتتميز الذكور عن الإناث، ويتميّز كل منهما عن الآخر كما هو ملاحظ في اختلاف البشر.

وقيل أنّ المقصود بالإنسان هو آدم (عس) والسياق لا يدل على ذلك، فآدم لم يكن نطفة بل من تراب الأرض لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره بصيغ عن أبي موسى الأشعري (رلع) يقول: قال رسول الله ﷺ:" ان الله عزّ وجلّ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جعل منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك".

وهو تعالى الذي خلق الموت والحياة لـ{ نَّبۡتَلِيهِ} ونمتحنه ليتبيّن أيّهم أحسن عملًا{ فَجَعَلۡنَٰهُ} وصيرناه بقدرتنا وفضلنا وإحساننا وحسن تدبيرنا

فكان{ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} كما و{ إِنَّا} سبحانه وتعالى{ هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ} ليكون{ إِمَّا شَاكِرًا} حامدًا طائعا قائمًا بحق ربه ورسوله ﷺ في كلّ ما أُمر وكلّ ما نُهي عنه{ وَإِمَّا كَفُورًا} جاحدًا معرضًا عن الإيمان عاصيًا وعنادًا، فحذّر الله تعالى هذا الإنسان من الكفر قائلا:{ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا} وهيّئنا{ لِلۡكَٰفِرِينَ} الممتنعين عن الإيمان عصيانًا وعنادًا{ سَلَٰسِلَاْ} في جهنّم من حديد" معقودٌ بعضها ببعض كما وردت المعاني في قواميس اللغة{ وَأَغۡلَٰلًا} والأغلال هي شدة الظمئ والعطش وحرارته، والغليل حرُّ الجوف كما ورد في قواميس اللغة، وأعتدنا له شِدة حرٍّ{ وَسَعِيرًا} يحمى ويُوقد عليه.

الخلاصة: -

يذكّر الله تعالى الإنسان أنّه لم يكن شيء مذكورا قبل خلقه وولادته، وأنّ الله تعالى هو الذي خلقه من نطفة مختلطة مركبة من ماء الرجل والمرأة، ليمتحنه فجعله تعالى سميعًا بصيرًا، وهو تعالى هداه السبيل ليكون شاكرًا أو كفورًا، والله تعالى أعدّ للكافرين أغلالًا وسعرًا.

(٥-٢٢) بيان جزاء الأبرار وأسباب نعيمهم.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ
ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا
نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن
رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ
وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ
لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا
تَذۡلِيلٗا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥
قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ۝١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ۝١٨ * وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ
مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا
وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن
فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ
سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ۝٢٢

بيّن الله تعالى مقابل ما يلاقيه ذلك الإنسان الكافر الممتنع عن الإيمان عنادًا وعصيانًا قائلا:{ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ} فأولئك{ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ}

من شراب الجنّة ومن خمرها دهاقًا لا تَنضب ولا هم يُنزِفون، ولا لغو فيها ولا تأثيم{ كَانَ مِزَاجُهَا} وما يخلط به ويمزج لتجويد نكهته ومذاقه{ كَافُورًا} والكافور هو طلع النخل حين ينشقّ، أو أكمام الفواكه كما ورد في قواميس اللغة{ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ} وهم{ يُفَجِّرُونَهَا} في الجنان حيث ما كانوا{ تَفْجِيرًا} نابعًا نافعًا غدقًا، جزاء ما كانوا{ يُوفُونَ} بعهودهم لا يغدرون و{ بِٱلنَّذْرِ} إذا نذروا{ وَيَخَافُونَ يَوْمًا} في الآخرة{ كَانَ شَرُّهُۥ} وعذابه{ مُسْتَطِيرًا} طويلا فاشيًا من كلّ جوانبه.

كما{ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} فغاية شرائع الإسلام إقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض، والذي من سماته رعاية الضعفاء وأهل الحاجة من النّاس، وهذه السمة هي التي عُرِفَت بها المجتمعات المسلمة الملتزمة بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ أينما كانوا، ولذلك تجد مجتمعاتهم أكثر أمنًا وسلامًا من غيرها، كما وحضّ الرسول ﷺ على الإطعام لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو (رلع) أن رجلا سأل النبيّ ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

ويقولون في أنفسهم{ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ} ونتصدق عليكم خالصًا{ لِوَجْهِ ٱللَّهِ} تعالى{ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا } فـ{ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا

عَبُوسَا} كريه اللُّقى يُيَبِّسُ يُعبِّسُ ويُقطِّبُ وجوه من جحد وكفر{ قَمۡطَرِيرَا} شديدًا يجتمع فيه أصناف العذاب{ فَوَقَىٰهُمُ} ودفع عنهم وسترهم وصانهم ونجّاهم{ ٱللَّهُ} من{ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ} وأوجد وجعل لهم{ نَضۡرَةً} في وجوههم وزادهم وجاهةً وحسنًا وبهجةً{ وَسُرُورًا} وفرحًا وغبطةً وسعادةً وهناءً{ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ} في الدنيا على الالتزام بشرائع الدين وبفعل الطاعات وترك المنهيّات{ جَنَّةً} خلودًا أبدًا سرمدًا ولباسًا{ وَحَرِيرًا}.

وتراهم{ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ} والأسرَّة المجمّلة" دون ستر كما وردت المعاني في قواميس اللغة{ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسًا} ولا حرًا، ولا يرون فيها بردًا قارسًا موجعًا{ وَلَا زَمۡهَرِيرًا} منغصًا{ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا} وفَيْئِها{ وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا} وثمارها بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين{ تَذۡلِيلًا} لا عناء لمتناولها{ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٍ} مصنوعة{ مِّن فِضَّةٍ وَأَكۡوَابٍ} لا عروة له{ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ} زجاجًا بلون الفضّة وصفاء القوارير{ قَوَارِيرَاْ} عجينة تربتها{ مِن فِضَّةٍ} كما ورد في كتاب غرائب التفسير{ قَدَّرُوهَا} السقاةُ لأهل الجنّة{ تَقۡدِيرًا} بديعًا منسجمًا بقدر حاجتهم، لا فائضة ولا شحيحة، ولا صغيرة ولا كبيرة كما وردت المعاني في كتاب فتح القدير.

ثمّ قال تعالى:{ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسًا} من شراب الجنّة وخمرها{ كَانَ مِزَاجُهَا} وما يخلط به{ زَنجَبِيلًا} طيبًا مستطابًا{ عَيۡنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ

سَلۡسَبِيلٗا} عذبًا غدقًا{ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ} يلبون حاجاتهم{ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ} من كثرتهم وجمالهم{ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا} في نواحي الجنان{ وَإِذَا رَأَيۡتَ} في جنانهم وجنّاتهم{ ثَمَّ رَأَيۡتَ} وأمعنت النظر رأيت لهم{ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا} لا حصر له ولا نهاية{ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ} رقيقٍ من ديباجٍ{ خُضۡرٞ} ألوانها{ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ} وغليظ الديباج{ وَحُلُّوٓاْ} وأُلبسوا وزينوا بـ{ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ} أُلبسوها{ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا} طاهرٌ في ذاته مُطهر للأفواه، ويقال لهم{ إِنَّ هَٰذَا} النعيم{ كَانَ} مُعدًا ومجهزًا{ لَكُمۡ جَزَآءٗ} بما كنتم تعملون{ وَكَانَ سَعۡيُكُم} في الدنيا محمودًا{ مَّشۡكُورًا}.

الخلاصة: -

بيان عِظم نعيم الأبرار في الآخرة، لحسن صنيعهم في الدنيا، وبيان مُتَعِهم في الجنان، وتأكيد أنّه كان معد لهم مسبقا لسعيهم المشكور.

(٢٣-٣١) تأكيد أنّ الوحي من الله، والأمر بالصبر وقيام الليل، وبيان نهج الكافرين وجعل القرآن تذكرة.

**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ
ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ
لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ**

يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ
تَبۡدِيلًا ۝٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ
وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١

يطمئن الله تعالى نبيّه ﷺ وأمته بما أوحاه إليهم قائلا:{ إِنَّا نَحۡنُ} أي العلي الحكيم القدير، الذي له الملك والسماوات والأرض، الذي له الخلق والأمر بكن فيكون، ولا يكون شيئًا في ملكه إلّا بإذنه و{ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ} وعلى أمتك{ ٱلۡقُرۡءَانَ} على مكث ورويّة، يهدي للتي أقوم، لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وما كان أن يفترى من دونه، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض عونًا وظهيرًا، وشفاءً ورحمة للذين آمنوا، ولا يزيد الظالمين إلّا خسارًا، ونزّل القرآن{ تَنزِيلٗا} معجزًا فريدًا محكمًا من لدن عليم حكيم حميد، وبما تقتضيه الوقائع، فلا تخشى نسيانه ولا خذلانه{ فَٱصۡبِرۡ} على كلّ ما تجد و{ لِحُكۡمِ رَبِّكَ} وحكمته وقضائه وقدره وشرعه وأحكامه{ وَلَا تُطِعۡ} أبدًا{ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا} جاحدًا.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ} دأبًا جاريًا على اللسان غير منقطع لما ندبه الرسول ﷺ كما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره عن عبد الله بن بُسر (رلع) يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله أيّ الناس خير؟ قال: من طال عُمره وحسن عملُه، وقال الآخر: يا رسول الله ان شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فمُرني بأمر أتثبت به، فقال: لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله عزّ وجلّ".

ثمّ أمر الله تعالى بالذكر{ بُكۡرَةً} أي غُدْوةً، والإبكار هو الإصباح وأوّل{ وَأَصِيلًا} أي العَشيّ، والأصيل هو الوقت بين العصر إلى المغرب{ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ} قائمًا متهجدًا مبتهلًا متنفلًا متضرعًا، وصلاة الليل كانت فريضةً عليه ﷺ وهي تطوعًا على أمّته{ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا} بلسانٍ رطبٍ بذكره{ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ} الكافرين الآثمين الممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا{ يُحِبُّونَ} الحياة الدنيا{ ٱلۡعَاجِلَةَ} الزائلة الفانية{ وَيَذَرُونَ} ويتركون غير مكترثين{ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا} تزول فيه السماوات والأرض ويُبعث فيه النّاس ويُنصب الميزان للحساب.

ثمّ قال تعالى:{ نَّحۡنُ} سبحانه وتعالى{ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ} وثاقهم و{ أَسۡرَهُمۡۖ} أي شددنا خلقهم وحياتهم ومماتهم بنواميس وسنن ماضية فيهم في الدنيا والآخرة{ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا} أمّة بعد أمّة، ف{ إِنَّ

هَٰذِهِۦ} أي الرسالة{ تَذۡكِرَةٞۖ} فيها كتبٌ قيّمة{ فَمَن شَآءَ} الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة{ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا} وصراطًا مستقيمًا{ وَمَا تَشَآءُونَ} الهداية والنجاة{ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ} تعالى بعلمه بحقيقة ما في القلوب وبعدله وحكمته، ولا يكون شيئًا في الوجود إلا بإذنه فـ{ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ} قبل خلق السماوات والأرض{ عَلِيمًا} بكل شيء{حَكِيمًا} فيما يقضي ويُمضي ويحكم ويشرّع فـ{ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ} الممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ أَعَدَّ} الله تعالى{ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا} ولا يظلم ربّك أحدًا وما ربّك بظلام للعبيد.

الخلاصة: –

يؤكد تعالى بأنّه أنزل القرآن تنزيلا محكمًا، والأمر بالصبر لحكمه وشرعه، والإعراض عمن كفر، وبكثرة ذكره تعالى وقيام الليل، وبيان أنّ الكفّار يؤثرون الدنيا الزائلة على الآخرة الدائنة، والجزم بأنّه تعالى خلقهم وشدَّ أسرهم، وقادر على تبديلهم تبديلًا، وأنّ القرآن تذكرة لمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلًا، ولا يكون ذلك إلّا بمشيئته، فإنّه تعالى كان عليمًا حكيمًا، ويدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا بعلمه بحقيقة ما في القلوب وبعدله وحكمته ولا يظلم ربك أحدًا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المرسلات ترتيبها (٧٧) آياتها (٥٠)

(١-١٥) القسم بوقوع يوم القيامة وبيان بعض أماراتها وتوعد المكذّبين.

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَٰقِعٞ ٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ
أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥

يقسم الله تعالى بالمرسلات التي يرسلها تعالى للنّاس من ملائكة ونبيّن ومرسلين قائلا:{ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ} المتتابعات من الله تعالى{ عُرۡفٗا} بليغًا واضحًا مبينًا، مبشرين ومنذرين بسننه وتعالى وجزاءاته التي يمضيها في النّاس مؤمنهم وكافرهم، لتثبيت المؤمنين ولزجر الكافرين المعرضين عن هديه جحودًا وعنادًا واستكبارًا وعصيانًا.

ثمّ يقسم تعالى قائلًا:{ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ} الشديدات المدمرت{ عَصۡفٗا} مهلكًا، ويقسم قائلًا:{ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ} الخير والنِعم والرحمات من الملائكة

والرياح والسحاب وغيره{ نَشۡرٗا} مفرحًا سارًا مبهجًا{ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ} الفاصلات المُحكمات بين الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام{ فَرۡقٗا} واضحًا مبينًا يجلي الريب والشك{ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ} من الملائكة على الرسل{ ذِكۡرًا} من الرسالات لتكون{ عُذۡرًا} لا حجة بعدها لأحد، كما حلّ بقوم نوح وهود وصالح وغيرهم{ أَوۡ} لتكون{ نُذۡرًا} وتحذيرًا للعصاة المكابرين، كالزلازل والأعاصير والبراكين والجوائح ليتوب النّاس ويرجعوا إلى الله وهديه.

وجواب القسم{ إِنَّمَا تُوعَدُونَ} به من الله تعالى ورسله من السنن والبعث والفصل بين الخلائق والحساب والجنّة والنّار{ لَوَٰقِعٞ} قطعًا حقًا وحقيقةً لا محالة{ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ} وذهب ضوئها وتناثرت{ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ} وانشقت وانفطرت وكانت أبوابًا{ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ} وبسّت فكانت هباءً منثورًا وكالعهن المنفوش وكثيبًا مهيلًا{ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ} من النّاس والمعجزات{ أُقِّتَتۡ} وأجلت وانتهى زمنها ووقتها في الأجل المسمى عند الله تعالى.

فيسأل الجاحد{ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ} وتوقفت؟ فيقال{ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ} والقضاء بين الخلائق{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} يكون من أهوال ومشاهد في{ يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ} ويوم الحساب ويوم والقضاء بين النّاس، فيحاسب فيه كل إنسان

على عقيدته وعباداته وأخلاقه ومعاملاته، فـ{ وَيۡلٞ} وعذاب شديد الشر مرير، وفضحٌ وقبحٌ وحزنٌ ومشقةٌ في وادٍ من جهنّم{ يَوۡمَئِذٖ} وعندها{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} المعرضين الممتنعين عن الإيمان عنادًا واستكبارًا وجحودًا.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالمرسلات الفارقات بين الحق والباطل، والعاصفات المهلكات المدمرات لعروش الطغاة والكفرة عصفًا شديدًا، ويقسم تعالى بالناشرات الخير والرحمة نشرًا مبهجًا، فالملقيات من الملائكة والنبيين ذكرًا من الرسالات، لتكون للنّاس عذرًا أو نذرًا، وجواب القسم أنّ ما وُعد به النّاس من البعث والحساب والجنّة والنّار لواقع لا محالة، في يومٍ تُطمس النجوم وتتناثر، وتُشقّ السماء وتفرج، وتنسف الجبال الرواسي نسفًا، وتؤجل الرسل وتُوقف، إيذانًا بيوم الفصل وهوله، فويلٌ يومئذٍ للمكذّبين.

(١٦-٢٨) التدليل على قيام الساعة بإهلاك الأوّلين وخلق الإنسان والأرض.

أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ
بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠

فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾
وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾
وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

وكيف يكفرون ويكذبون ويستكبرون{ أَلَمۡ نُهۡلِكِ} الأمم التي قبلهم من{ ٱلۡأَوَّلِينَ} الغابرين{ ثُمَّ} سنهلك و{ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ} ومن بعدهم فـ{ كَذَٰلِكَ} سـ{ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ} الكافرين المستكبرين على الإيمان عنادًا وعصيانًا في كل زمان، فـ{ وَيۡلٞ} وعذاب شديد ومريرٌ{ يَوۡمَئِذٖ} يوم النشور والحساب{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} بيوم الدين وبالجزاء والحساب وبالجنّة والنّار.

وكيف يكذبون{ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم} معشر النّاس والمكذّبين{ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ} والمَهِين من الامتهان والمهانة، والصغير الضعيف سواء في الراي أو القلة كما وردت المعني في قواميس اللغة، وكقول فرعون في سورة الزخرف:{ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}﴿٥٢﴾ فالماء المَهين لا يقاوم العيش حتى في القليل من الماء{ فَجَعَلۡنَٰهُ} بحكمتنا وإبداع خلقنا وقدرتنا{ فِي قَرَارٖ} ليثبت فيه{ مَّكِينٍ} ليتمكن وينمو بأمان في رحم الأم{ إِلَىٰ قَدَرٖ} وأجل مسمى{ مَّعۡلُومٖ} عنده تعالى وعند النّاس في بطن أمّه{ فَقَدَرۡنَا} ذلك التقدير الدقيق الحكيم المنضبط ليكتمل ثم يولد{

فَنِعۡمَ} الله تعالى المستحق للمدح والتعالي والإجلال والخضوع والتقدير على حُسن خلقه ونِعمه، فهو سبحانه{ ٱلۡقَٰدِرُونَ} المُشاد بعظمته وخلقه وقدرته، القادر المقتدر ذو الجلال والإكرام الذي جعل من الماء المهين في قرار مكين إلى أجل معلوم، ليكون نفسًا نفيسة إن آمنت، أو خسيسة إن كفرت وجحدت.

وفي هذه الآيات الثلاث إشارة إلى وجوب حُسن التدبير وجعل الشيء في بيئته ومكانه الملائم للحصول على المنفعة والثمرة المرجوّة منه، فالله تعالى جعل الماء المهين في قرار مكِين لتبدوا وتظهر ثمرة ذلك التدبير.

ف{ وَيۡلٞ} وعذاب شديدٌ وبئِيس{ يَوۡمَئِذٖ} يوم الحسرة والندامة{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} الممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا واستكبارًا، وكيف يكفرون{ أَلَمۡ نَجۡعَلِ} ونهيأ ونُعد لهم ولمصالحهم{ ٱلۡأَرۡضَ} لتكون لهم{ كِفَاتًا} والكَفت هو صرف الشيء عن وجهه، فالأحياء تقبرهم عند مماتهم، وفيه شدّة وسرعة، والكَفِيت هو القوت من العيش، أو ما يقيم العيش، والكِفات هو المكان الذي يُضمُّ فيه الشيء ويُقبض، وكفات الأرض ظهرها للأحياء وباطنها للأموات كما وردت المعني في قواميس اللغة، كما قال تعالى{ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا} إنسًا وجنًا وحيوان وزروع وأشجار ونبات.

كما{ وَجَعَلۡنَا} وصيرنا ووهبنا وهيئنا لهم{ فِيهَا} ولمنافعهم ومعاشهم{ رَوَٰسِيَ} ترسو على صهارة ما في بطن الأرض من حِمم، وتُرسِّي قشرة الأرض اليابسة ليستقر مناخها ولتجري أنهارها وتنبع عيونها، وهي{ شَٰمِخَٰتٖ} عليات شاهقات{ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم} مما ينزل من السماء ومن الجبال والعيون والأنهار{ مَّآءٗ فُرَاتٗا} عذبًا غير منقطع، فـ{ وَيۡلٞ} وعذاب شديد{ يَوۡمَئِذٖ} عند قيام الساعة{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} الكافرين الجاحدين المستكبرين على الله تعالى الممتنعين عن الإيمان عصيانًا وعنادًا.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى البعث بإهلاكه للأوّلين، يتبعهم الآخرين، فكذلك يفعل تعالى بالمجرمين في كل حين، فويلٌ يومئذ للمكذّبين، ألم يخلقهم من ماء مهين، فجعله تعالى في قرار مكين إلى قدر معلوم، فويلٌ يومئذ للمكذبين، ألم يجعل تعالى الأرض كفاتًا للأحياء والأموات؟ وجعل فيها رواسي شامخات وأسقى النّاس ماءً عذبًا فرتا؟ فويل يومئذٍ للمكذّبين.

(٢٩-٤٠) بيان مآل الكافرين وذكر بعض أحوالهم في جهنّم.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾

كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ ٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥
وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ
جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠

أمّا يوم القيامة فتقول الملائكة للكافرين المستكبرين الممتنعين عن الإيمان عنادًا وعصيانًا:{ ٱنطَلِقُوٓاْ} وامضوا وسيروا{ إِلَىٰ} جهنّم وإلى{ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ} في الدنيا وتستهزؤون{ ٱنطَلِقُوٓاْ} مسرعين مذعنين مدحورين{ إِلَىٰ ظِلّٖ} من دخان ويحموم لا بارد ولا كريم{ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ} وشتات مُفرّقات في الشمل والأمر والجزاء{ لَّا} ظلٌ فيها ولا{ ظَلِيلٖ} يستظل به{ وَلَا} فيءٍ من قرع{ يُغۡنِي} ويُجزي ويَحمي{ مِنَ} سقر و{ ٱللَّهَبِ} فـ{ إِنَّهَا} ومن شدّة حرّها{ تَرۡمِي} وتقذف{ بِشَرَرٖ} ضخم كبير عظيم{ كَٱلۡقَصۡرِ} وكأصول النخل{ كَأَنَّهُۥ} عند تطايره{ جِمَٰلَتٌ} وقوافل قافلات ألوانها{ صُفۡرٞ} باديات، فـ{ وَيۡلٞ} وعذابٌ شديدٌ بئِيس{ يَوۡمَئِذٖ} يوم الحسرة والندامة والخسران المبين{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} بالدين عنادًا وعصيانًا.

ويقال:{ هَٰذَا يَوۡمُ لَا} يُسمح لهم فـ{ يَنطِقُونَ} ولا يتكلمون ولا يهمِسون{ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ} ليعتذروا{ فَيَعۡتَذِرُونَ} أو يتذرعون أو يتعللون، فـ{ وَيۡلٞ} وخزيٌ وعارٌ{ يَوۡمَئِذٖ} وعند إذٍ{ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} بالدين واليقين والعذاب المهين،

والملائكة تزجرهم قيلًا{ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ} والحكم والقضاء الذي{ جَمَعْنَٰكُمْ} له أنتم{ وَٱلْأَوَّلِينَ} الغابرين{ فَإِن كَانَ لَكُمْ} اليوم{ كَيْدٌ} ومكرٌ وخُبث ودهاءٌ ولؤمٌ وحيلة لدفع ما تجدون{ فَكِيدُونِ} كما كنتم في الدنيا تفعلون وتعملون، فـ{ وَيْلٌ} في وادٍ من جهنّم من لظى{ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} المعرضين، وأهل الزور والبهتان والضلال المبين.

الخلاصة: -

فيوم الدين يقال للمكذّبين انطلقوا للنّار التي تكذّبون، وظل ذي ثلاث شعب، ولا فيها ظل يغني من اللهب، وترمي بشرر ضخام كالقصر، كأنّه قوافل صفر، فلا هم ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، وهو يوم الفصل جمع في الأولون والآخرون، فإن كان لهم يومئذ كيد فليكيدون، فويل وعذاب شديد للمكذّبين.

(٤١-٥٠) الإشارة إلى جزاء المتقين وتأكيد أن الوعد والوعيد لا ينفع الكافرين.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يؤكد الله تعالى بشارته للمؤمنين قائلا:{ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ} في الآخرة{ فِي ظِلَٰلٖ} من الجنان{ وَعُيُونٖ} يدخلونها بسلام آمنين{ وَفَوَٰكِهَ} كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة{ مِمَّا يَشۡتَهُونَ} ويقال لهم{ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ} دون عناء ومشقة{ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا} وجزاء ما{ كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} في الدنيا وبما كنتم تصبرون{ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي} الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة لـ{ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} المتقين العابدين الله كأنهم يرونه، و{ وَيۡلٞ } وعذابٌ مخزٍ مذل{ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} بالدين والحق المبين.

أمّا المعرضون المستكبرون فيقال لهم:{ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا} في الدنيا{ إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ} عاصون ممتنعون معاندون فـ{ وَيۡلٞ} وعسرٌ ومحنةٌ وبليةٌ{ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} بالدين{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} في الحياة الدنيا آمنوا و{ ٱرۡكَعُواْ} مع الراكعين الساجدين المذعنين{ لَا يَرۡكَعُونَ} ولا يطيعون فـ{ وَيۡلٞ} في أودية جهنّم{ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ} المعرضين المستكبرين{ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ} وموعظة وعبرة بليغة{ بَعۡدَهُۥ} من وحيٍ وقرآنٍ وآياتٍ{ يُؤۡمِنُونَ} وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة على صراطك المستقيم.

الخلاصة: -

إنّ المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون في الآخرة، ويقال للمجرمين كلوا وتمتعوا في الدنيا إنّكم مجرمون، وإذا قيل لهم اركعوا لا يسجدون، فويلٌ يوم القيامة للمكذّبين الذين لا يؤمنون.

ومضات في فهم الآيات الجزء الثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النبأ ترتيبها (٧٨) آياتها (٤٠)

(١-٥) الاستنكار على المكذبين بيوم الدين وتأكيد وقوعه.

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥

كانت العرب تُنكر رجوع الإنسان حيا بعد الموت وما يتبعه من ثواب وعقاب وجنّة ونار كقوله تعالى عنهم في سورة الصافات:{ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ}۝٥٣ فقال تعالى:{ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ}؟ ومم يتعجبون؟{ عَنِ ٱلنَّبَإِ} والأمر والخبر{ ٱلۡعَظِيمِ} الذي جزم الله تعالى به و{ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ } والذي أقسم الله تعالى بوقوعه في سورة الطور قائلا:{ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِى رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ}۝١١.

ثمّ قال تعالى:{ كَلَّا} سينتهي تكذيبهم و{ سَيَعۡلَمُونَ} أنّه حقٌ وحقيقة{ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ} جزما عندما يكون نعيم الجنّة محرّم عليهم لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ}﴿٥٠﴾.

الخلاصة: –

- الاستنكار على المكذبين بيوم الدين وتأكيد وقوعه.

(٦–١٧) التدليل المادي والحسِّي على وقوع يوم الدين.

أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾

دلل الله تعالى ماديًا وحسيًا على وقوع يوم الدين فقال:{ أَلَمۡ نَجۡعَلِ} ونخلق ونصيّر{ ٱلۡأَرۡضَ} لمصلحتهم{ مِهَٰدٗا}؟ مهيئةً للعيش فيها بالماء والهواء والطعام دون جهد منهم؟ بخلاف كواكب المجموعة الشمسية الأخرى، فلا هواء ولا ماء ولا بحار ولا أنهار ولا نبات، ثمّ قال:{ وَٱلۡجِبَالَ

أَوۡتَادٗا} لتثبيت قشرة الأرض الصلبة على صهارة جوفها البركاني، ليستقر مناخها وفصولها، فلا تميد ولا تنزلق قشرتها على الحميم الذي في جوفها.

ثمّ قال تعالى:{ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا} ليسكن بعضكم لبعض، وهذا من دلائل لطفه ورحمته، وجعل بينهم مودّة ورحمة كما قال في سورة الروم:{ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ثمّ قال:{ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا} وسكونًا ومستراحًا.

ثمّ أردف قائلًا:{ وَجَعَلۡنَا} لمصلحتكم{ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا} وسترًا{ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ} مبصرًا و{ مَعَاشٗا} لكسب أرزاقهم، فالنهار آية أخرى دالة على عظيم قدرته وبديع صنعه وسببه الغلاف الجوي الذي أعده الله تعالى اعدادًا مبهرًا بمختلف طبقاته، والذي إذا دخلته أشعة الشمس تحوّل إلى نهار، والنهار ليس إلّا طبقة رقيقة على الأرض يبلغ أقصى سُمكه أربعمائة وثمانين(٤٨٠) كيلومتر فقط، والذي ويعادل أربعة من مئة (٠,٠٤%) من قطر الأرض، ولذا شبّهه الله تعالى بِسلخ شاة كما قال في سورة يس:{ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}٣٧ فالليل يغشى ويغطي النهار كما قال تعالى في سورة الأعراف وفي سورة

الرعد:{... يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ...}﴿٣﴾﴿٥٤﴾ فالنهار آية ومعجزة من آيات الله تعالى الدالّة على بديع صنعه تعالى.

والحقيقة الأخرى أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلّا على الأرض من كواكب المجموعة الشمسية كلّها، فهل يستطيع الإنسان أن يجعل نهارًا على القمر مثلًا؟ فيجعل له غلافًا جويًا مثل الأرض ليُعاش عليه.

كما وجعل الله تعالى الغلاف الجوي سقفًا محفوظًا للأرض كما قال في سورة الأنبياء:{ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ}﴿٣٢﴾ فالغلاف الجوي يسمح بدخول الأشعة الضوئية والحرارية التي تحتاجها الأرض ومن عليها، ويمنع وصول الاشعة فوق البنفسجية والشهب وغيرها، والتي لو وصلت إلى الأرض أفنت ما عليها كما ورد في الموسوعة الحرّة، ثمّ قال:{ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ} من السماوات{ سَبۡعٗا شِدَادٗا} لا تتصدع ولا تنفطر ولا تتشقق رغم هول حجمها، ثمّ فقال:{ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا} منيرًا{ وَهَّاجٗا} دائِبة لا ينتابها العطب ولا الخلل كما قال تعالى في سورة إبراهيم:{ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ}﴿٣٣﴾.

وعزز الله تعالى براهينه قائلا:{ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ} أي السحاب الثقال، وشبّه تعالى السُحُب بالمرأة التي حان ولادتها وتسمّى مُعصِر{ مَآءٗ

ثَجَّاجًا} منهمرا منصبا، ولا ينزل المطر من السحاب الكائن في طبقات الجو الباردة فقط، بل لا بد من تأليف شحنات السحاب كما قال تعالى في سورة النور:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ}﴿٤٣﴾ والتأليف بين السحاب يكون بواسطة الرياح لقوله تعالى في سورة الحجر:{ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ}﴿٢٢﴾ فبخار الماء يتحوّل إلى سحاب عندما يصل إلى طبقات الجو الباردة، ومعظم السحاب في الطبقات الباردة ولا ينزل منه المطر، فالتأليف بين السحاب عنصر مهم لنزول المطر{ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا} مختلف ألوانه{ وَنَبَاتًا} كثيفة متاعًا لكم ولأنعامكم.

وحيث علمتم حقيقة هذه الأمور التسعة من جعل الأرض مهادًا إلى إخراج النبات من المطر، فتيقنوا حتمًا وقوع ثلاثة أمور، الأمر الأول{ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا} وأجلٌ مسمى لمحاسبة كل إنسان على عقيدته وعباداته وأخلاقه ومعاملاته، فليستعد كلّ إنسان بعمله لذلك اليوم.

الخلاصة: –

التدليل المادي والحسِّي على وقوع يوم الدين بجعل الأرض مهادًا، والجبال أوتادًا، وخلق النّاس أزواجًا، وجعل النوم سباتًا، والليل لباسًا، والنهار معاشًا، والسماوات سبعًا شدادًا، والشمس سراجًا وهّجًا، وإنزال الماء من السماء ثجّاجًا ليخرج به حبًا ونباتًا وجنّاتٍ ألفافًا، فلا بدّ أنّ يكون يوم الفصل ميقاتًا لحشر الخلق للحساب.

(١٨-٢٠) بيان بعض أهوال يوم الدين.

يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠

فيوم الفصل هو{ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ} أي البوق العظيم{ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا} زُمرًا وجماعات{ وَفُتِحَتِ} وفرجت وانشقت وانفطرت{ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا} لنزول الملائكة، ثمّ قال:{ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ} ونسفت، وبّست، ودكتّ، وصارت كالصوف المنفوش وكثيبا مهيلا{ فَكَانَتۡ سَرَابًا} لا حاجة لها.

الخلاصة: -

- بيان بعض أهوال يوم الدين بالنفخ في الصور، وأن يأتي النّاس أفواجًا، وتفتح السماء أبوابًا، وتكون الجبال سرابًا.

(٢١-٣٠) بيان مآل الكافرين يوم الدين وأحوالهم.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

الحتم الثاني ليوم الفصل والنبأ العظيم{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ} للمعرضين عن هدي الله تعالى عنادًا وعصيانًا{ مِرْصَادًا} تترصد وتترقب مجيئهم وهي{ لِّلطَّٰغِينَ} على هدي الله تعالى وشرائعه{ مَـَٔابًا} ومرجعًا ومأوىً يأوون إليه{ لَّٰبِثِينَ} وماكثين ومقيمين{ فِيهَآ أَحْقَابًا} ودهورً طويلة لا حصر لزمانه{ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا} طيبًا{ وَلَا شَرَابًا} هنيئًا حسنًا{ إِلَّا حَمِيمًا} شديدًا يشوي الوجوه{ وَغَسَّاقًا} ما يسيل من صديد أهل النار نتنًا كريه الريح{ جَزَآءً} عادلًا وقصاصًا{ وِفَاقًا} لنبذهم الإيمان وهدي الله تعالى عنادًا وعصيانًا.

فـ{ إِنَّهُمْ} في الدنيا{ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا} ولا عقابًا{ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا} شديدًا مريرًا{ وَكُلَّ شَيْءٍ} عملوه واقترفوه{ أَحْصَيْنَٰهُ} عليهم وسجلته الملائكة{ كِتَٰبًا} كقوله تعالى في سورة الانفطار:{ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا

تَفۡعَلُونَ}۝١٢ ويقال لهم:{ فَذُوقُواْ} جزاء استكباركم وتكذيبكم وإعراضكم{ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ} في جهنّم{ إِلَّا عَذَابًا} متناميًا كقوله تعالى في سورة المدثر:{ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا}۝١٧.

الخلاصة: -

الجزم بأنّ مآل الكافرين يوم الدين إلى جهنّم، وهي لهم مرصادًا ومئابًا، يلبثون فيها أحقابًا، لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا، إلّا حميمًا وغسّاقًا، جزاءً وفاقًا لكفرهم، فإنهم كانوا لا يرجون حسابًا، وكذّبوا بآيات الله كذّابًا، وكل شيء أحصاه الله كتابًا، ولا يزادون فيها إلّا عذابًا.

(٣١-٤٠) بيان مآل المتقين وحسرة المكذّبين.

إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا ۝٣٣ وَكَأۡسًا دِهَاقًا ۝٣٤
لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ رَّبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ
ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨
ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا
يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠

الحتم الثالث ليوم الفصل والنبأ العظيم{ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا} من عذاب يوم الدين، فلهم{ حَدَآئِقَ} كثيرة ذات بهجة{ وَأَعۡنَٰبًا} جمة مختلفة{ وَ} زوجاتٌ{ كَوَاعِبَ} ناهدات{ أَتۡرَابًا} سنّهن واحدة{ وَكَأۡسًا} من خمر لا لغو فيها ولا تأثيم{ دِهَاقًا} لا تنضب ولا تنفد، ولا تغتال العقول كقوله تعالى في سورة الصافات:{ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٌ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وهم{ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا} ولا في جنباتها كلامًا{ لَغۡوًا} ساقطًا آثمًا{ وَلَا كِذَّٰبًا} كقوله تعالى في سورة الواقعة:{ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا}﴿٢٦﴾.

وكلّ ما حباهم الله تعالى به من النعيم فهو{ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا} الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف مِن{ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا} وما فيهما، وهو{ ٱلرَّحۡمَٰنِۖ} بكلّ خلقه الرحيم بالمؤمنين، أمّا في الآخرة فـ{ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا} ولا عذرًا{ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ} جبريل (عس) بين يدي الله تعالى{ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ} متأهبون لإنفاذ أمره تعالى، والخلق{ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا} وصدقًا وعدلًا.

فـ{ ذَٰلِكَ} هو{ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ} والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون{ فَمَن شَآءَ} النجاة فيه{ ٱتَّخَذَ} في حياته الدنيا و{ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا} ومرجعًا حسنًا

بفعل ما أمر تعالى والكفّ عمّا نهى، فـ{ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ} بعد حياة قصيرة في الدنيا{ عَذَابًا قَرِيبًا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ} في صُحُفه كلّ{ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ} لا تخفى عليه خافية{ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ} متمنيا{ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ} في الدنيا{ تُرَٰبَۢا} يُداس لا كتاب ولا حساب، نسأل الله تعالى السلامة في ذلك اليوم.

الخلاصة: -

جزاء المتقين في الآخرة مفازًا، فلهم حدائق وأعنابًا، وكواعب أترابًا، وكأسًا دهاقًا، لا يسمعون فيها لغوًا ولا كِذّابًا، جزاءً من ربك عطاءً حسابًا، والخلق يومئذٍ لا يملكون من الله تعالى خطابًا، إلّا من أذِن له الرحمن وقال صوابًا، ويوم يقوم الروح جبريل والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صوابًا، فمن شاء النجاة فيه اتخذ في الدنيا إلى ربّه مئابًا حسنًا، والله تعالى أنذر الخلق عذابًا قريبًا في ذلك اليوم الذي ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النازعات ترتيبها (٧٩) آياتها (٤٦)

(١-٥) القسم بأصناف من الملائكة.

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥

يقسم الله تعالى بالملائكة النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، وقيل هي النجوم، أو الخيل، والأرجح أنها الملائكة فقال تعالى:{ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ} لأرواح الكفرة المكذّبين المستكبرين{ غَرۡقٗا} وعنفًا وهلاكا، كقوله تعالى في سورة الأنعام:{... وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ}٩٣.

ثمّ يقسم الله تعالى بالملائكة قائلا:{ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ} فرحًا بأرواح المؤمنين{ نَشۡطٗا} ورفقا ولطفا وبشارةً كقوله تعالى في سورة النحل:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}٣٢.

ثمّ يقسم تعالى قائلًا:{ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ} بالأرواح تعرج بها{ سَبۡحٗا} في السماوات{ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ} بأرواح المؤمنين إلى الجنان والرضوان{ سَبۡقٗا} وفرطًا{ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ} بإذنه تعالى في السماوات والأرض وبالأرزاق والآجال وغير ذلك{ أَمۡرٗا} في ملكه، فله تعالى الخلق والأمر.

الخلاصة: –

- القسم بأصناف الملائكة الموكلون بشؤون الخلق، ومنهم النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات.

(٦–١٤) التحذير من الراجفة الأولى والرادفة وبيان بعض أحوال المكذبين.

يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤

فـ{ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ} الأولى فيصعق من في السماوات والأرض إلّا من شاء الله كقوله تعالى في سورة الزمر:{ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُم

قِيَامٞ يَنظُرُونَ}٦٨ وجواب القسم حتمًا{ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ} بالنفخة الثانية مؤذنة بالبعث والحساب.

عندها تكون{ قُلُوبٞ} منغمسة في الكفر عنادًا وطغيانًا{ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ} مضطربة خائفة{ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ} ذليلة خانعة مذعنة، وكانوا{ يَقُولُونَ} منكرين مستهزئين{ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ} أحياءً مرة أخرى{ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ} من حيث جئنا؟ وسمّيت بالحافرة كناية عن الأثر الذي تتركه حوافر القوافل في الأرض في سفرها ذهابا وإيابا، و{ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ} ورجعة{ خَاسِرَةٞ} لا فوز فيها ولا نجاة، فيجيبهم الله تعالى قائلا:{ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ} بعد النفخة الأولى{ فَإِذَا هُم} بغتةً{ بِٱلسَّاهِرَةِ} التي ليس لأحد فيها موت ولا نوم ولا غفوة.

الخلاصة: -

جواب القسم بأنّه إذا رجفت الراجفة الأولى تتبعها الرادفة، عندها قلوب يومئذٍ واجفة خائفة، أبصارها خاشعة، الذين يستنكرون الحياة بعد الموت وكانوا عظامًا نخرة، وليست إلّا رجفة واحدة فإذا هم بالساهرة.

(١٥-٢٦) ضرب المثل بعقوبة فرعون.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

ثمّ يقول تعالى:{ هَلۡ أَتَىٰكَ} وهل أتاهم وهل أتاكم{ حَدِيثُ} وخبر{ مُوسَىٰٓ} الكليم (عس){ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ} المبارك المطهر{ طُوًى} بسيناء، كما قال تعالى في سورة طه:{ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى}﴿١٢﴾ فـ{ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ} واستكبر وتجبر على الله تعالى ودينه ورسله والنّاس{ فَقُلۡ} له: يا فرعون{ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ} وتتطهر من الكفر والطغيان والاستكبار؟{ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ} الحق الغفور الرحيم{ فَتَخۡشَىٰ} وتتوب وتُنيب؟{ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ} والمعجزة{ ٱلۡكُبۡرَىٰ} كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ}﴿١٠٨﴾ آيات بينات واضحات.

ثمّ قال تعالى:{ فَكَذَّبَ} عنادًا وطغيانًا{ وَعَصَىٰ} معرضا عن هدي الله تعالى{ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ} مسرعا في الأرض{ فَحَشَرَ} النّاس{ فَنَادَىٰ}

مستعليًا{ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} تجبرًا{ فَأَخَذَهُ} وأهلكه{ ٱللَّهُ نَكَالَ} وعقوبة قولته{ ٱلۡأٓخِرَةِ}" أنا ربكم الأعلى"{ وَٱلۡأُولَىٰٓ} لتكذيبه وعصيانه.

فالكفر وحده يوجب اللعن في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا}٦٥ ف{ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} النبأ والخبر{ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ} العقوبة في الدنيا والآخرة، فلم ينفعه سلطانه ولا جنوده ولا جبروته ولا ولاء أعوانه.

الخلاصة: -

ضرب المثل للكافرين بعقوبة فرعون بعد أن رأى المعجزة الكبرى، وكذّب وعصى، وقال أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله تعالى نكال قولته الأخيرة" أنا ربكم الأعلى" ونكال الأولى بتكذيبه وعصيانه، وإن في ذلك لعبرةً لمن يخشى.

(٢٧-٣٣) تأكيد أنّ خلق السماء والأرض أعظم من خلق الناس.

ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣

يقول تعالى:{ ءَأَنتُمۡ} يا كفّار قريش ومنكري البعث{ أَشَدُّ خَلۡقًا} وأعظم وأقوى خِلْقَةً وأمتن بنية وإيجادًا{ أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ} التي{ بَنَىٰهَا}؟ كقوله تعالى في سورة غافر:{ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ}﴿٥٧﴾ فهو تعالى الذي{ رَفَعَ سَمۡكَهَا} وارتفاعها وأغلظ متانتها{ فَسَوَّىٰهَا} سبع سماوات دون شقوق وصدوع{ وَأَغۡطَشَ} وأظلم وأحلك{ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ} ببديع صنعه{ ضُحَىٰهَا} بعد ظلمتها{ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ} والدحي يعني التكوير، فمَدْحى النّعام موضع بيضها كما ورد في قاموس لسان العرب، ويسمي أهل المغرب العربي البيض دَحي، ويجوز أن يكون معنى الدحي كما قال تعالى:{ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا} كما هو مشاهد{ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا} على صهارة جوفها البركاني ليكون{ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ}.

الخلاصة: -

تأكيد أن خلق السماء أعظم من خلق النّاس، وأنّ الله تعالى هو الذي بناها، ورفع سمكها ومتانتها فسوّاها، وأغطش وأظلم ليلها وأخرج ضحاها، والأرض دحاها وكوّرها وأخرج مائها ومرعاها، وبالجبال أرساها، متاعا للنّاس ودوابهم.

(٣٤-٤١) الإشارة إلى بعض أحوال الناس يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

حذر الله تعالى قائلا:{ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ} والداهية والصاخة والغاشية والقارعة والغامرة التي تطم كل شيء على الحياة الدنيا بعد النفخة الثانية{ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ} كلّ{ مَا سَعَىٰ} وقدّم في حياته{ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ} وأحضرت وقرّبت وأصبحت مشهدا{ لِمَن يَرَىٰ} داحضة مزاعم المكذّبين بيوم الدين.

ثمّ يقول تعالى:{ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ} وأعرض واستكبر وتجبّر{ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا} وحظوظها وشأنها{ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ} والملجأ والمنزل والقرار{ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ} والوقوف بين يديه سبحانه{ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ} والميل إلى الشهوات والملذات والمعاصي{ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ} والملاذ والملجأ والنُّزل الكريم، فسننه تعالى ماضية بأن لا يجعل حياة المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة سواء لقوله تعالى في

سورة الجاثية:{ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}﴿٢١﴾.

الخلاصة: -

إذا جاءت الطامّة الكبرى، سيتذكر الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى كلّ ما سعى، وتَبرُز الجحيم لمن يرى، فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى والمرجع، وأمّا من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى، فإنّ الجنة هي المأوى والمنزل.

(٤٢-٤٦) تأكيد أنّ أجل الساعة بيده تعالى.

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

قال تعالى:{ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ} ومتى يكون{ مُرۡسَىٰهَا} وزمانها وأوانها{ فِيمَ أَنتَ} ومن أين لك أن تعلم{ مِن ذِكۡرَىٰهَآ} وخبرها؟ بل{ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا} ويقينها وأجلها{ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا} ويخافها ويهابها ويرهبها{ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا} حقا وحقيقة{ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ} في الدنيا{ إِلَّا

عَشِيَّةً} أو مساء ليلة{ أَوْ ضُحَاهَا} فليستعد كلّ إنسان بعمله لذلك اليوم، وليتسابق المتسابقون بالخيرات والرقي في الأعمال الصالحات لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض للنّاس بقيم هذا الدين العظيم.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى أن علم الساعة عنده سبحانه وحده، ومحمد ﷺ منذر من يخشاها، فكأنهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا إلّا عشية أو ضحاها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة عبس ترتيبها (٨٠) آياتها (٤٢)

قال أبو يعلى وابن جرير في سبب نزول السورة: عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: أنزلت:(عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبيّ ﷺ يُعرض عنه ويُقبل على الآخرين، فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه ليجلس عليه، وقد استخلفه ﷺ على المدينة مرتين.

(١- ١٠) تأكيد أنّ سنن الله تعالى ماضية في النّاس لا يُستثنى منها أحد.

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠

رغم أنّ دعوة الناس إلى دين الله تعالى هو طريق وسبيل ومنهج الرسول ﷺ ومن آمن به في الدنيا لقوله تعالى في سورة يوسف:{ قُلۡ

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}﴿١٠٨﴾ ومن أفضل الأعمال التي يُتقرب بها لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}﴿٣٣﴾.

ورغم أنّ أمنية الرسول ﷺ أن يؤمن الملأ من قريش وكبارهم بالإسلام فيؤمن أتباعهم، إلّا أنّ سنن الله تعالى ثابتة راسخة ولا يعتريها التغيير لأجل أحد من خلقه مهما كانت قرابته من رسول الله ﷺ فالهداية بيده تعالى يهبها سبحانه لمن يستحق من عباده كونه تعالى أعلم بالمهتدين لقوله تعالى في سورة القصص:{ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ}﴿٥٦﴾ ولقوله تعالى في سورة يس:{ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ}﴿١٠﴾.

فأمثال هؤلاء حلت عليهم لعنة الله تعالى، ولا هداية لهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا}﴿٦٤﴾ ألّا الذين تابوا وأصلحوا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ

ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (٨٩) فأنزل الله تعالى سورة عبس للتنبيه على أنّ سننه تعالى في الناس ثابتة إلى يوم القيامة وفي الكافرين المستكبرين المعرضين عن دينه كعتبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة الذين أهلكهم الله تعالى على كفرهم في الدنيا ويدخلهم جهنّم في الآخرة، وفي ذلك تنبيه للأمة بتوجيه الجهود إلى المؤمنين ورعايتهم وتعليمهم، وكذلك من لديهم الرغبة في معرفة الحق من غير المؤمنين، والصد عن الكافرين المستكبرين المحاربين للدين فهم كالأرض البور التي لا تنبت خيرًا.

فنبّه الله تعالى نبيّه ﷺ قائلا:{ عَبَسَ} أي النبيّ ﷺ{ وَتَوَلَّىٰٓ} بوجهه عن ابن أم مكتوم ابن خال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- بسبب انشغاله ﷺ بدعوة صناديد قريش الذين كان يناجيهم ويدعوهم للإسلام{ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ} ابن أم مكتوم{ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ} بسؤاله{ يَزَّكَّىٰٓ} إيمانًا ومعرفةً{ أَوۡ يَذَّكَّرُ} بموعظتك{ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ} في الدنيا والآخرة{ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ} عن دين الله تعالى عنادا واستكبارا كعتبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمثالهم الذين ختم الله تعالى على قلوبهم لئلا يدخلها إيمان لقوله تعالى في سورة البقرة:{ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} (٧) ومهين{ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ} ليؤمن.

والله تعالى غنيّ عنهم وعن إيمانهم لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}﴿٨﴾ لمن آمن{ وَمَا عَلَيۡكَ} من إثم في أمثالهم{ أَلَّا يَزَّكَّىٰ} ولا يتطهر{ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ} كابن أم مكتوم{ وَهُوَ يَخۡشَىٰ} الله تعالى{ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ} وتنشغل.

الخلاصة: -

تأكيد أنّ سنن الله تعالى ماضية في النّاس لا يُستثنى منها أحد، وأنّ الله تعالى يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء بعدله وحكمته وبعلمه حقيقة ما في القلوب، وما ربّك بظلام للعبيد.

(١١-١٦) تأكيد أنّ القرآن تذكرة للنّاس.

كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾

قال تعالى:{ كَلَّآ إِنَّهَا} آيات القرآن العزير وما فيه من المواعظ، او حادثة ابن أم مكتوم{ تَذۡكِرَةٞ} وقال تعالى" إنّها تذكرة" لأنّ الله تعالى سمّى القرآن البيّنة والصحف المطهرة والكتب القيّمة في قوله تعالى في سورة البينة:{ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ

تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ}
۝٣ فمرةً يُنسب التذكرة إلى البيّنة والصحف المطهرة والكتب القيّمة ومرة ينسبها إلى القرآن كقوله تعالى في سورة الحاقة:{ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ}۝٤٨ وغيرها من الآيات، وهو{ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ} في اللوح المحفوظ{ مَّرۡفُوعَةٖ} عن عبث العابثين{ مُّطَهَّرَةِۭ} لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، محمولةٌ{ بِأَيۡدِي} ملائكةٍ{ سَفَرَةٖ} بين الله تعالى ورسله{ كِرَامِۭ} عن الكذب، ومطهرون من كلّ نقيصة{ بَرَرَةٖ} لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الخلاصة: –

تأكيد أن القرآن تذكرة للنّاس، وفي صحف مكرّمة ومصونةً مطهرة، وتحملها ملائكةً سفرة، كرام بررة.

(١٧–٢٣) الاستنكار على كفر الكافرين.

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣

قال تعالى:{ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى الممتنع عن الإيمان عنادًا وعصيانًا وأُميت ولعن{ مَآ أَكۡفَرَهُۥ} أي ما الشيء لذي منعه عن الإيمان فأكفره، أو ما أشد كفره وجحوده وعناده، ألا يعلم هذا الكفور{ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ} الله تعالى؟{ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ} تقديرا مذهلا، من بويضة مخصبة نصفها من الرجل من ثلاثة وعشرين(٢٣) كروموزوم، والنصف الآخر من بويضة المرأة ثلاثة وعشرين(٢٣) كروموزوم، لتصبح خلية إنسانية واحدة مركبة من ستة وأربعين(٤٦) كروموزوم، لا ترى بالعين المجردة.

ومن الإعجاز في خلق الإنسان أنّه لا يحصل رفض للحيوان المنوي من البويضة ولو تغيرت الأزواج كما يحصل عند نقل الأعضاء بين البشر، رغم أنّ الحيوان المنوي جسم غريب على البويضة{ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ} لكل مراحل الحياة{ يَسَّرَهُۥ} فهو يمضي عمره في هذه الحياة منذ أن كان نطفة في بطن أمة إلى أن يكون طفلا، بغض النظر عن حالته الاجتماعية وغناه وفقره حتى أجله المسمّى عند الله تعالى دون جهد منه{ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ} بعد مماته{ ثُمَّ إِذَا شَآءَ} بعد النفخة الثانية{ أَنشَرَهُۥ} وبعثه حيًا{ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ} واجبات وتكاليف{ مَآ أَمَرَهُۥ} من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات.

الخلاصة: -

الاستنكار على كفر الكافرين، فهو يَعرف من أي شيء خلقه تعالى، إلى ان أماته فأقبره، ولمّا يقضي ويطيع ما أمره تعالى.

(٢٤-٣٢) بيان بعض نِعَم الله تعالى على الإنسان.

فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ}﴿٣٢﴾

قال تعالى:{ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى{ إِلَىٰ} ابداع وتدبير الله تعالى له في{ طَعَامِهِۦٓ} الذي أعده الله تعالى قبل خلقه وقبل نزوله إلى الأرض{ أَنَّا} سبحانه وتعالى{ صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ} من السماء{ صَبّٗا} غزيرا{ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا} لتتمكن جذور النبات الضعيفة في الأرض وتمتصّ غذاءها، فالله تعالى هو الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هداه ليقوم بوظيفته{ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا} قمحًا وشعيرًا وغيرها من أصناف أخرى كثيرة يحتاجها لطعامه.

ثم قال تعالى:{ وَعِنَبٗا} مختلفًا ورزقًا مباشرًا{ وَقَضۡبٗا} هو كل ما يؤكل رطبًا غضًا من الورق الأخضر الذي يقطع مرة بعد أخرى كالبقدونس

والسبانخ والجرجير{ وَزَيۡتُونٗا} أصنافًا متباينة{ وَنَخۡلٗا} ثمرها طيب هضيم{ وَحَدَآئِقَ} وبساتين وغابات{ غُلۡبٗا} غليظة كثيفة{ وَفَٰكِهَةٗ} متنوعة الألوان والأشكال والأذواق{ وَأَبّٗا} ترعاه دوابكم مُتعةً و{ مَّتَٰعٗا} ولذّةً{ لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ}.

الخلاصة: –

بيان بعض نِعَم الله تعالى على الإنسان كطعامه وإنزال الماء من السماء، وإنبات الأرض بكل ما يحتاجه النّاس ولماشيته.

(٣٣-٤٢) بيان أحوال الكفرة والمؤمنين يوم الدين.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ
مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا
قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ۝٤٢

قال تعالى متوعدًا{ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ} التي تصخ الآذان وتصمّها وتذهلها فجاءةً{ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ} كذلك{ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ} ومن{

وَصَٰحِبَتِهِۦ} وزوجته ورفيقته في الدنيا{ وَبَنِيهِ} فـ{ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ} حساب عظيم و{ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ} عنهم.

فـ{ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ} بإيمانها وعملها وتقواها{ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ} بفوزها ومنزلتها كقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}٦٤{ وَوُجُوهٞ} أخرى{ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ} وكآبة وحسرة وندامة{ تَرۡهَقُهَا} وتذلّها وتثقلها{ قَتَرَةٌ} وخزي وندامة{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ} الممتنعين عن الإيمان عصيانًا وعنادًا و{ ٱلۡفَجَرَةُ}، فليستعد كل إنسان بعمله لذلك اليوم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم من الكفر والشرك والمعاصي، فقد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها.

الخلاصة: -

بيان أحوال الكفرة والمؤمنين يوم الدين، يوم يفرّ المرء من أخيه، ومن أمّه وأبيه، حتّى من زوجته وبنيه، فوجوهٌ يومئذٍ مسفرة، ضاحكة مستبشرة، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قتره، فأولئك هم الكفرة الفجرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التكوير ترتيبها(٨١) آياتها(٢٩)

(١-١٤) بيان بعض صور تبديل الأرض غير الأرض والسماوات.

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣
وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦
وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا
ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا
ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤

تنتهي وتتوقف دورة الحياة وتتبدل الأرض غير الأرض والسماوات فجأةً{ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ} وذهب نورها ووهجها ولا حاجة لها ولا لضوئها{ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ} وطُمست وتناثرت وانقضى أجلها{ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ} فكانت هباءً منثورًا وسرابًا{ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ} الإناث الحاملات من الناس والحيوان والأشجار والسحاب المحمّلات بالأمطار{ عُطِّلَتۡ} عن حَملها ودورها، ووضعت كلّ ذات حمل حملها{ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ} ليوم الحساب{ حُشِرَتۡ} وجمعت للقصاص العدل والميزان القسط الذي لا تطفيف فيه{ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ} نارًا وأوقدت وتبخّرت{ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ}

بأجسادها وأرواحها{ زُوِّجَتۡ} وبعثت، وبأمثالها ومن في درجاتها اقترنت زمرا وجماعات{ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ} في التراب دون جُرمٍ من البنات بعثت حيّةً و{ سُئِلَتۡ} استنكارًا{ بِأَيِّ ذَنۢبٖ} وبأي جُرمٍ، وبأي شرعٍ وحكمٍ من دون الله تعالى{ قُتِلَتۡ}.

فحرم الله تعالى وأد البنات إيذانًا باستبدال أحكام وظلمات الجاهلية بنور الإسلام، ولإحقاق الحق وإزهاق الباطل، واستبدال تلك الأحكام الجائرة بأحكام الله تعالى، فيقام الحد على الزاني والزانية، وليس على المولودة التي لا ذنب عليها، فعلى المتزوج الرجم وعلى غير المتزوج الجلد، وعلى المملوكة نصف عذاب الحرّة وغير ذلك من الأحكام العادلة التي جاء بها هذا الدين العظيم.

فشرّع الإسلام أنّ على الواءِد الأوّل تَحمُّل إثم فِعله وإثم كلّ موءُدة من بعده إلى يوم القيامة، لأجل أن تنتهي البشرية عن تلك الفظائع، كقابيل يتحمل إثم كلّ جريمة قتل في الدنيا، لأنه أوّل من سنّ جريمة القتل، وعليه فكل مُشرِّعٍ يشرع للناس تشريعا مخالف لشرع الله تعالى فهو يتحمّل إثم تشريعه إلى يوم القيامة، وبالمقابل فمن سنّ سنّة حسنة أو شرعًا يقيم به شرع الله تعالى ودينه فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة.

وعليه فالمشرعون للحرية الشخصية الباطلة في العالم والمقرون لها في الدول يتحمّلون إثم ذلك التشريع إلى يوم القيامة، لأن تشريع الحرية الشخصية يعني إباحة الزنا برضى الطرفين، فالمشرعون يتحملون إثم كل زنا يمارس من النّاس إلى قيام الساعة، وكذلك الممارسون للزنا عليهم إثمه، والإثم الآخر هو تشريع إباحة إسقاط الأجنّة بسبب الزنا، فهو كإثم قتل الموءُدة، فيتحمّل المشرعون إثم إسقاط الأجنّة إلى قيام الساعة، وكذلك الممارسون له، وهكذا فعلى المشرِّعِ الأول إثم كل الممارسات التي ترتبت على تلك التشريعات الباطلة شرعًا، فليحذر المسلم من الوقوع في شيء من ذلك، فعقوبة الله تعالى وسننه قائمة في الدنيا قبل الآخرة، فنسأل الله تعالى السلامة.

ولقد تعدت رحمة هذا الدين العظيم لتعم الحيوان لما ورد في موطأ الإمام مالك والإمام البخاري وغيره عن أبي هريرة (رلع) أن رسول الله ﷺ قال:{ بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب وخرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقا الكلب، فشكر الله له فغفر له، فقالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال:" في كل ذي كبد رطبة أجر ".

ثم يقول تعالى:{ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ} بأعمال أصحابها{ نُشِرَتۡ} وكُشفت وبانت وظهرت حقيقتها{ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ} العظيمة{ كُشِطَتۡ} وتفطرت وانشقت وفرجت{ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ} للكافرين{ سُعِّرَتۡ} وحمّيت{ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ} للمؤمنين{ أُزۡلِفَتۡ} وقرّبت، عندها{ عَلِمَتۡ} وأيقنت كلّ{ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ} من خير أو شر، ليستيقظ الإنسان من غفلته وليصحح سعيه، وليرقى بأعماله الصالحة، ليجد حلاوة ذلك في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ...}﴿٩٦﴾.

الخلاصة: -

بيان بعض صور تبديل الأرض غير الأرض والسماوات فجأةً، إذا الشمس كوِّرت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيّرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت، وإذا النفوس زوجت بأقرانها، وإذا الموءُدة سئلت، بأي ذنبٍ قتلت؟ وإذا الصحف نشرت، وإذا السماء كشطت، وإذا الجحيم سعّرت، وإذا الجنّة أزلفت، عندها علمت نفسٌ ما قدّمت وأخّرت.

(١٥-٢٩) القسم بأنّ القرآن قول ملك كريم، وليس الذي أنزل عليه بمجنون، وأنّ القرآن ذكر للعالمين.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

يُقسم تعالى قائلا:{ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ} وهذا قسم لوجود جواب القسم، وقيل أنّ الخُنّس الجواري الكنس النجوم أو الكواكب أو أبراج السماء كونها تظهر وتختفي في الليل والنهار والشتاء والصيف، ولكن جاء في قاموس لسان العرب في مجمل معنى كلمة خُنَّس وكُنَّس" أنّ الخُنُوس هو الانقباض والاستخفاء، وسمّي الشيطان بالخنّاس أي المنقبض عند ذكر الله تعالى والمستخفي عن نظر الناس، والكُنّس جمع كانِس، والكنْس كسح القمام عن وجه الأرض وإلقاء بعضه على بعض،

والكَناس هو المكان الذي يدخل فيه الظباء أو الوحش من البقر ليكتن(ليدفئ) فيه من البرد، ويستتر عن الصيادين وغيرهم".

وفي هذه المعاني إشارة إلى حقيقة علمية سماوية غير النجوم أو الكواكب أو الأبراج، وهو ما يعرف بالثقوب أو البُؤر السوداء في السماء والتي عُرِّفت في الموسوعة الحرة:" هو منطقة في الفضاء ذات جاذبية مهولة تفوق جاذبيتها غالبًا مليون كتلة شمسية، وتصل الجاذبية فيها إلى مقدار لا يستطيع الضوء الإفلات منها والذي تبلغ سرعته ثلاثمائة ألف كيلومتر(٣٠٠٠٠٠) في الثانية، ولو أنّ الكرة الأرضية دخلت الثقب الأسود سيبلغ حجمها ككرة الطاولة من شدة الجاذبية فيه، والثقب الأسود يلتهم ويبتلع حطام الأجرام وما حوله من مادة أو كواكب أو نجوم، وقد أمكن التعرف على البؤر أو الثقوب السوداء عن طريق مراقبة بعض الإشعاعات السينية التي تنطلق عند تحطم جزيئات المواد أو النجوم عند اقترابها من مجال جاذبية الثقب الأسود وسقوطها في هاويته.

فالثقب الأسود تنقبض فيه الأشياء التي تدخله بسبب هول جاذبيته، وهو مستخفي لا يرى بسبب أنّ الضوء لا يستطيع الخروج منه، ويلتهم كل ما حوله من مادة إذا دخل في مجال جاذبيته"، فهو خانس لا يرى، ويجري ويتحرك في فلك له، ويكنس ما حوله من السماء ويلقي بعضها على بعض في جاذبيته وكأن ما حوله يأوي إليه، فاكتملت فيه كل صفات

الخنّس الجواري الكنّس، وهذا من الإعجاز العلمي الذي أشار إليه القرآن العزيز وأقسم الله تعالى به لعظم دورها وأهميتها في كنس السماء وتنظيف ما تأتي عليه من أجرام وأمور لا يعرف حقيقتها.

وحيث أنّ الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وهو تعالى منزل القرآن العزيز هو الله تعالى، فلا تعارض بين ما أنزل الله تعالى من القرآن العزيز قبل أربعة عشر قرنا وبين ما يكتشفه علماء الطبيعة والكون في القرون الأخيرة، ولعل تسمية الكنائس بهذا الاسم إشارة إلى أنّها الأماكن التي يأوي إليها النصارى للعبادة.

ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ} حلَّ وأقبل بظلامه أو أدبر كما في قاموس لسان العرب، وعسعس من الأضداد، كحارس الليل أو العساس، ثمّ أقسم تعالى قائلًا:{ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ} وانشق وأشرق مؤذنًا بطلوعِ النهار، وتبلّجه وامتداده حتى صار نهارًا بيّنًا وانتصف كما جاء في قواميس اللغة.

وجواب القسم{ إِنَّهُۥ} أي القرآن العزيز{ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ} وهو جبريل (ع س)، والكريم هو كثير الخير، الجواد بما أعطي، والمنزه من ربّه عن كل نقيصة، وهو{ ذِي قُوَّةٍ} وشديد القُوى، ومن قوته أن جعل عالي قرى لوط أسفلها، وهو{ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ} جلّ جلاله{ مَكِينٖ} أي

ذي شأن ومكانة عالية عند ربه تعالى، وهو{ مُّطَاعٍ} من الملائكة وأمره نافذ فيهم{ ثَمَّ أَمِينٍ} حفيظ على ما يوحى إليه وعلى ما يأتمنه الله تعالى{ وَمَا صَاحِبُكُم} ﷺ{ بِمَجْنُونٍ} ولا مفتون بما يخبركم من خبر السماء والشرائع والأحكام{ وَلَقَدْ رَءَاهُ} ﷺ، أي رأى جبريل (عس) بصورته الحقيقة التي هو عليها{ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ} الذي تتم فيه الرؤية الواضحة عن يقين كما ورد في الظلال{ وَمَا هُوَ} ﷺ{ عَلَى ٱلْغَيْبِ} الذي أوحاه وأطلعه الله تعالى عليه وبلّغه لكم أحسن تبليغ{ بِضَنِينٍ} ولا متوهِّم ولا مفتون{ وَمَا هُوَ} أي القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه{ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ} مرجُوم بالشهب.

ثمّ قال تعالى:{ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} وتُوَلّون وجوهكم وعبادتكم؟ وأي صراط تريدون غير صراط الله تعالى؟{ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ} وموعظة وعِبر وشرائع وقيم والأخلاق وأحكام{ لِّلْعَٰلَمِينَ} من الإنس والجنّ{ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ} معشر الإنس والجنِ{ أَن يَسْتَقِيمَ} على هدي الله ودينه وقيمه وأخلاقه وشرائعه{ وَمَا تَشَآءُونَ} أن تستقيموا على هدي الله تعالى{ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} بحكمة وعدله وعلمه حقيقة ما في القلوب كقوله في سورة الأنعام:{ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَجۡهَلُونَ}﴿١١١﴾ وهو تعالى أعلم بالمهتدين لقوله تعالى في سورة القصص:{ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ}﴿٥٦﴾.

الخلاصة: -

القسم بالخنّس، الجواري الكنّس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، بأن القرآن قول رسول كريم، وأن ليس الذي أنزل عليه ﷺ بمجنون، وأنّ القرآن ذكر للعالمين، ولقد رئى ﷺ جبريل بالافق المبين، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم، وما هو إلّا ذكّر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلّا أن يشاء الله رب العالمين، لعلمه حقيقة ما تخفيه الصدور.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانفطار ترتيبها (٨٢) آياتها (١٩)

(١–٥) بيان بعض صور تبديل الأرض والسماوات وعلم كلّ نفس ما قدّمت وأخرت.

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥

فجأةً يبدل الله تعالى الأرض غير الأرض والسماوات وتنتهي دورة الحياة الدنيا كما قال تعالى في سورة إبراهيم:{ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ}۝٤٨ ومن صور تبديل السماوات{ إِذَا ٱلسَّمَآءُ} فجاءة{ ٱنفَطَرَتۡ} وانشقّت وتمزّقت وكشطت{ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ} وتطايرت وتبعثرت وزالت من أفلاكها واختفت{ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ} وأوقدت وتبخرت{ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ} وبُعث من فيها للحساب عندها{ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ} من خير وشرّ، فلا يُنسى ولا يخفى ولا يغيب منه شيء.

الخلاصة: –

بيان بعض صور تبديل الأرض والسماوات عند قيام الساعة، وعلم كلّ نفس ما قدّمت وأخرت.

(٦-١٢) الاستنكار على تكذيب المكذّبين وبيان بعض الاعجاز في خلق الله تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾

ف{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى عصيانًا وعنادًا{ مَا غَرَّكَ} وما خدعك فأضلك وجعلك تكفر{ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ} فاستكبرت واستغنيت وجحدت رسالاته؟ وهو تعالى{ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ} وتفضل عليك فأكمل خلقك وحواسّك وجعلك سميعًا بصيرًا عاقلًا متفهمًا، وأنعم عليك نعمًا لا تعد ولا تحصى{ فَعَدَلَكَ} في أحسن تقويم، وجعلك قائمًا معتدلًا لا تمشي على بطنك ولا على أربع.

و{ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ} وسِمةٍ ومظهر وهيئة{ مَّا شَآءَ} سبحانه{ رَكَّبَكَ} من ماء مهين، من منيّ الرجل وبويضة المرأة، يمزجهما تعالى كيف يشاء أمشاجًا وأخلاطًا في خلية إنسان، تحمل شيء من صفات والديك

وقد تشبه أعمامك أو أخوالك أو أحدًا من سلالتهما، وحسّن صورتك كما يشاء.

{ كَلَّا بَلۡ} الحقيقة يا من كفرتم بالله تعالى إنكم{ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ} والبعث والحساب إعراضًا وجحودًا وعنادًا واستكبارًا{ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ} من الملائكة يكتبون أقوالكم وأعمالكم، لا يغيب منها مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء لقوله تعالى في سورة يونس:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ}﴿٦١﴾ وهم{ كِرَامٗا} عند الله عن الكذب والتدليس والخيانة، ومن كرمهم يضاعفون الحسنة إلى سبعمائة ضعف والسيّئة بسيئة واحدة، وهم{ كَٰتِبِينَ} كلّ أعمالكم لا يفوتهم شيء، وهم{ يَعۡلَمُونَ} كل صغيرة وكبيرة منّ{ مَا تَفۡعَلُونَ}.

الخلاصة: -

الاستنكار على تكذيب المكذّبين وبيان الاعجاز في خلق الإنسان الذي عدلة، وفي أي صورة ما شاء ركّبه، لكنّ الحقيقة أنّ الإنسان يكذّب بيوم الدين، وإنّ عليهم لحافظين، يعلمون ما يفعلون.

(١٣-١٩) وصف شيء من جزاء الأبرار والفجار وتأكيد أنّ الأمر لله تعالى.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩

يخبر الله تعالى قائلا:{ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ} في ذلك اليوم العظيم{ لَفِي نَعِيمٖ} مقيم ورفعة ودَعة وحبور عظيم{ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ} المعاندين العاصين مطلقي العنان في المعاصي والمحارم{ لَفِي جَحِيمٖ} من نار شديدة متأججة وهاوية{ يَصۡلَوۡنَهَا} ويكابدون حرّها تلظيًا ومهانًا{ يَوۡمَ ٱلدِّينِ} والحساب{ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ} أبدًا ولا مبعدين ولا مستثنين{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} أهوال{ يَوۡمُ ٱلدِّينِ} والميزان والحساب والصراط{ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} يكون في{ يَوۡمُ ٱلدِّينِ} للحساب على العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات وما كسبت قلوبهم، فهو يوم كما قال عنه تعالى في سورة عبس:{ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ}٣٧ و{ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ} من خير أو شر

أو نفع أو ضُر{ وَٱلۡأَمۡرُ} والحكم كلّه { يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ} وليس لأحد سواه، نسأل الله تعالى اللطف والعفو والغفران في ذلك اليوم، ودخول الجنّة بغير حساب.

الخلاصة: -

تأكيد بأن الأبرار لفي نعيم، وإنّ الفجار لفي جحيم، يصلونها يوم الدين، وما هم عنها بغائبين، وهو يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا والأمر يومئذ فيه لله تعالى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المطففين ترتيبها (٨٣) آياتها (٣٦)

(١-٦) وعيد المطففين وبيان بعض صفاتهم.

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦

يريد الله تعالى من هذه الأمة أن تكون رائدة للحضارة الإنسانية من منطلق دينها وعقيدتها وعبادتها وقيمها وأخلاقها ومعاملاتها متأسية برسول الله ﷺ الذي كان على خلق عظيم، لإقامة المجتمع الأمثل للنّاس في الأرض، بإعطاء كل ذي حق حقه، ليدخل النّاس في دين الله أفواجًا، ولذلك حذّر الله تعالى التطفيف من حقوق النّاس فقال:{ وَيۡلٞ} وفضيحةٌ وخزيٌ وعذاب شديد من الله تعالى{ لِّلۡمُطَفِّفِينَ} الذين لا يُعطون النّاس كامل حقوقهم، والتطفيف هو بخس وإنقاص الناس شيء من حقوقهم سواء في الكيل أو الميزان أو أي شيء آخر، كأجرة عامل أو خادم أو غير ذلك، أو حتى حق الزوجة أو الأبناء.

فالمطفف يسيء لنفسه ولأسرته ولمجتمعه ولدين الله تعالى ولأمّته التي أرادها الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فالمطفف يتحمّل إثم كل ذلك، كما ويعرّض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا جزاء إعراضه عن هدي الله تعالى لقوله في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى } وديني وحُكمي وشرعي{ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا} شديدة قاسية في الدنيا{ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ولقوله تعالى في سورة الشمس:{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا}﴿١٠﴾ في الدنيا والآخرة، كما فُعِل بقوم شعيب (عس) لمّا طففوا الكيل كما قال تعالى في سورة الشعراء:"{ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ}﴿١٨٢﴾ حتى قال تعالى:{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}﴿١٨٩﴾.

والمطففون هم{ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟} لأنفسم{ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} كامل كيلهم وحقوقهم{ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} وينقصون حقوق الآخرين{ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ} لملاقاة ربهم{ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} يفر فيه المرء من أخيه أمه وأبيه و{ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} و{ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}﴿٢٤﴾ كما قال تعالى في سورة النور.

الخلاصة: -

تحذير المطففين وبيان بعض صفاتهم، وإنّهم لمبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم النّاس لرب العالمين.

(٧-١٧) بيان عقوبة المطففين يوم الدين.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧

يقول تعالى:{ كَلَّآ} فالموقف جلل، والله تعالى مقيم سننه وجزاءاته فيهم، وفي ذلك اليوم فـ{ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ} ومنتهكي ومستحلي الحرمات المعرضين عن هدي الله تعالى محبوسون و{ لَفِى سِجِّينٍ} وعذاب شديد{ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا} أهوال وعذابات{ سِجِّينٌ} فهو في{ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ} مختوم لم يطلع على عِظم عذابه وعقوبته إلّا الله تعالى فـ{ وَيْلٌ} وعذاب شديد مهين{ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} بالبعث و{ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ} والحساب والجزاء{ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ} على حرمات الله تعالى

وشرائعه وقيمه{ أَثِيمٍ} منغمس في المعاصي والخطايا{ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا} ليتوب ويستغفر أعرض و{ قَالَ} هذه خرافات وروايات وقصص من{ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ} المندثرين{ كَلَّاۖ بَلْۜ} الحقيقة أنّه{ رَانَ} وحجب وغطى وطُبع{ عَلَىٰ قُلُوبِهِم} التطفيف جزاء{ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} من حرام وحقوق الآخرين{ كَلَّآ} بل{ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ} يوم القيامة{ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} مبعدون عن رحمته ولا ينظر إليهم{ ثُمَّ إِنَّهُمْ} علاوة على ذلك{ لَصَالُواْ} وذائقو ومُكابدوا{ ٱلْجَحِيمِ} والسعير{ ثُمَّ يُقَالُ} لهم{ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ} فنسأل الله تعالى السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر.

الخلاصة: -

التحذير من عقوبة المطففين والتي هي في كتاب مرقوم لم يطلع عليه أحد، بسبب ما كانوا يعملون، وإنّهم عن ربّهم لمحجوبون ولصالوا الجحيم، ويقال لهم هذا الذي كنتم به تكذّبون.

(١٨-٢٨) بيان جزاء الأبرار.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ

﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

{ كَلَّآ} والحقيقة الأخرى{ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ} فهم قطعًا{ لَفِي عِلِّيِّينَ} ومنازل رفيعة، أمّا صفاتهم فكما ذكرهم الله تعالى في سورة البقرة في قوله تعالى:{... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ}﴿١٧٧﴾ { وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} نعيم{ عِلِّيُّونَ} فهو{ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ} لم يطلع على عظم الأجر فيه أحد، ولا يعلم عِظم النعيم الذي فيه إلّا الله تعالى و{ يَشۡهَدُهُ} يوم القيامة{ ٱلۡمُقَرَّبُونَ} من الله تعالى.

ثم يؤكد تعالى مرة أخرى{ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ} في ذلك اليوم{ لَفِي نَعِيمٍ} خالدين{ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ} والأسرّة{ يَنظُرُونَ} إلى عِظم ذلك النعيم وفضل الله تعالى عليهم، كما ينظرون إلى بهاء الله تعالى وهي أعظم نعمةٍ ولذّةٍ، وإذا رأيتهم في الجنّة{ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ} وزهوة وبهاء{ ٱلنَّعِيمِ} الممتعين والمتنعمين به في دار المُقامَة، لا يعكر صفو سرورهم وخواطرهم شيئًا.

ثمّ يقول تعالى:{ يُسۡقَوۡنَ مِن} صفوة خمرٍ لا لغوًا فيها ولا تأثيم، ومن{ رَّحِيقٖ} مُحكم لم يفتحه أحد قبلهم{ مَّخۡتُومٍ} وغطائه و{ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ} فما بال حلاوة طعمه المختوم بالمسك{ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ} في الخيرات والإحسان في الأعمال.

ثمّ قال تعالى عن ذلك الرحيق{ وَمِزَاجُهُۥ} أي ما يخلط به{ مِن تَسۡنِيمٍ} أي من أجود ما في الجنّة، كما يقال سنام الجمل، أي أرفعه وأجوده كما وردت المعاني في قاموس لسان العرب{ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ} من الله تعالى، فنسأل الله من فضله.

الخلاصة: -

الجزم بأن الأبرار منعمين وفي علِّيين ونِعَم لم يطلع عليها أحد، ويُرى في وجوههم نضرة النعيم، ويسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه ويخلط به من أجود التسنيم، عينًا يشرب بها المقربون.

(٢٩-٣٦) الإشارة إلى بعض سلوك المكذبين في الدنيا وجزاءهم في الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يؤكد تعالى قائلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ} بإعراضهم عن الإيمان عنادًا وعصيانًا{ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ} ويسخرون ويستهزؤون{ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ} بالإشارة والأعين والأيدي والرؤوس{ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ} ورجعوا{ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ} وأمثالهم{ ٱنقَلَبُواْ} وعادوا{ فَكِهِينَ} ضاحكين متهكمين{ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ} سخروا منهم و{ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ} عن الهدى والرشاد{ وَمَآ أُرۡسِلُواْ} أي المؤمنين{ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ} لهم من غيّهم وضلالهم.

ثمّ قال تعالى:{ فَٱلۡيَوۡمَ} أي يوم القيامة يكون{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ} ويستهزؤون، وتراهم{ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ} والأسرّة{ يَنظُرُونَ} إلى عِظم ثواب أعمالهم، وما يزيدهم الله تعالى من فضله، من لذّة النظر إليه

تعالى، وهي أعظم لذّة فـ{ هَلۡ ثُوِّبَ} وجُوزي{ ٱلۡكُفَّارُ} الممتنعين عن الإيمان عصيانا وعنادًا في ذلك اليوم{ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ} في الدنيا جزاء تطفيفهم واعراضهم عن هدي الله تعالى واستهزائهم بالمؤمنين.

الخلاصة: -

الإشارة إلى بعض سلوك المكذبين في الدنيا وجزاءهم في الآخرة، والتي فيها الذين آمنوا من الكفّار يضحكون، على الأرائك ينظرون.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانشقاق ترتيبها (٨٤) آياتها (٢٥)

(١-٥) بيان صور من تبديل الأرض والسماوات.

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣
وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥

صورة أخرى من تبديل السماوات غير السماوات والأرض{ إِذَا ٱلسَّمَآءُ} فجأةً{ ٱنشَقَّتۡ} وانفطرت وكُشِطت{ وَأَذِنَتۡ} واستمعت واذعنت وامتثلت{ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ} فكانت حقًا وحقيقة وحق يقين{ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ} وكَبُرت وعظُمت{ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا} من النّاس والخلائق{ وَتَخَلَّتۡ} عنهم{ وَأَذِنَتۡ} الأرض واستمعت وانصاعت وامتثلت واذعنت{ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ} وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع لأمر الله تعالى.

الخلاصة: -

يحذِّر الله تعالى النّاس إذا فجئتهم السماء فانشقت، وأذنت وأطاعت لربها وحقّت، وإذا الأرض مدّت، وأذنت وانقادت لربّها وحُقَّ لها أن تنقاد.

(٦-١٥) تنبيه النّاس وبين حقيقة حياتهم ومئالهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ
مَسۡرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾
وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾
بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

ينبه الله تعالى النّاس إلى حقيقة حياتهم ومئالهم قائلًا:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ} ذكر أو أنثى{ إِنَّكَ} في هذه الدينا{ كَادِحٌ} ساعيًا بجهد ومشقة ومُعاناة في هذه الدنيا ثمّ{ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا} وصائر وراجعٌ له{ فَمُلَـٰقِيهِ} يوم القيامة{ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ} وصحائف أعماله فائزًا مستبشرًا{ بِيَمِينِهِۦ} مرضيًا عنه{ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} للعرض دون نقاش، أمّا من نوقش عُذِب، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال:" من نوقش الحساب عُذِّب" قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى:{ فسوف يحاسب حسابا يسيرا}؟ قال:" ذلك العرض" ثمّ قال تعالى وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ} المؤمنين{ مَسۡرُورًا}.

ثمّ يقول تعالى:{ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ} مكذّبًا خائبًا{ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ} لقبح ما فيها{ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ} صارخًا{ ثُبُورًا} وخسرانًا وهلاكًا{ وَيَصۡلَىٰ}

حرها ولهبها{ سَعِيرًا} موقدًا، بسبب{ إِنَّهُۥ} في الدنيا{ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا} معرضًا عن الإيمان عنادًا وطغيانًا{ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} ولن يرجع، ولن يبعث، ولن يعود حيًّا، ولا حساب ولا جزاء{ بَلَىٰٓۚ} سيعود ويرجع مدحورًا مخذولًا{ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا} في جميع أحواله وشؤون حياته.

الخلاصة: –

تنبيه النّاس لحقيقة حياتهم ومئالهم، وأنّهم ملاقوا ربهم، فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، وأمّا من أوتي كتابة وراء ظهره فسوف يدعو ثبورًا، ويصلى سعيرًا، إنّه كان في أهله مسرورًا، إنّه ظنّ أن لن يحور ولن يبعث، بلى إنّ ربه كان به بصيرًا.

(١٦–٢٥) القسم بمجازات الناس يوم القيامة.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ}٢٥

يقسم الله تعالى قائلا:{ فَلَآ} أي بل{ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ} والدليل بأنه قسم؛ وجود جواب القسم، والشفق هو الظاهرة المعروفة المرئية عند الفجر حتى الشروق، وعند غروب الشمس إلى وقت العشاء، والشفق آية على الرفعة والعلو والابداع في الخلق الذي أودعه الله تعالى في الغلاف الجوي ليبدو باللون البرتقالي والأحمر وما بينهما، فهو تعالى{... ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ} وصورته وخواصه{ ثُمَّ هَدَىٰ}﴿٥٠﴾ ليقوم بوظيفته في الدنيا.

ثمّ يقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلۡقَمَرِ} والذي هو من اتقان خلقه{ إِذَا ٱتَّسَقَ} أي إذا اكتمل واستدار وكمُل نوره، وجواب القسم{ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ}" أي سماء بعد سماء، أو حالًا بعد حال" أي من أحوال يوم القيامة" كما ذُكر في تفسير زاد المسير، نسأل الله تعالى السلامة في ذلك اليوم.

ثم قال تعالى:{ فَمَا لَهُمۡ} أي المعرضين عن هدي الله تعالى عصيانًا وعنادًا{ لَا يُؤۡمِنُونَ} بالله تعالى{ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ} ولا يذعنون ولا يطيعون، والسجود يعني الانقياد التام لدين الله تعالى{ بَلِ} الحقيقة أن{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ} بما جاء به الدين، وما أوحي إلى الرسول ﷺ وأخبر عنه{ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ} في أنفسهم وما يسرّون وما يضمرون{ فَبَشِّرۡهُم} في الدنيا والآخرة{ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} لقوله تعالى

في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

ثم يقول تعالى:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ} لا مِنّة فيه، ولا منقوص ولا مقطوع لقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ}﴿٦٤﴾.

الخلاصة: -

القسم بمجازات الناس يوم القيامة بالشفق، والليل إذا وسق وأظلم، وبالقمر إذا اتسق واستدار، لتركبنّ طبقا عن طبق وحال بعد حال، فما لهم لا يؤمنون، وإذا قُرئ عليهم القرآن لا يسجدون ولا يطيعون، بل الحقيقة إنّ الذين كفروا يكذّبون، والله أعلم بما يوعون ويخفون، فبشرهم بعذاب أليم، إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البروج ترتيبها (٨٥) آياتها (٢٢)

سبب نزول سورة البروج كما ورد في تفسير النسفي أنّه رُوِي عن النبيّ ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كَبُر ضم اليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها(الله تعالى).

فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، وعَمي جليس الملك فأبرأه، فأبصره الملك فسأله: من رد عليك بصرك؟ فقال: ربى، فغضب، فعذبه فدلّ على الغلام، فعذبه فدلّ على الراهب، فلم يرجع الراهب عن دينه، فقُدّ(قطع) بالمنشار(نصفين) وأبى الغلام(الرجوع عن دينه).

فذهب به الى جبل ليُطرح من ذروته، فدعا(الله) فرجف بالقوم فطاحوا ونجا، فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ من كنانتي سهما وتقول: باسم الله رب الغلام، ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه(بين العين والأذن) فوضع يده عليه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك نزل بك ما

تحذر، فخدّ أخدودًا وأملأها نارًا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق، فألقي الصبي وأمه في النار.

من هذه الواقعة يتبيّن أنّه قد يقع الظلم والقتل على المؤمنين بسبب إيمانهم لقوله تعالى في نفس السورة :{ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ}﴿٨﴾ ولله تعالى حِكم وعِبر ومقاصد من هذه القصة منها:-

١- رغم أن سنّة الله تعالى الخالدة في النّاس أن يسعد من آمن ويشقي من أعرض لقوله تعالى في سورة طه:{... فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ إلّا أن من سننه تعالى أيضا ابتلاء المؤمنين لتمحيص إيمانهم لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾.

٢- الغاية الثانية من هذه الحادثة حاجة المؤمنين للصبر والمصابرة على البلاء والمصائب ليكون الصبر بشرى لهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ

وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ}﴿١٥٧﴾.

٣- بيان عِظم رحمة الله تعالى بإمهال الكفرة والجبابرة وغيرهم لعلّهم يتوبوا فيما بقي من أعمارهم لقوله تعالى في نفس السورة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ}﴿١٠﴾ أي فإن تابوا وآمنوا غفر الله تعالى لهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا}﴿٢٤﴾.

٤- أو ليزداد الكافرين إثمًا في الدنيا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ}﴿١٧٨﴾ في الآخرة.

٥- أو ليعذبهم الله تعالى في الدنيا قبل عذاب الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}﴿٢١﴾ في الدنيا{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}﴿٢٢﴾ في الآخرة.

٦- ومن رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن أذِن لهم أن يتلفظوا بالكفر بشرط اطمئنان قلوبهم بالإيمان إذا فتنوا في دينهم لقوله تعالى في سورة النحل:{... إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ...}﴿١٠٦﴾.

(١-٩) القسم بقتل أصحاب الأخدود.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

أقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج الإثني عشر التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت والتي جمعها الشاعر في قوله:

حمل الثور جوزة السرطان ودعا الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي ونزح الدلو بركة الحيتان

وروي في تفسير ابن كثير أنّ المراد بالبروج هي النجوم العظام، فأقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ} وأقسم تعالى بيوم القيامة

لمحاسبة الخلق قائلا:{ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ} في الأجل المسمى عنده تعالى، وأقسم تعالى بالشاهد من الرسل ومن آمن من النّاس وبالمشهود عليهم من الأمم الكافرة قائلا:{ وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ} في ذلك اليوم العظيم.

ومن تشريف الله تعالى لهذه الأمة يوم القيامة أن تشهد على بقية الأمم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ...} ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" يدعى نوح فيقال هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلَّغ، فذلك قول الله" كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"، وذكر ابن المبارك هذا الحديث مطوّلًا بمعناه، وفيه:{ فتقول تلك الأمم كيف يَشهد علينا مَن لم يُدركنا؟ فيقول لهم الربّ سبحانه: كيف تشهدون على مَن لم تُدركوا؟ فيقولون: ربَّنا بعثت إلينا رسولًا وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصتَ علينا أنهم قد بلّغوا فشَهدنا بما عَهِدتَ إلينا فيقول الربُّ: صدقوا فذلك قوله عزّ وجلّ:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ}.

وجواب القسم قوله تعالى:{ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ} حرقًا بـ{ ٱلنَّارِ} العظيمة{ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ} الكثير الوفير{ إِذۡ هُمۡ} الملك وأصحابه القتلة{ عَلَيۡهَا} رقباء{ قُعُودٞ} لا يرحمون أحدًا ممن آمن{ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ} من تحريق{ شُهُودٞ} رُصُود، لا يفلت منهم أحد{ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ} وسخطوا عليهم{ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ} في ذاته وأسمائه وصفاته، الممتنع الذي لا يغلبه شيء، ولا يُغلب على أمره، والذي لا يقبل الشريك، ولا يرضى إلّا دينه وحُكمه، وسننه ماضية في الإنس والجنّ دون استثناء إلى يوم القيامة{ ٱلۡحَمِيدِ} الحامد لأوليائه، الشكور، والمستحق للحمد، والمحمود من عباده على فضله ونعمه{ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ} وما لأحد فيهما ملك شيء صَغُر أو كَبُر، ولا يكون في ملكه شيء إلّا بإذنه{ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ} في السماوات والأرض{ شَهِيدٌ} ورقيب.

الخلاصة: –

يقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج، وباليوم الموعود، وبشاهدٍ ومشهود، بأنّه قتل أصحاب الأخدود ظلمًا، بالنّار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلّا أن

يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيءٍ شهيد.

(١٠-١١) تأكيد عقوبة الكافرين وفلاح المؤمنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾

يؤكد الله تعالى قائلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ} وقتلوا{ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ} حرقًا بالنّار ذات الوقود{ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ} ولم ينيبوا في الدنيا{ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة بظلمهم وكفرهم{ وَلَهُمْ عَذَابُ} آخر في دركات النّار وهو عذاب{ ٱلْحَرِيقِ} الذي أذاقوه المؤمنين، ثمّ يوكد تعالى قائلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} وصبروا على إقامة دينهم والبلاء الذي حلّ بهم من تحريق{ لَهُمْ} في الآخرة{ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} و{ ذَٰلِكَ} هو{ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ}.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى بأنّ الذين فتنوا وأَحرقوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم بكفرهم ولهم عذاب آخر عذاب تحريق المؤمنين، وإنّ

الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، فذلك هو الفوز الكبير.

(١٢-٢٢) تأكيد إنّ بطش الله تعالى شديد، وضرب المثل بفرعون وثمود وأنّ القرآن مجيد.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

يعلن الله تعالى عن سُنَّة من سننه قائلًا:{ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} في الدنيا قبل الآخرة لمن كفر وتجبر وأعرض عن هديه تعالى تصديقًا لسنّته الخالدة في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ}﴿١٢٤﴾ في الآخرة، أو يؤجل عقوبتهم في الدنيا ليزدادوا إثما لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}﴿١٧٨﴾ في الآخرة.

ف{ إِنَّهُۥ} سبحانه وتعالى{ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ} في الآخرة والدنيا، أمّا في الآخرة فلقوله تعالى في سورة يونس:{ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ}﴿٤﴾ ويبدئ ويعيد في الآخرة والدنيا معا لقوله تعالى في سورة الروم:{ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ} في الآخرة{ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} في تكرار إعادة الخلق{ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}﴿٢٧﴾.

ويبدئ ويعيد في الدنيا لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ} بأعينهم{ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ} مرارًا وتكرارًا في الدنيا{ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ}﴿١٩﴾ ولقوله تعالى في سورة الروم:{ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ} مرارًا وتكرارًا في الدنيا{ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ}﴿١١﴾ كإعادة خلق الإنسان من زوجين من آدم إلى الأجل المسمى عنده تعالى، ويبدئ ويعيد من تناسل الحيوان والحشرات وما في البر والبحر والنبات والثمار والمطر والسحاب لقوله تعالى في سورة الطارق:{ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ}﴿١١﴾ أي المطر المتكرر نزوله، وكذلك النجوم والكواكب تفنى ويولد غيرها من جديد، ليرى النّاس بديع خلقه تعالى.

{ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ} لمن ضلّ أو أعرض أو عصى أو طغى أو تجبر ثم تاب وأناب قبل أن تبلغ الروح الحلقوم أو قيام الساعة، وهو تعالى{ ٱلۡوَدُودُ} المتودد المتحبب لخلقه بكثرة نعمه، قابل التوب، الرؤوف الرحمن الرحيم، الحليم على العصاة، الذي لا يعاجل بالعقوبة ويعفو عن الكثير وإن عظمت لقوله تعالى في سورة الزمر:{ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ}﴿٥٣﴾ الحاضّ الوازع على فعل الخير، الماقت المبغض للشّر، يضاعف الحسنات إلى سبعمئة ضعف والسيئة بمثلها، وإذا همّ العبد بحسنة فعملها كتبت له عشرًا، ويضاعفها إلى ما يشاء إذا عملها، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها كتبت حسنة، المنعم على عباده مؤمنهم وكافرهم بِنِعم لا تعد ولا تحصى، عظيم الإحسان{ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ} العظيم لقوله تعالى في سورة النمل:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ}﴿٢٦﴾.

وكان ﷺ يدعو عند الكرب برب العرش العظيم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: كان النبيّ ﷺ يدعو عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض، ورب العرش العظيم".

وهو تعالى{ ٱلۡمَجِيدُ} ذو المجد والرفعة والعلو والخلود، ذو المروءة والشرف والسخاء وكريم الفعال، المُخلِّص من النوائب والعقبات، المغيث من المهالك، المُعَظَّم المحمود على كل حال، الذي اقترن شرفه بحسن فِعاله، الجليل الوهاب الكريم، الذي لا يبلى ولا يزول سبحانه لما ورد في قاموس لسان العرب وغيره.

وهو تعالى:{ فَعَّالٌ} لا يعجزه ولا يمتنع عليه شيء{ لِّمَا يُرِيدُ} ولا تأخذه سِنة ولا غفلة ولا نوم، ولا يشغله شيء عن شيء{ هَلۡ أَتَىٰكَ} ووصل لعلمك{ حَدِيثُ} وخبر{ ٱلۡجُنُودِ} المهلكين{ فِرۡعَوۡنَ} الذي قال أنا ربكم الأعلى{ وَثَمُودَ} وغيرهم{ بَلِ} الحق والحقيقة إنّ{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} الممتنعين عن الإيمان عصيانا وعنادًا{ فِي تَكۡذِيبٖ} وغرور واستكبار وعتو ونفور مستمر لا ينقطع{ وَٱللَّهُ} تعالى{ مِن وَرَآئِهِم} يحصي أعمالهم وبهم{ مُّحِيطُۢ} قادر عليهم لا يغيب عنه منهم شيء بالليل والنهار{ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ} خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد و{ فِي لَوۡحٖ} تَلوُح وتظهر وتبين فيه أخبار كل شيء على حقيقتها{ مَّحۡفُوظِۭ} عند الله تعالى لا يمسه أحد من خلقه.

الخلاصة: –

يؤكد تعالى بأنّ بطشه لشديد، وإنّه يبدئ الخلق ويعيد، وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعّال لما يريد، ثمّ يضرب المثل لبطشه بفرعون وثمود وما حلّ بهم، بل الذين كفروا في تكذيب مستمر، والله من ورائهم مُحصٍ ومحيط، بل الحقيقة إنه لقرآن مجيد، في لوحٍ محفوظ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الطارق ترتيبها (٨٦) آياتها (١٧)

(١–١٠) القسم بأنّ كل نفس إلّا وعليها حافظ وإنه تعالى على رجعهم أحياء لقادر.

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠

يقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ} والطارق هو كلّ آتٍ ليلا أو نهارا، وسُمي طارقًا لأنّ ذا الحاجة يطرق الباب لحاجته{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} المقصود بـ{ ٱلطَّارِقُ}؟ ثمّ عرّف الله تعالى الطارق قائلا:{ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ} أي المضيء المنير اللامع المتألق الذي يطلع على الأرض ويراه النّاس، أو النجم ذو الطَرق المستمر.

وجواب ما أقسم الله تعالى به{ إِن كُلُّ نَفۡسٖ} مكلّفة من إنس أو جنّ{ لَّمَّا} وإلّا{ عَلَيۡهَا حَافِظٞ} في الدنيا يدون أعمالها من يوم التكليف إلى

أجلها المسمّى، فلا يغيب عن الله تعالى مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين لقوله تعالى في سورة يونس:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ}﴿٦١﴾.

فمن شكّ في شيء من ذلك{ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ} عمومًا والمعرض عن هدي الله الممتنع عن الإيمان عنادًا وعصيانًا خصوصًا{ مِمَّ خُلِقَ}؟ فقد{ خُلِقَ مِن مَّآءٍ} الرجل الـ{ دَافِقٍ} و{ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ} للرجل{ وَٱلتَّرَآئِبِ} للمرأة وهي موضع القلادة من الصدر.

ومن ابداع وإعجاز خلقه تعالى أن خلق الإنسان يبدأ من خلية واحدة نصفها من الرجل والنصف الآخر من المرأة، ولا يكون بين الخليتين رفض للنصف الآخر عند اندماج الخليتين في خلية واحدة، ولو تزوج كلا الزوجين من زوج آخر، أمّا إذا أراد أحد الزوجين أن يتبرع بعضو منه للآخر فكثيرا ما يكون الرفض بينهما، ولو قبل الجسم العضو المتبرع به لاحتاج لتناول الكثير من الأدوية لمنع ذلك الرفض طيلة الحياة.

ومن فرط إبداع خلق الله تعالى أنّه يمكن التأكد من نسب ذلك المولود لهما أو لأحدهما من عدمه، في حين أنّ المولود الجديد قد لا يقبل نقل عضو له لا من أبيه ولا من أمه ولا من إخوانه أو أخواته رغم أنّ الخلية الأولى من نفس الأبوين؛ إلا بمواصفات، فإذا علمتم ذلك فأيقنوا وآمنوا بـ{ إِنَّهُۥ} تعالى{ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ} حيًّا مرة أخرى{ لَقَادِرٞ} لا يعجزه شيء{ يَوۡمَ تُبۡلَى} وتفتضح وتمتحن وتوزن{ ٱلسَّرَآئِرُ} عندها{ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ} تنفعه أو تمنعه أو تحجبه{ وَلَا نَاصِرٖ} ينصره مما ينزل به من العذاب.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالطارق النجم الثاقب، وجواب القسم بأن كلّ نفس إلّا عليها حافظ، ودليله أن ينظر الإنسان مم خلق، لقد خلقه من ماء دافق، يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، فإنّه تعالى على رجعه حيًا مرة أخرى لقادر.

(١١-١٧) القسم بأنّ القرآن قول فصل وليس بالهزل وأنّ كيد الله تعالى متين.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾

ثمّ يقسم الله تعالى قائلا{ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ} وسمّيت السماء بذات الرجع لتكرر نزول المطر من السماء، أي تعيد وتُرجع السماء إلى الأرض ما عرج إليها من سحاب بُخار البحار، ويقسم تعالى قائلًا:{ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ} وهي الصفة الأرض التي خلقت عليه، والصدع هو الشق والفطر والفلق في الشيء الصلب كقوله تعالى في سورة الحشر:{ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ}۝٢١.

وجواب القسم{ إِنَّهُۥ} أي القرآن العزيز المنزّل للناس{ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ} بين الحق الذي جاء من عند الله تعالى من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وبين كل شرع مخالف لشرع الله تعالى وهو الباطل{ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ} ولا للهو واللعب لقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ}۝١٦ فالله تعالى هو الحق، والملائكة حق،

والنبيون حق، والبرزخ حق، والبعث حق، والحساب حق، والصراط حق، والجنة للمؤمنين حق، والنار لمن كفر حق.

ثمّ أكد الله تعالى قائلا:{ إِنَّهُمْ} أي أعداء الدين{ يَكِيدُونَ} لله تعالى ولدينه ولرسله وللمؤمنين{ كَيْدًا} خبيثا دنيئًا كقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ}﴿٤٦﴾ الرواسي{ وَأَكِيدُ} لهم على غراره{ كَيْدًا} متينا شديدا محكما لا يُفلت منه كقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ}﴿١٨٣﴾ ثمّ قال تعالى:{ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ} وأنظرهم لترى سنن الله تعالى تمضي فيهم كما مضت في أمثالهم فـ{ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا} لا عجلة فيه.

فسنن الله تعالى قائمة لا تتخلف عن أحد وستظل العقوبات تنزل على الذين كفروا أو تحل قريبا من دارهم حتى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

الخلاصة: -

القسم بأنّ القرآن قول فصل وليس بالهزل وأنّ كيد الله تعالى متين لا يفلت منه، فمهِّل الكافرين أمهلهم رويدًا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الأعلى ترتيبها (٨٧) آياتها (١٩)

(١-٨) الأمر بتسبيح الله تعالى والتذكير بشيء من خلقه وتيسير اليسرى لنبيه ﷺ.

سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨

أمر الله تعالى الرسل والأنبياء والمؤمنين بتسبيحه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الشرك والنقائص تنزيها يليق بعظمته سبحانه فقال:{ سَبِّحِ} وقدّس ونزه وكبر وعظِّم{ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى} المتعالي عن كل نقيصة كما يسبح له كلّ شيء لقوله تعالى في سورة الإسراء:{... وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ...} فهو تعالى{ ٱلَّذِي} من نِعمه وعظمته وكبريائه{ خَلَقَ} كل ما في الكون بإبداع وإتقان{ فَسَوَّىٰ} مخلوقاته المرئية للنّاس وغير المرئية على صورها التي هي عليها في الكون{ وَ} هو تعالى الذي من إبداع خلقه وإحسان تدبيره{ ٱلَّذِي قَدَّرَ} كلّ شيء في الكون تقديرًا

متكاملًا رائعًا مذهلًا وبموازين ومقادير دقيقة محكمة لقوله تعالى في سورة الفرقان:{... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا}﴿٢﴾ وكما قال تعالى في سورة فصلت:{ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ}﴿١٠﴾ وغير ذلك.

ولم يترك سبحانه وتعالى شيئًا إلّا{ فَهَدَىٰ} أي أعطى كلّ شيء في الوجود خَلقه وصورته وخواصّه ثم هداه للقيام بوظائفه على أحسن صورة لقوله تعالى في سورة طه على لسان نبيه موسى (عس):{ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ}﴿٥٠﴾ كما خلق وهدى النحل لصناعة العسل كما قال تعالى في سورة النحل:{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}﴿٦٩﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَٱلَّذِيٓ} من رحمته بخلقه{ أَخْرَجَ} وأنبت{ ٱلْمَرْعَىٰ} للأنعام والدواب والطيور وغيرها{ فَجَعَلَهُۥ} بعد الخضرة والنضارة{ غُثَآءً} جافًا يابسًا ذابلًا هشيمًا{ أَحْوَىٰ} ضامرًا شاحب اللون، ثمّ جاءت البشارة لنبيّه ﷺ قائلًا:{ سَنُقْرِئُكَ} القرآن العزيز والذكر الحكيم{ فَلَا تَنسَىٰٓ} وأخذ العهد على نفسه العلية أن يحفظه من التحريف لقوله تعالى في سورة

الحجر:{ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}﴿٩﴾ لكي لا يعتريه التحريف كما حرّف أهل الكتاب كتبهم.

ثمّ قال تعالى:{ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ} أن ينسيه أو ينسخه ويأتي بأحسن منه كما قال تعالى في سورة البقرة:{ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ}﴿١٠٦﴾ كما نسخ الله تعالى كثير من أحكام الكتب السابقة بأحكام القرآن العزيز ليحفف الأحكام التي كانت عليهم والذي هو خير منه{ إِنَّهُۥ} سبحانه وتعالى{ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ} من الأقوال والأفعال أو تتحدث به النفوس.

ثمّ بشّر الله تعالى نبيّه ﷺ قائلًا:{ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ } في الأحكام والتشريع كما قال تعالى في سورة البقرة:{... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ...}﴿١٨٥﴾ ولو شاء لشدد عليكم كما قال تعالى في سورة البقرة:{... وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}﴿٢٢٠﴾.

ومن النماذج التي تثبت مبدأ تيسير الأحكام والتشريعات ما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت، قال: وما شأنك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟

قال: لا أجد، فأُتيَ النبيّ ﷺ بعرق(تمر) فيه تمر فقال: خذ هذا فتصدق به، فقال: أعلى أفقر منا؟ ما بين لابتيها(حرّتي المدينة) أفقر منا، ثم قال: خذه فأطعمه أهلك" فبعد أن كانت الكفارة عليه صارت له لشدة فقره، وهذا من تيسير التشريع وحكمته.

الخلاصة: -

الأمر بتسبيح الله تعالى كما يسبح كلّ شيء، الذي خلق وقدّر فهدى، وأخرج المرعى، وأقرأ رسوله ﷺ فلا ينسى، إلّا ما شاء الله، إنّه يعلم الجهر وما يخفى، وسييسره لليسرى.

(٩-١٩) الجزم بأنّ الأشقى لا تنفعه الذكرى وبيان أنّ هدي هذه السورة كان في صحف إبراهيم وموسى.

{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ١١
ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن
تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ} ١٩

قال تعالى:{ فَذَكِّرۡ} الناس بما أنزل الله تعالى من القرآن والقصص والعبر والسنن في خلقه{ إِن نَّفَعَتِ} فيهم ومعهم{ ٱلذِّكۡرَىٰ} واعلم أنّه{ سَيَذَّكَّرُ} ويعتبر{ مَن يَخۡشَىٰ} الله تعالى كأولي الألباب لقوله تعالى في سورة الرعد:{... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}﴿١٩﴾ ويستغفر ويتوب{ وَيَتَجَنَّبُهَا} المعرض عن هدي الله تعالى ودينه عنادًا وعصيانًا، وهو{ ٱلۡأَشۡقَى} في الدنيا والآخرة، و{ ٱلَّذِي يَصۡلَى} ويكابد ويقاسي{ ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ} التي وقودها النّاس الحجارة{ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ} حياة طيبة.

ثمّ أكد تعالى قائلًا:{ قَدۡ أَفۡلَحَ} وفاز وربح ونجى في الدنيا والآخرة{ مَن تَزَكَّىٰ} وترقى بأخلاقه وعباداته كأنه يراه، وتزكى بماله زكاةً أو صدقة لإقامة المجتمع الأمثل الذي يريده الله تعالى للناس، ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته{ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ} بتدبر القرآن، وتذكر الله تعالى في كلّ أعماله، وجعل لسانه رطبًا بذكر الله تعالى واتقى{ فَصَلَّىٰ} وأقام دين الله تعالى وشرائعه وأحكامه{ بَلۡ} الحقيقة إنّكم{ تُؤۡثِرُونَ} وتفضلون مصلحة{ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا} القصيرة الأجل{ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ } خالدين فيها أبدًا{ إِنَّ هَٰذَا} الهدي والذكر{ لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ } للمرسلين كـ{ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ}.

ولما ورد في سنن الإمام النسائي الكبرى عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: لما نزلت" سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله ﷺ:" كلّها في صحف إبراهيم وموسى" تصديقا لقوله تعالى{ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} وورد في معرفة السنن والآثار للإمام البيهقي عن عقبة بن عامر (رلع) قال: لما نزلت" فسبح باسم ربك العظيم" قال رسول الله ﷺ:" اجعلوها في ركوعكم"، فلما نزلت" سبح اسم ربك الأعلى" قال" اجعلوها في سجودكم".

الخلاصة: -

الجزم بأنّ الأشقى لا تنفعه الذكرى وبيان أنّ هدي هذه السورة كان في صحف إبراهيم وموسى وأنّ المعرضين يؤثرون الحياة الدنيا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الغاشية ترتيبها (٨٨) آياتها (٢٦)

(١-١٦) التحذير من هول الغاشية وبيان أحوال الناس فيها.

**هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣
تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن
ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا
رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢
فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ
مَبۡثُوثَةٌ ١٦**

يقول تعالى:{ هَلۡ أَتَىٰكَ} وهل وصل إلى علمك وعلمهم{ حَدِيثُ} وخبر{ ٱلۡغَٰشِيَةِ} والقارعة والحاقة والصاخّة التي تغشى الخلائق وتطبق عليهم، والذي تكون فيه{ وُجُوهٞ} كافرة جاحدة معرضة عن دين ربها وعبادته وأخلاقه وشرائعه وأحكامه ومعاملاته، فهي{ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ} ذليلة، وفي الدنيا كانت{ عَامِلَةٞ} في المعاصي متكبرة متعالية متغطرسة{ نَّاصِبَةٞ} مُتعبة مُرهقة مُنهكة في غير ما أمر الله تعالى، فبذنوبها{ تَصۡلَىٰ} في الآخرة وتقاسي وتكابد{ نَارًا} شديد السواد{ حَامِيَةٗ} وتُروى{ تُسۡقَىٰ مِنۡ

عَيۡنٍ ءَانِيَةٍ} في منتهى حرّها{ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ} فيها{ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ} راسخ مغروس لا يقتلع، يرعونه كالدواب في ذُلّ ومهانة.

فلمّا قال المشركون: إنّ إبلنا تسمن من الضريع كما جاء في تفسير البغوي، ثمّ قال تعالى:{ لَّا يُسۡمِنُ} ولا يغذّي ولا يجدي ولا يجزي{ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٍ} اللهم أجرنا من عذاب النار ومن السعير ومن يحموم ومن الضريع ومن صديد أهل النّار آمين.

وبضدها وخلافها{ وُجُوهٌ} مؤمنة موقنة محسنة عابدة متخلّقة بأخلاق الإسلام وبقيمه فهي{ يَوۡمَئِذٍ} مغمورة في نعماء، فهي{ نَّاعِمَةٌ} تجري عليها نضارة النعيم{ لِّسَعۡيِهَا} وصنيعها وأفعالها وكسبها في الدنيا{ رَاضِيَةٌ} فهي{ فِي جَنَّةٍ} رفيعة شريفة سامية{ عَالِيَةٍ} طيبة هنيئة{ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا} لغو{ لَٰغِيَةً} لهم{ فِيهَا عَيۡنٌ جَارِيَةٌ} لا تنضب{ فِيهَا سُرُرٌ} عالية{ مَّرۡفُوعَةٌ} مطهرة من الخيانة، هينة ليّنة ناعمة، ذات قَدرٍ عالية عن مساوئ الأخلاق، رشحهم المسك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون{ وَأَكۡوَابٌ} لا عروة لها من ذهب مصفوفة، وبأشربتها{ مَّوۡضُوعَةٌ} كما جاء في تفسير الثعالبي{ وَنَمَارِقُ} ووسائد كثيرة وثيرة{ مَصۡفُوفَةٌ} زاهية مُبهِرة{ وَزَرَابِيُّ} وبُسُط كثيرة مريحة{ مَبۡثُوثَةٌ} ومنشورة في نواحي الجنان.

الخلاصة: –

- التحذير من أهوال الغاشية وبيان أحوال الناس فيها وجوه تصلى نارٌ حامية، وتسقى من عين حارة آنية، وليس لهم طعام إلّا من شوك خبيث، لا يسمن ولا يغني من جوع، ووجوهٌ يومئذٍ ناعمة، لسعيها راضية، في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، قطوفها دانية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة.

(١٧–٢٦) التدليل ببعض آيات الله تعالى والأمر بتذكير الناس.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨
وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ
أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ
ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦

ثمّ يقول تعالى:{ أَفَلَا} ينظر النّاس والمعرضون عن هدي الله تعالى إلى عظمة وابداع خلق الله تعالى في هذا الكون ليتضح لهم أنّ الله تعالى هو الخلّاق العليم بحاجاتهم، وخلق الإبل لقضاء مصالحهم كما قال تعالى:{ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ} لحمل أثقالهم كما قال تعالى في سورة النحل:{ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ

ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ}٧ فمن إبداع خلقه تعالى في خلق الإبل كما ذكر في الموسوعة الحرّة: -

١- أن جعل الإبل تعيش أسبوعين كاملين أو أكثر دون الحاجة إلى أكل أو شرب.

٢- أمدها الله تعالى بقوائم طويلة تعينها على سرعة المشي مغطاة بالوبر لتتحمّل أذى الأتربة في الريح الشديد، ولسلامة راكبها من أذى الأتربة.

٣- للإبل القدرة على تحمّل العطش حتى لو فقدت ربع وزنها من الماء، في حين أنّ بقية الحيوانات تموت إذا فقدت نصف تلك النسبة.

٤- وهب الله تعالى الإبل خفافًا عريضة لا تغوص في الرمال، وزودها بوسائد تسمح لها بالسير بأحمالها دون تعب بحمولة ستين صاعًا والذي يقارب مئة وثمانين كيلوجرام، وصدق رسول الله ﷺ حين قال عن الإبل:" دعها فإن معها سقائها وحذائها" لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن يزيد مولى المنبعث أنه سمع زيد بن خالد (رلع) يقول سئل النبي ﷺ عن اللقطة فزعم أنه قال إعرف عفاصها(غطائها) ووكاء ها(حبل يربط به الناقة) ثم عرفها سنة"

يقول يزيد إن لم تعرف استنفق بها صاحبها وكانت وديعة عنده قال يحيى فهذا الذي لا أدري أفي حديث رسول الله ﷺ أم هو أم شيء من عنده" ثم قال كيف ترى في ضالة الغنم قال النبي ﷺ وسلم خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب قال يزيد وهي تعرف أيضا ثم قال كيف ترى في ضالة الإبل قال فقال دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها. ذكره الإمام مسلم في صحيحه والإمام البيهقي في سننه والإمام الدارقطني في سننه.

٥- أمدّ الله تعالى الإبل بسنام لتخزين الدهون، التي تتحول إلى الطاقة المطلوبة للحمل والسفر الطويل دون أكل أو شرب.

٦- أمد الله تعالى الإبل بجلد ووبر غليظ عازل عن الحرارة يعينها على تحمّل الحرارة في الصيف والبرد في الشتاء والجلوس في الصحراء دون أذى.

٧- منح الله تعالى الإبل أجهزة تستفيد من بخار الماء الناتج من احتراق الدهون للمحافظة على ما تخزنه من الماء.

٨- رغم الطاقة الكبيرة المستهلكة في السير إلّا أنّ الإبل لا تلهث ولا تعرق إلّا نادرا بسبب قلة استهلاك الماء.

٩- جعل الله تعالى الإبل لا تتأثر بضربة الشمس بسبب أنّ الدم المتجه إلى مخ الإبل يمر خلال الجيوب الأنفية والتي تعمل على تبريده قبل أن يغذي المخ.

١٠- الإبل هي الحيوان الوحيد الذي يحمّل بالأثقال وهو جالس ويقف به، ويبرك بتلك الأثقال.

١١- كما منح الله تعالى الإبل آذانًا صغيرة مغطاة بالشعر ليقيها أذى الرمال في الصحراء، ومنخرين يستطيع إغلاقهما عند الحاجة لمنع وصول الأتربة إلى الرئة، ورموش مزدوجة لتحميها من أذى الرياح وما تحمله من أتربة كما وهبها تعالى خاصية المحافظة على درجة حرارة أجسامها دون أن تفقد الكثير من الماء المُخزّن في أجسامها.

١٢- يمكن حلب الإبل لمدة عامًا كاملًا مرتين في اليوم، ويصل انتاج الواحدة منها إلى عشرة كيلوجرام أو يزيد قليلًا.

١٣- ألبان الإبل ولحومها قليلة الدهون وذات قيمة غذائية عالية كون الدهون تخزن في السّنام.

١٤- تحتوي ألبان الإبل على كمية كبيرة من الماء لا تقل عن ثمانين(٨٠٪) في المئة وهو ضروري لصغارها ومن يستفيد منها.

١٥- يحتوى لبن الإبل على اللاكتوز(سكر اللبن) والذي يظل دون تغيير لفترة منذ الشهر الأول من الولادة.

١٦- سكر اللبن في لبن الإبل مليّن للباطن ومدّر للبول، ومنضبط طول مدة إدرار اللبن.

١٧- نسبة الماء في الإبل شبه ثابتة في كل من الإبل العطشى أو الإبل المرتوية.

١٨- أبوال الإبل تستخدم في علاج بعض الأمراض.

وذكر في الموسوعة الحرة" وقد عرفت كثير من خواص الإبل الفريدة أثناء الجفاف الذي أصاب كينيا في أفريقيا وما جاورها عامي ١٩٨٤م ١٩٨٥م والذي هلكت فيه كل الأبقار وقاومت الإبل تلك المجاعة واستمر انتاجها الجيد للبن، والذي أدى للاهتمام بالإبل ودراستها لاكتشاف هبات الله تعالى في ذلك الحيوان الذي سخره الله تعالى لسد حاجة الإنسان، والتعرف على آيات الله تعالى الخفية" والتي تعمق الإيمان ببديع خلق الله تعالى وعظيم صنعه، وأهمية هذه الأبحاث أنّها تحقق التوافق والانسجام بين الحقائق العلمية وبين ما أخبر الله تعالى به في قرآنه العزيز من إبداع خلقه تعالى.

ثم أمر الله تعالى بالنّظر إلى كيفية رفع السماء عن الأرض فقال سبحانه:{ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ} وبنيت وزيّنت وما لها من فروج، وقد أمر الله تعالى بالتدبر في كيفية بدء خلق السماوات والأرض كما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}﴿٢٠﴾.

وفي هذه الآية دلالة على أنّ الله تعالى أودع في الأرض ما يمكن التّعرف به على كيفية بدأ خلق، ولذلك نظر الإنسان في هذا الكون، فنزل على القمر وزار بعض الكواكب القريبة كالمريخ وأخذ عينات منها ليتعرف على مواد تكوينها مقارنة بمواد تكوين الأرض، حتى تبيّن أنّ مادة الكون واحدة متجانسة، ثمّ بين تعالى أنها تفتقت كما قال تعالى في سورة الأنبياء:{ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ}﴿٣٠﴾ قد أشار تعالى إلى رفع السماء عن الأرض في قوله تعالى في سورة الرحمن:{ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ}﴿٧﴾ كما وأشار تعالى إلى أنّ السماوات والأرض كانت دخان بعد تفتقهما، ومن ذلك الدخان تكونت السماوات والأرض كما قال تعالى في سورة فصلت:{ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ}﴿١١﴾ ولربما هو الانفجار

العظيم الذي تتحدث عنه نظرية الكون الحديثة، كما وأيدت الأبحاث العلمية الدقيقة في الموسوعة الحرّة أنّ الكون متجانس الخواص كما يُرى من طبيعة الأرض.

وقد تم التحقق من صحة المبدأ الكوني(وهو قياس زمني لقياس مراحل تكوين الكون) عبر رصد الخلفية الإشعاعية للكون" وتم التحقق بأنّ مادته أو عناصره الأولية واحدة"، وتم قياس تجانس الكون على مقاييس أكبر، وسرعان ما اكتشف أن تقريبًا جميع تلك السُدُوم كانت منحسرة عن الأرض، واستدلوا على فرضية الانفجار العظيم بتمدد الكون المستمر حتى اليوم، والذي أخبر الله تعالى عنه من قبل في كتابه العزيز حيث يقول في سورة الذاريات:{ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}﴿٤٧﴾ وهذا التوسع الكوني أصبح اليوم حقيقة علمية ثابتة.

ثمّ قال تعالى:{ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ} وفيه إشارة إلى عظيم تدبيره تعالى في خلقه، أي كيف رفعت وأقيمت شامخة، وفيه دلالة على أنّ الأرض كانت منبسطة قبل ذلك ثم نصب الله تعالى الجبال عليها كما قال تعالى في سورة فصّلت{ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ}﴿١٠﴾.

وجعل الله تعالى الجبال أوتادًا كما قال تعالى في سورة النبأ:{ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا} ۝٧ لترسو قشرة الأرض كما ترسو السُفن في البحر كما قال في سورة النازعات:{ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ}۝٣٣ وللجبال وظيفة أخرى في توجيه الرياح على الأرض.

ثمّ قال تعالى: { وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ} ليسهل السير عليها، ودحيت وكورت كما قال تعالى في سورة النازعات:{ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ}۝٣٠ ومن ابداع خلق الله تعالى للأرض أن جعل لها غلاف جوّي يحميها من شدة الحرارة والبرودة، فالقمر على سبيل المثال خلقه الله تعالى بلا غلاف جوّي، وحرارة الوجه المقابل للشمس مائة وعشر(١١٠) درجة مئوية، أمّا الوجه غير المقابل للشمس فدرجة حرارته ناقص مائة وعشر(- ١١٠) درجة مئوية تحت الصفر، فلا يمكن للإنسان أن يعيش على القمر مطلقا رغم قربه الشديد من الأرض، وجعل سبحانه في الأرض الأشجار والأرزاق وكلّ ما يحتاجه الناس للعيش فيها، بخلاف الكواكب الأخرى والتي لا حياة للإنسان عليها.

ثمّ قال تعالى:{ فَذَكِّرۡ} بكل تلك النعم الدّالة على بديع صنعه تعالى في خلق السماء بغير عمد ورفعها، وإلى الإبل كيف خلقت، وإلى الجبال

كيف نصبت وأنشئت وأوتدت، وإلى الأرض كيف أعدّت ومهدّت وسطحت{ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ} وبشير ونذير{ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ} ولا وكيل{ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ} عن هدي الله تعالى وأعرض{ وَكَفَرَ} وطغى واستكبر فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ} في الآخرة، ثمّ يؤكد الله تعالى قائلا:{ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ} ومرجعهم{ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم} لا نخطئ أحدا منهم.

الخلاصة: -

يدلل الله تعالى بخلق الإبل والجبال والأرض، وأنّ الهداية له تعالى، وأنّ من تولّى وكفر يعذبه الله العذاب الأكبر، وأنّ إلى الله الإياب والحساب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفجر ترتيبها (٨٩) آياتها (٣٠)

(١-١٤) القسم بمعاقبة المكذبين في الدنيا قبل الآخرة.

وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي
ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ
۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩
وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢
فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤

يقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلۡفَجۡرِ} ليوم جديد، وعلى عمل النّاس شهيد، وخِلفَةً للتّائبين والمنيبين، والفجر الذي أقسم الله تعالى به هو من بديع خلق الله تعالى وعظيم صنعه، فإنّ الله تعالى أعدّ الأرض اعدادًا غير عاديً للحياة عليها، وامتد إعدادها أربعة أيام من أيّام الخلق كما قال تعالى في سورة فصلت:{ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ}۝١٠ من النّاس والحيوان والنبات.

ثم يقسم الله تعالى قائلا:{ وَلَيَالٍ عَشْرٍ} وهي العشر الأُوَل من شهر ذي الحجة لما ورد في سنن النسائي الكبرى ومسند الإمام أحمد بن حنبل بصيغ عن جابر بن عبدالله- رضي الله عنهما- عن النبيّ ﷺ قال:" إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة(المفرد) والشفع يوم النحر، والليالي العشر من الأيام العظيمة عند الله تعالى لما ورد في مسند الإمام أحمد ابن حنبل وغيره بصيغ عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبيّ ﷺ قال:" ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد".

وأقسم تعالى قائلًا:{ وَٱلشَّفْعِ} وهو يوم النحر، ثمّ أقسم بـ{ وَٱلْوَتْرِ} وهو يوم عرفة، وأقسم تعالى قائلا:{ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} ويمضي بيسر وسهوله وهون ليحل محل النهار لتستريح فيه النّفوس من العناء والكدّ والتّعب، ثمّ استفهم الله تعالى قائلا:{ هَلْ فِي ذَٰلِكَ} أي كل ما أقسم الله تعالى به{ قَسَمٌ} وشهادةٌ{ لِّذِى حِجْرٍ} وذي عقل ولب يمنعه من المكابرة؟

ثمّ قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ} بسننه الخالدة وجزاءاته في الدنيا{ بِعَادٍ} الأقوياء الضخام الطوال الشداد الذين كذّبوا الرّسل فأهلكهم الله تعالى كما قال في سورة الحاقة:{ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ

كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ}۝٨ وقوم عاد هم أهل{ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ} الضخام الطوال{ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ} أي في الأرض.

ثمّ قال:{ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ} أي ألم تر كيف فعل ربك بسننه التي لا تتخلف عن أحد بثمود الذين قطّعوا الصخر وبنوها قصورًا بالواد كما قال تعالى في سورة الأعراف:{... تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ}۝٧٤.

ثمّ قال تعالى:{ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ} أي ألم تر كيف فعل ربك بسننه وعقوباته بفرعون ذي الأوتاد؟ ذو السلطان والجبروت، وقيل الأوتاد هي التي كان يعذّب بها المكذبين له بربطهم وشدهم حتى الموت{ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ} وآذوا ونكّلوا بالعباد{ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ} بطشًا وطغيانًا{ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ} أنواعٍ وأصنافٍ من{ عَذَابٍ} وحلت عليهم لعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة كما حلّت بقوم هود في قوله تعالى في سورة هود:{ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدًا لِّعَادٍ قَوۡمِ هُودٍ}۝٦٠ وفي إهلاك الله تعالى لتلك الحضارات البائدة وعيد لكل الحضارات القائمة الكافرة بالله تعالى إلى يوم القيامة مهما ارتقت حضاراتها، وبشارة للمؤمنين بالنصر المبين لقوله تعالى في سورة

الأنبياء:{ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ}﴿٤٤﴾.

وجواب ما أقسم الله تعالى به{ إِنَّ رَبَّكَ} دائما وأبدا{ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ} لإقامة سننه وجزاءاته في النّاس كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ولقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ}﴿٣١﴾.

الخلاصة: -

القسم بمعاقبة المكذبين في الدنيا قبل الآخرة كما فعل بعاد وثمود وفرعون، الذين طغوا في البلاد، فصب عليهم ربّك سوط عذاب، وإنّ ربّك دائمًا وأبدًا بالمرصاد لكل الحضارات الكافرة إلى يوم الدين.

(١٥-٢٠) تأكيد أنّ الفقر والغنى امتحان وابتلاء والاستنكار على غفلة الإنسان.

فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾
وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا

تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

يؤكد الله تعالى قائلًا:{ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ} ليختبره ويمتحنه{ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ} وبسط له رزقه وجعله في طيبٍ من العيش ليرى صنيعه{ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ} ورفع شأني لحسن سيرتي وفعالي ولكرامتي عند ربي{ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ} تعالى وأراد امتحانه{ فَقَدَرَ} وقتر وشح{ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ} ليرى صبره ويقينه{ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ} بتقتير رزقي{ كَلَّاۖ } فليس الأمر كذلك{ بَل} أنّكم{ لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ} إن أغناكم الله تعالى{ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ} ولا تتواصون{ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ} والفقير، فمقاصد شرائع الإسلام إقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض كرعاية المساكين وأهل الحاجة من النّاس، وهذه السِّمة من السمات التي عرفت بها المجتمعات المسلمة الملتزمة بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ أينما كانوا، واتصفت تلك المجتمعات بأنها أكثر أمنًا وسلامًا من غيرها.

ثمّ قال تعالى:{ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ} من ميراث اليتامى وأموال الناس وتلمّونه إلى أموالكم{ أَكْلًا لَّمًّا} شنيعًا بغير حق{ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ} من كلّ وجه{ حُبًّا جَمًّا} عظيمًا مفرطًا، فليست الغاية من الإكرام أو التقتير في الدنيا كما ظننتم، بل هو اختبار وامتحان كما قال تعالى في سورة

الأنبياء:{... وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ}٣٥ ليتبيّن أيّكم أحسن عملًا فقد أفلح من زكّاها في الدنيا والآخرة وقد خاب من دسّاها في الدنيا والآخرة.

الخلاصة: -

تأكيد أنّ الفقر والغنى امتحان وابتلاء والاستنكار على غفلة الإنسان، وكان الأولى إكرام اليتم، والحض على طعام المسكين، والعناية بأموال اليتيم، أكلًا لمًّا، وتحبون المال حبًا جمًّا.

(٢١-٣٠) الأمر بالاستعداد ليوم الحساب.

كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢
وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ
وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ
مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠

ثمّ قال تعالى:{ كَلَّآۖ} ففي الآخرة يكون الأمر أشدّ من ذلك{ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا} شديدًا و{ دَكّٗا} عظيمًا{ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ} جاهزون متأهبون مستعدون{ صَفّٗا صَفّٗا} لتنفيذ أمر ربّهم دون{ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ} في

ذلك اليوم العظيم{ بِجَهَنَّمَۚ} لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" إلى المحشر كما جاء في صحيح الإمام مسلم وسنن الإمام الترمذي عن عبدالله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها".

ف{ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ} النافعة المُنجية، عندها{ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ} عملًا صالحًا{ لِحَيَاتِي} الخالدة{ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ} الله تعالى بـ{ عَذَابَهُۥٓ} النّازل به{ أَحَدٞ} غيره وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ} بالحجج والبراهين الثابتة في صحفه{ أَحَدٞ} سواه، فكل إنسان مسؤول مسؤولية تامّة عن سعادته وشقائه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا}١٤.

فكلّ إنسان مرهون ومأسور بما قدمت وكسبت يداه ف{ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ} بعيشها في الدنيا{ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ} اليوم نادمة تائبة قبل الخسران المبين وكوني{ رَاضِيَةٗ} بدين الله تعالى وتشريعه عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا لتكوني{ مَّرۡضِيَّةٗ} يوم العرض والحساب والجزاء ويقال لها:{

{فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي} أي الصالحين المصلحين المتبعين لنوري وهدي{ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي} جنة النعيم.

الخلاصة: –

الأمر بالاستعداد ليوم الحساب، يوم يتذكر الإنسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فيا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى بك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي قبل فوات الأوان.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البلد ترتيبها (٩٠) آياتها (٢٠)

(١-١٠) القسم بحرمة مكّة المكرّمة وأنّ الإنسان خلق في كبد ونصب.

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠

يُقسم تعالى قائلا:{ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ} والمعنى أقسم بهذا البلد لوجود جواب القسم، أي بل أقسم بحرمة هذا البلد- مكة المكرمة- التي حرمها الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن مجاهد أنّ رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال:" إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تُحلَّلَ لي قط إلا ساعة من الدهر، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاها(النبات الرقيق ما دام رطبا)، ولا تحلّ لقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن

عبد المطلب: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقين(الحداد) والبيوت، فسكت ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال".

وجواب القسم{ وَأَنتَ حِلُّۢ} بقتال المشركين{ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ} الحرام، كما قال ﷺ ولم تحل لِي إلا ساعة من نهار، ثمّ أقسم الله تعالى قائلا{ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ} أي بكل والد وما ولد إلى يوم القيامة من إنس أو جنّ أو حيوان أو نبات أو غيره، وجواب القسم{ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ} عمومًا والمكابر المعرض عن هدي الله خصوصًا{ فِي كَبَدٍ} ونصب ومشقة وتعب، وذكر في كتاب التحرير والتنوير أنّه" أبو الأشد بن كلدة، وقيل الوليد ابن المغيرة، وقيل هو أبو جهل، وقيل الحارث بن عامر بن نوفل"{ أَيَحۡسَبُ} هذا الإنسان المكابر{ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ} ليعاقبه في الدنيا قبل الآخرة{ يَقُولُ} متبجحًا{ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا} في عداوة محمد ﷺ ودينه وإيذاء المؤمنين.

فعقوبته وأمثاله في الدنيا أن يختم الله تعالى على قلبه ويجعل على سمعه وبصره غشاوة، ليُعميه تعالى عن دينه لأجل ألّا يصل شيء من هدي الله تعالى إلى قلبه لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ} في الدنيا{ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} ٧ في

الآخرة، وهذا الجزاء من اللعن الشديد، فاللعن الأقل أن يصم الله تعالى الآذان ويعمي الأبصار عن هديه لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ}﴿٢٣﴾.

ثمّ قال تعالى{ أَيَحۡسَبُ} أو يظن ذلك المستكبر{ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ} ولم يعلم به{ أَحَدٌ}؟ ثمّ قال تعالى:{ أَلَمۡ نَجۡعَل} ونخلق{ لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ} لينظر ويعتبر بما حلّ بأصحاب الفيل والأمم التي كفرت من قبله{ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ} ينطق بهما{ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ} ليكون إمّا شاكرا وإمّا كفورا؟

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بحرمة مكة المكرّمة، ووالد وما ولد بأنّ الرسول ﷺ حلّ بالقتال في مكّة ساعة واحدة لفتحها، وأنّ الإنسان خلق في كبد ومشقة، وتأكيد أنّ الله تعالى قادر عليه ومقيم سننه فيه، بدليل أن جعل تعالى له عينين، ولسانًا وشفتين، وهداه النجدين ليكون إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا.

(١١–٢٠) التحذير من يوم الحساب والأمر بالإحسان للنجاة من العقبة.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾

وحيث أنّه أقرّ بما خلق الله تعالى له وأصرّ على كفره وعناده{ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ} ولا مناص له إلّا وُلُوج ودخول أهوالها والوقوف بين يدي الله تعالى للحساب{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} عِظم أهوال{ ٱلۡعَقَبَةُ} وهي كما قال تعالى في سورة المعارج:{ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ}۝١٤.

فله ولأمثاله دركات في النّار وأصناف من العذاب، أوّلها بدرجة كفره، والثاني بدرجة عداوته لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، والثالث بمقدار ما أنفق من مال في محاربة دين الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين،

والرابع لحمله السلاح لمقاتلة الرسول ﷺ والمؤمنين، والخامس بمقدار ما حرّض غيره على دين الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، والسادس على حصيلة أعماله السيئة الأخرى في الدنيا كقوله تعالى في سورة الحاقة:{ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ}﴿٣٢﴾ وكقوله تعالى في سورة المدثر:{ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا}﴿١٧﴾ وبضدها يترقى المؤمن في سعادته في الدنيا وفي درجات الجنان في الآخرة.

فمن كان يرجو السلامة من عذاب تلك العقبة فعليه بـ{ فَكُّ} وإعتاق وتحرير{ رَقَبَةٍ} لتخليص البشرية من العبودية التي ورّثتها الجاهلية{ أَوۡ} إن لم يجد فـ{ إِطۡعَٰمٌ} ذي حاجة وبؤس{ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ} وشدة وضيق أو{ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ} وصلة رحم{ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ} وبلوى وفقر{ ثُمَّ كَانَ} عليه قبل ذلك أن يكون{ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} بالله تعالى وتمسكوا بهديه وهدي رسوله ﷺ{ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ} عند الشدائد وعزائم الأمور، وعلى فعل الطاعات والانتهاء عن المعاصي{ وَتَوَاصَوۡاْ} للخلق{ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ} فـ{ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ} والفوز والنجاة{ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا} وشرعنا وهدينا وديننا فأولئك{ هُمۡ أَصۡحَٰبُ} والبؤس والقنوط{ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ} في ذلك اليوم العصيب{ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ} مغلقة مُطبقة.

الخلاصة: -

وجواب القسم فلا بد من اقتحام العقْبة، والوقوف بين يدي الله تعالى للحساب، وسبيل النجاة في ذلك اليوم عِتْقُ رقبة، أو إطعامٌ في يوم ذي شدّة، ليتيمًا ذا مقربة، أو مسكينًا ذا متربة وحاجة، وأن يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، فأولئك أصحاب الميمنة، والذين كفروا بآيات الله تعالى فأولئك أصحاب المشئمة، عليهم نارٌ مؤصدة مغلقة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الشمس ترتيبها (٩١) آياتها (١٥)

(١–١٥) القسم بأنّه أفلح من زكّى نفسه وخاب من دسّاها.

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا}١٥

يقسم الله تعالى بخلق الشمس ويقسم بخلق ضحاها قائلًا:{ وَٱلشَّمۡسِ} ومن المهم أن يعلم المسلم شيئًا عن حقائق هذا الكون، وما يكتشفه علماء التخصص كلٌ في مجاله، ليفهم شيئًا من عظمة خلق هذا الكون، وما أودع الله تعالى فيه من عجائب وأسرار؛ ليعزز إيمانه وثقته بدينه العزيز العظيم، فكما جاء في الموسوعة الحرّة أنّ الشمس هي النجم المركزي للمجموعة الشمسية ويبلغ قطرها مئة وتسعة(١٠٩) ضعف قطر الأرض، ويقدر قطر الشمس بحوالي مليون وثلاث مئة واثنان وتسعون ألف وست

مائة وأربعة وثمانون (١,٣٩٢,٦٨٤) كيلومتر، وهي من مجرة التبانة والتي تحتوي على نحو مئتي(٢٠٠) مليار نجم تقريبا.

ويستغرق وصول ضوء الشمس إلى الأرض ثماني(٨) دقائق تقريبًا، وحرارة سطح الشمس خمسة آلاف وخمسمائة وخمسة(٥٥٠٥) درجة مئوية، ووظيفة الشمس تأمين الحياة والمناخ على الأرض من خلال عملية التمثيل الضوئي للنباتات، ويقول أهل الاختصاص لا يزال الفهم العلمي عن الشمس يتطور مع وجود بعض الحالات الغير مفهومة في سلوك الشمس والتي لا زالت عصية على التفسير والتأويل.

ثمّ يقسم الله تعالى قائلًا:{ وَضُحَىٰهَا} والضحى المرئي على الأرض هو من ابداع خلق الله تعالى في تكوين طبقات الغلاف الجوي ليبدو كما يراه النّاس، ويقسم الله تعالى بالقمر إذا طلع بعد غروب الشمس بدرًا فقال:{ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا} مكتملًا مشرقًا، ويقسم الله تعالى بالنهار قائلًا:{ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا} ووضّحها، أي أنّ النهار يوضّح رؤية الشمس، وذلك لما أودعه الله تعالى من أسرار في تركيبة الغلاف الجوي لتبدو كما نراها.

أمّا النهار فينشأ في الغلاف الجوي فقط، فلا يمتد النهار من الشمس إلى الأرض كما قد يفهم بعض النّاس، ولكن النهار ليس إلّا طبقة رقيقة بالنسبة لقطر الأرض، ولذلك قال تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ

نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}٣٧ وهذا من ابدع خلق الله تعالى، فأشعة الشمس تسير في الفضاء، ولا يكون نهار إلّا إذا دخلت تلك الأشعة الغلاف الجوي فقط، وأقصى ارتفاع للنّهار أربعمائة وثمانون(٤٨٠) كيلومتر فقط عن سطح البحر، والذي ويعادل أربعة من مئة (٠,٠٤%) من قطر الأرض، وفوقه ليل، فالأصل في الكون الليل وليس النهار، ولذلك يتقدم ذكر الليل والظلمات في كثير من الآيات على النهار وعلى النور في القرآن العزيز.

أمّا السماء فهي مظلمة تمامًا يُؤيد ذلك قوله تعالى في سورة النازعات:{ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا}٢٩ وللجاذبية الأرضية أهمية لاستدامة الغلاف الجوي حول الأرض والمحافظة على خصائصه، وذلك من إبداع خلق الله للجاذبيّة، والجاذبية الأرضية، وللغلاف الجوي منافع أخرى كما كتب في الموسوعة الحرّة منها:

- وصول الهواء للمخلوقات الحية على الأرض، ويساهم في توزيع السحب على الأرض، وينظم انتشار الضوء على الأرض، وهو وسط مثالي لجميع الاتصالات بأشكالها.

- يسمح بنفاذ الإشعاعات الحرارية والضوئية والأشعة تحت الحمراء للأرض لتوفير الدفء والحماية، ويمنعها من النفاذ إلى الفضاء الخارجي.

- يحفظ سطح الأرض من دخول الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة والمسببة لكثير من الأمراض.

- يشكل درعًا واقيًا للأرض من النيازك والشهب والتي تتفتت وتحترق عند احتكاكها بالغلاف الجوي عند دخولها.

- ومن أهمية الغلاف الجوي أن يحافظ على حرارة الأرض، ولو انعدم الغلاف الجوي لانتهت الحياة على الأرض ولتجاوزت حرارة الأرض مائتي(٢٠٠) درجة مئوية، ولا أدلّ على ذلك من درجة حرارة القمر القريب من الأرض والذي ليس له غلاف جوّي، فحرارة الوجه المقابل للشمس مائة وعشر(١١٠) درجات مئوية، وحرارة الوجه الآخر ناقص مئة وعشر(-١١٠) درجات مئوية.

ثمّ أقسم الله تعالى بخلق الليل السائد في الكون إذا يغشى الشمس ويعلوها، فتبدو الشمس كنجم عظيم إذا نُظر إليها من خارج الغلاف الجوي محاطة بالظلمة كما نرى النجوم ليلًا فقال تعالى{ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا} فالليل يغشى ويحيط بالشمس من كل جوانبها.

ويقسم الله تعالى بالسماء وما بناها بهذه الصورة العجيبة، ويُعتقد أن هناك مائة وسبعون(١٧٠) مليار مجرة في الكون المنظور، أمّا الكون غير المنظور فلا نعلم عنه شيئا ولذلك قال تعالى:{ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا} بهذه الصورة المعجزة، فكلّ ما يعلمه الإنسان من علم السماء وهو قليلٌ جدًا، وهو عبارة عن ما يصل من ضوء للمراصد الفلكية، وأمّا مالا يصل من ضوء فلا يمكن رؤيته.

فأسرار ما أودعه الله تعالى في خلقه كثيرة جدا لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}﴿٨٥﴾ والعلوم التي أودعها تعالى في خلقه لا تكفي محيطات البحر لكتابته لو كانت حبرًا لقوله تعالى في سورة الكهف:{ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ حتى لو مدّت البحار بسبعة أبحر ولقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}﴿٢٧﴾.

ثمّ يقسم الله تعالى بخلق الأرض بغلافها الجوي وما طحاها وبسطها ومدّها ودحاها للعيش عليها قائلًا:{ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا} ثم يقسم الله تعالى بالنفوس قائلًا:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا} وبرأها وخلقها{ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقۡوَىٰهَا} ليختبرهم ويبتليهم أيهم أحسن عملًا، وجواب القسم قوله تعالى:{ قَدۡ أَفۡلَحَ} وفاز ونجا{ مَن زَكَّىٰهَا} في الدنيا والآخرة بتقواها فأخذ بزمامها ووجّهها إلى هدي ربِّها فأسعدها{ وَقَدۡ خَابَ} وخسر وندم{ مَن دَسَّىٰهَا} وغمسها في المعاصي فأغواها وأشقاها.

ثم يضرب الله تعالى المثل بإقامة سننه تعالى قائلًا:{ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ} بكلِّ ذلك، وهم الذين اتخذوا من سهول الجبال قصورا ونحتوا الجبال بيوتا فارهين{ بِطَغۡوَىٰهَآ} عنادا وتجبرًا واستكبارًا{ إِذِ ٱنۢبَعَثَ} وانتدب{ أَشۡقَىٰهَا} لقتل الناقة ووليدها، ولقد حذّرهم وأنذرهم نبيّهم صالح (عس) عقوبة أذاها أو سقياها كما قال تعالى{ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ} احذروا المساس واتقوا{ نَاقَةَ ٱللَّهِ} التي طلبتموها معجزة لكم لتؤمنوا، واحذروا شِربُها{ وَسُقۡيَٰهَا} والذي كان يوما لثمود ويوما للنّاقة كما قال تعالى في سورة الشعراء:{ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ}﴿١٥٧﴾.

فلم يبالوا{ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} بعد أن طلبوا إخراجها من صخر الجبل الذي ينحتونه معجزة لهم ليؤمنوا، فأخرجها الله تعالى عشراء فولدت أمام أعينهم كما جاء في تفسير زاد المسير وتفسير الخازن{ فَدَمۡدَمَ} وأطبق وعمّ{ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم} عذابًا طاغيًا{ بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا} فأصبحوا كالورق

اليابس المهشم المُكسَّر كما قال تعالى في سورة القمر:{ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ}﴿٣١﴾ { وَلَا يَخَافُ} تعالى{ عُقۡبَٰهَا} وما حلّ بهم فأفناها.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالشمس وضحاها، وبالقمر وبالنهار وبالليل وبالسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، وجواب القسم قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها في المعاصي، وضرب المثل بتكذيب ثمود بطغواها، فكذبوه فعقروها، فدمدم عليهم ربّهم بسبب ذنبهم فسوّاها، ولا يخاف عقباها، فسننه تعالى لا تتخلف عن أحد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الليل ترتيبها (٩٢) آياتها (٢١)

(١-١١) القسم بأنّ اليسر للمتقين والعسر للمكذبين.

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١

يقسم الله تعالى بالليل، والملاحظ في القرآن العزيز أنّ ذكر الليل عمومًا يتقدم ذكر النّهار كما هو في هذه السورة، للدلالة على أنّ الليل هو الأصل في هذا الكون، ولذلك نرى الليل يحيط بالنجوم، أمّا النهار فهو طبقة رقيقة على الأرض، أو على الكواكب التي مثلها في الكون، والتي لها غلاف جوّي لقوله تعالى في سورة الأعراف وسورة الرعد:{... يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ...}﴿٥٤﴾ ﴿٣﴾ أي يعلو ويغطي الليل النهار وهذا من إبداع خلق الله تعالى.

أمّا الكواكب التي ليس لها غلاف جوّي فلا نهار فيها كالقمر، وسُمك النهار بالنسبة لقطر الأرض يساوي ثلاثة وستة وسبعون من مئة في

المئة(٣,٧٦٪) من قطر الأرض، ولصغر سمكه قال تعالى في سورة يس:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ}﴿٣٧﴾.

ولذلك قال تعالى:{ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ} وماذا يغشى؟ فالليل يغشى ويغطي المجموعة الشمسية والنجوم في السماء، ولولا الليل لما رأينا جمال السماء، أمّا ماذا يغطي الليل في الكون غير المنظور فغير معلوم، ثمّ يقسم الله تعالى بالنهار لكثرة المستفيدين منه قائلًا:{ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ} وبان وأسفر ليوم جديد وعلى الخلق شهيد.

ثمّ يقسم الله تعالى قائلا:{ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} في الإنس والجنّ والحيوان والنبات والبكتيريا والجراثيم والفيروسات وذرات الجمادات وغير ذلك وما فيهما من أسرار، فكل الخلق من زوجين لقوله تعالى في سورة الذاريات:{ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ}﴿٤٩﴾.

وجواب القسم قوله تعالى:{ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ} مؤمن وكافر، وشتى باختلاف درجة الإيمان والأعمال والنيّات وما تخفيه القلوب، ولذلك اجتهد المسلمون الأوائل وأخلصوا وبذلوا كلّ ما في وسعهم لإيصال هذا الدين للنّاس لإقامة شرع الله تعالى في الأرض، فليكن لنا فيهم أسوة.

ثمّ فصّل تعالى جزاء السعي قائلًا:{ فَأَمَّا مَنۡ} جاد و{ أَعۡطَىٰ} مما رزقه الله تعالى للمستحقين{ وَٱتَّقَىٰ} وخاف مقام ربه{ وَصَدَّقَ} وآمن{

بِٱلۡحُسۡنَىٰ} في الدنيا والآخرة{ فَسَنُيَسِّرُهُۥ} ونسهل أمره{ لِلۡيُسۡرَىٰ} والرفق والهون في الدنيا قبل الآخرة{ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ} بماله ورزقه عن ذوي الحاجة{ وَٱسۡتَغۡنَىٰ} عن هدي الله تعالى واستكبر وأعرض ونأى{ وَكَذَّبَ} بالله تعالى ورسله و{ بِٱلۡحُسۡنَىٰ} في الدنيا والآخرة{ فَسَنُيَسِّرُهُۥ} ونسهله في الحياة الدنيا{ لِلۡعُسۡرَىٰ} ومعيشة ضنكا ومشقة وضيق وشدة{ وَمَا يُغۡنِي} ولا يجزي{ عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ} وهوى في جهنم في الآخرة، فلا يمكن أن تكون حياة المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة سواء لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}﴿٢١﴾ فسننه تعالى لا تتخلف عن أحد من الإنس والجنّ بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ولا يظلم ربك أحدا.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالليل والنهار وما خلق الذكر والأنثى، وجواب القسم إنَّ جزاء سعيكم مختلفٌ وشتّى، فمن أعطى واتقى وصدّق بالحسنى،

فييسره تعالى لليسرى في الدنيا والآخرة، وأمّا من بخل واستغنى عن الهدى، فييسره تعالى للعسرى في الدنيا والآخرة، وما يغني عنه ماله إذا تردى في جهنم.

(١٢-٢١) تأكيد أنّ على الله تعالى الهدى وبيان مآل المصدقين والمكذّبين.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

يؤكد الله تعالى قائلًا:{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ} الواضح المبين، بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإمضاء السنن، لئلا يكون للنّاس على الله حجة يوم القيامة{ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ} والحكم والقضاء فيها والجزاء{ وَالْأُولَىٰ} سعادتها وشقاءها، فلله تعالى الملك، ولا يكون شيء في الكون إلّا بإذنه سبحانه وتعالى وبمشيئته{ فَأَنذَرْتُكُمْ} في الآخرة{ نَارًا تَلَظَّىٰ} متقدة متوهجة{ لَا يَصْلَاهَا} ولا يكابد سعيرها{ إِلَّا الْأَشْقَى} من الخلق{ الَّذِي كَذَّبَ} الرسل{ وَتَوَلَّىٰ} وأعرض عن هدي الله تعالى ودينه.

ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ وَسَيُجَنَّبُهَا} ويتفادى سعيرها ولظاها{ ٱلۡأَتۡقَى} في عقيدته وعبادته وأخلاقه ومعاملاته و{ ٱلَّذِى يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ} على المُستحقين من النّاس، ويزكي نفسه من البخل، ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، راضية بها نفسه، والغاية من الزكاة إقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض، والذي من سماته رعاية الضعفاء وأهل الحاجة من النّاس، ولذلك تجد أنّ المجتمعات المسلمة الملتزمة بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ أكثر أمنًا وسلامًا من غيرها، ثمّ قال تعالى:{ وَمَا لِأَحَدٍ} من الخلق{ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ} وترجى{ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ} ذو الجلال والإكرام{ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ} بالجزاء الأوفى.

قيل أنها نزلت في أبي بكر الصديق (رلع) ولما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري (رلع) قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسولًا ﷺ عن عبد خُيّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر".

الخلاصة: -

يؤكد تعالى بأنّ عليه الهُدى بالرسل وإنزال الكتب وبيان سننه التي يمضيها في النّاس، وإنّ له تعالى للآخرة والأولى، فأنذر بنارٍ تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذّب وتولى، وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ابتغاء وجه ربّه الأعلى ولسوف يرضى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الضحى ترتيبها (٩٣) آياتها (١١)

(١-١١) القسم بحب رسوله ﷺ والأمر بتبليغ رسالته.

وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ
لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا
فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ
فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١

لمّا فتر الوحي عن رسول الله ﷺ بعد نُزُول أوائل سورة العلق لما روى الإمام البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث جندب بن جنادة (رلـع) قال:" قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد ودعك فنزلت والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى"، والمرأة يقال لها أم جميل امرأة أبي لهب" وفي رواية أخرى قالت قريش لمّا انقطع الوحي: ودعك ربك وقلاك، فأقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلضُّحَىٰ} حين يصفو ضوء الشمس بعد شروقها ووقت اعتدال النهار.

وقيل في كتاب فتح القدير، وكتاب الدّر المنثور، وتفسير الكشف والبيان، وتفسير الألوسي، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير أنّ رسول الله ﷺ كَبَّرَ لمّا نزلت(سورة الضحى) واتخذها بعض النّاس سُنّة عند قراءتها حتى يختم.

أمّا اصطفاء الأنبياء والرسل فكان قبل خلق الخلق لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ} أيها النّاس في قضائنا وقدرنا{ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ} على الصور التي أنتم عليها{ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ}﴿١١﴾ فلن يزيد في خلق الله تعالى أحد ولا شيء، وملخّص اختيار الله تعالى لأنبيائه وأتباعهم ما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال:" إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ" وعلّق الإمام مالك في موطئه أن" فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ" أنّه من كلام عبد الله بن مسعود.

ثمّ أقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ} وغطى وأظلّ الأرض بعد النهار، وجواب القسم{ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} وما تركك منذ اختارك{ وَمَا قَلَىٰ} وما أبغضك منذ أحبك، وفي هذا القسم وجوابه تشريف للرسول ﷺ، وكل تشريف له ﷺ هو تشريف لأمته{ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ} ولمن آمن بك{ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ} في الدنيا{ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ} في الدارين ولأمتك من بعدك{ فَتَرۡضَىٰٓ} وتُسرّ.

فرعاية الله تعالى كانت منذ ولادته يتيما ﷺ فرأت أمّه قبل ولادته ﷺ أنّ نورا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، ثم كفله جدّه عبد المطلب، ثمّ عمّه أبو طالب، وأن بركته ﷺ حلّت على حليمة السعدية وأهلها وهو رضيع، ثمّ منّ الله تعالى عليه وأكرمه فزوّجه أم المؤمنين خديجة- رضي الله عنها- التي بذلت نفسها ومالها لدين الله تعالى ولم تبخل عليه بشيء.

كما وأرضاه الله تعالى بأن يظهر دينه على كل دين كما قال تعالى في سورة التوبة وسورة الصف:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}﴿٣٣﴾ ﴿٩﴾ وفي قوله تعالى في سورة الفتح:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا}﴿٢٨﴾.

ثمّ دلّل الله تعالى ذلك قائلا:{ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا} فاقدًا أبويك{ فَـَٔاوَىٰ} لجدّك وعمّك{ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا} تبحث عن الصراط المستقيم الموصل لله تعالى{ فَهَدَىٰ} ثمّ قال:{ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا} فقيرا{ فَأَغۡنَىٰ} بزواجه من أم المؤمنين خديجة- رضي الله عنها، وبدين تكفّل الله تعالى بحفظه دون سائر الأديان.

ثمّ أوصى الله تعالى باليتيم فقال:{ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ} ولا تُذل ولا تغلبه على شيء لا يرغبه{ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ} المسكين ذي العِوز والحاجة{ فَلَا تَنۡهَرۡ} وغاية الله تعالى من هذا التشريع العناية باليتيم وبالفقير وذوي الحاجة لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، ثمّ قال:{ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ} وعلى النّاس من الدين والتشريع{ فَحَدِّثۡ} فأخبر وبلغ.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى لرسوله ﷺ بالضحى وبالليل بأنّه تعالى ما ودَّعه وما قلاه، وأنّ الآخرة خيرٌ له ﷺ من الأولى، ولسوف يعطيه ربّه في الدنيا والآخرة فيرضى، كما وجده يتيمًا فأوى، وحائرًا فهدى، وعائلا فأغنى، وأمر بالرفق باليتيم والسائل، وبنعمته ودينه أن يحدِّث ويُبَلِّغ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الشرح ترتيبها (٩٤) آياتها (٨)

(١–٨) بيان منّة الله تعالى على نبيّه ﷺ والأمر بالانقياد له تعالى.

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣
وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا
فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨

منّ الله تعالى على رسوله ﷺ بشرح صدره لوحيه تعالى ودينه قائلا:{ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ} لقبول وحفظ وفهم حقيقة" لا إله إلّا الله" والاستعداد لحمل أعباء النبوّة وشرائع الدين، وتثبيت فؤاده ﷺ وشرح صدره بعد نزول الوحي عليه أولّ مرة، كما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد(وهو التَّعبُدْ) قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ(أي لا أعرف القراءة)، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ

مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:{ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}٥ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- فقال زملوني زملوني(لُفُّوني وغَطُّوني)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب(مصائب) الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال: له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى؛ يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال نعم: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني

يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب(يَلبَث) ورقة أن توفي، وفتر الوحي".

فشرح الله تعالى صدره ﷺ وثبت على دينه، فلمّا جهر بالدعوة جاء سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تَكفّهُ عنا، أو ننازله(نقاتله) وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، فعَظُم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أن عمّه خاذله، وأنه ضعُف عن نُصرته، فقال: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يَسارِي(شمالي) على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، ثم استعبر وبكى وقام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُك لشيء أبدًا وأنشد:

والله لن يصلوا إليك بجَمْعِهِم

حتى أُوَسَّدَ في التراب دفينًا

فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضَة

وابْشِرْ وقَرّ بذاك منك عيونًا

ثمّ قال تعالى:{ وَوَضَعۡنَا} وأذهبنا وحططنا بهذا الدين العظيم{ عَنكَ وِزۡرَكَ} من ظلمات تشريعات الجاهلية وعبادة الأصنام والأوثان والتخبط إلى نور تشريع الله تعالى العليم الحكيم الرؤوف الرحيم بعباده، وقيل في التفاسير في(وِزرك) وزر الجاهلية{ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ} وأتعب{ ظَهۡرَكَ} لكنّ السؤال هل يأثم الإنسان قبل نزول التشريع؟ وهل يأثم من شرب الخمر قبل تحريمه؟ لا، إذًا فليس المقصود بالوزر وزر الجاهلية، وإنّ الناظر في سيرته ﷺ يرى في حياته الطهر قبل الرسالة للحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري.

فالمقصود بالوزر كناية عن همّه وقلقه ﷺ من تشريع وأحكام الجاهلية وعبادة الأوثان التي كانت حول الكعبة المشرّفة والتي كان يبغضها كثيرا ولم يؤمر فيها بشيء، وذلك لما ورد في تفسير الطبري الجزء السادس عشر وفي كتب السّير وفي كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى، وفي البداية والنهاية قوله ﷺ قبل النبوة:(بُغِّضت إليّ الاصنام) وقوله ﷺ في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبيّ ﷺ باللات والعزى بالشام في سفرته مع عمّه أبي طالب فقال:" لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا

قط بغضهما" وقوله ﷺ في الحديث الآخر الذى روته أم أيمن- رضي الله عنها- حين كلمه عمّه وآله في حضور بعض أعيادهم(الجاهلية) فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال:" كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي: وراءك لا تمسه" فما شهد بعدُ لهم عيدا".

ثمّ قال تعالى:{ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ} بالنبوة والرسالة، وعند الأذان والتشهد في الصلوات، فيُذكر اسمه ﷺ بعد شهادة أن لا إله إلّا الله، ورفع ذكره ﷺ في الكتب المنزلة على الأنبياء الذين بشّروا به ﷺ لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦} ورُفع ذكره بإمامته ﷺ للأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء والمعراج، وأنّ من صلّى عليه صلاة، صلّى الله عليه بها عشرا لما ورد في سنن الإمام أحمد عن أنس بن مالك (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" من صلّى عليَّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".

وتشريفه ﷺ بأخذ العهد على النبيين بالإيمان به ونصره لقوله تعالى في سورة آل عمران وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ

ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾.

وأن يظهر الله تعالى دينه على كلّ دين لقوله تعالى في سورة التوبة:{ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}﴿٣٣﴾.

وهو ﷺ أول من يدخل الجنة لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل وغيره في حديث طويل بصيغ عن عمرو بن أنس (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأُعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وأنِّي آتي باب الجنة فآخذ بحلقتها فيقولون من هذا؟ فيقول: أنا محمد فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار عزّ وجلّ مستقبلي فأسجد له، فيقول: ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يسمع منك، وقل يقبل منك، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي أمتي يا رب، فيقول: اذهب إلى أمتك فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة".

ثمّ بشّره الله تعالى بسننه قائلا:{ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ} الذي تلقاه من قومك والمشركين وفي حياتك{ يُسۡرًا} وفرجا، ثمّ أكدّ الله تعالى ذلك قائلا:{ إِنَّ

مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا} آخر، فيسّر الله تعالى عسره بعد صبره ﷺ على الأوثان عند الكعبة وعلى أذى المشركين حتى نصره الله تعالى عليهم وطهّر ﷺ بيت الله تعالى من الأوثان، ثمّ قال تعالى:{ فَإِذَا فَرَغۡتَ} من واجبات إقامة الدين الآنية في الأرض{ فَٱنصَبۡ} ساقيك للصلاة وأطل قيامها{ وَإِلَىٰ رَبِّكَ} مجتهدًا مسارعًا متوكلًا عليه{ فَٱرۡغَب} وتحبب.

الخلاصة: -

يذكر الله تعالى رسوله ﷺ لأمور جرت عليه قائلا: ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهره، ورفعنا لك ذكرك في الدنيا والآخرة، فتيقن بأن مع العسر يسرًا، وإنّ مع العسر يسرًا آخر، فإذا فرغت فانصب قائمًا قانتًا، وإلى ربّك فارغب وتحبب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التين ترتيبها (٩٥) آياتها (٨)

(١-٨) القسم بخلق الإنسان في أحسن تقويم.

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧
أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨

أقسم الله تعالى بالتين والزيتون قائلًا{ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ} كناية عن بركة بلاد الشام ومهبط الإنجيل رسالة نبيّ الله تعالى عيسى (عس)، ولما في التين والزيتون من بركة وخصائص، فالتّين يعمل على حماية البروتينات الدهنية من الاكسدة، ويعزز صحة القلب والشرايين، ويخفض نسبة الدهون الثلاثية المضرة، ويعزز مستوى ضغط الدم، ويساعد على تخليص الجسم من أملاح الصوديوم، أمّا الزيتون فيعمل على تقليل الكولسترول الضار ورفع الكولسترول الجيد، ويعمل على تقوية مناعة الجسم ومكافحة الالتهابات، وله دور في مكافحة سرطان الثدي والزهايمر، ويساعد في علاج فقر الدم وتحسين مستوى الذاكرة، ومكافحة

الشيخوخة والمحافظة على صحة البشرة، وعلاج حروق الشمس، ومرطب لفروة الرأس ويمنع جفاف الشعر، ويقوي المعدة ويساعد على الهضم، وعلاج للإمساك، ويساعد في تخفيف الوزن إذ يمنح الشعور بالشبع لفترة طويلة كما جاء في الموسوعة الحرّة، فسبحانه الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى.

ولا تنفع خصائص شيء في الوجود من الثمار وغيره إلّا بمشيئة الله تعالى وإذنه، فله تعالى الخلق والأمر في كل شيء، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم وغيره بصيغ عن جابر بن عبدالله (رلع) وعن والده عن النبي ﷺ أنه قال:" لكل داء دواء فإذا أُصِيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"، وقد أوصى رسول الله ﷺ باستخدام زيت الزيتون في الأكل والادِّهان به كما جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره بصيغ عن أبي أسيد (رلع) قال: قال النبيّ ﷺ:" كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة".

ثمّ أقسم الله تعالى بجبل الطور في سيناء لبركته ومهبط التوراة على نبيّ الله تعالى موسى (عس) قائلًا:{ وَطُورِ سِينِينَ} أي جبل الطور المبارك بسيناء، ولقوله تعالى في سورة المؤمنون:{ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ}﴿٢٠﴾.

ثمّ أقسم الله تعالى بالبلد الأمين- مكة المكرمة- التي أنزل الله تعالى فيها معظم القرآن العزيز، وحفظه من التحريف، وجعله مهيمنًا بأحكامه على كلّ دين، وفيها أوّل بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض، وأمّنها منذ خلق السماوات والأرض لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن مجاهد أنّ رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال:" إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تُحلَّلَ لي قط إلا ساعة من الدهر، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاها(النبات الرقيق ما دام رطبا)، ولا تحلّ لقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن عبد المطلب: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقين(الحداد) والبيوت، فسكت ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال".

وأخّر الله تعالى القسم بها لفضلها وبركتها فقال:{ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ} مكّة المكرمّة{ ٱلْأَمِينِ} الذي يأمن الناس فيها على أرواحهم ومتاعهم كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ...}﴿٩٧﴾ وهو أوّل بيت وضع لعبادة النّاس، ومبارك وهدىً للعالمين لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ}﴿٩٦﴾.

وجواب القسم قوله تعالى:{ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ} وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلًا جليلًا إذا ما قورن ببقية المخلوقات لقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا}٧٠.

ثمّ قال تعالى:{ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ} عند تكبره وجحوده واعراضه وكفره بالله تعالى تصديقا لسُنَّة الله الخالد في قوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}١٢٤.

ثمّ استثنى تعالى المؤمنين قائلًا:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} فيظلون في أحسن تقويم{ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ} في الدنيا والآخرة مضاعف{ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ} ولا مقطوع ولا منقوص، تصديقًا لسُنّته تعالى الخالد في قوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ}١٢٣ في الدارين{ فَمَا} الذي{ يُكَذِّبُكَ} أيُّه الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى{ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ} وشرائعه وأحكامه{ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ} بما أنزل للخلق من الرسالات في مختلف بقاع الأرض، فشرّف الشام وأنزل فيها الإنجيل، وشرّف سيناء وجبل الطور وأنزلت فيه

التوراة، وشرّف مكة المكرمة بإنزال القرآن العزيز، وبيّن طريق السعادة وطريق الشقاء وكل ما يحتاج إليه النّاس من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات لتنمية علاقاتهم الشخصية والأسرية والمجتمعية وليسعدوا في الدنيا قبل الآخرة، بلى هو أحكم الحاكمين.

الخلاصة: -

أقسم الله تعالى بالشام موطن التين، وبسيناء موطن الزيتون، وبهذا البلد الأمين مكّة المكرمّة، وجواب القسم أنّه تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ردَّه أسفل سافلين إذا أعرض وكفر، إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، فما الذي يكذب بالدين، والله أحكم الحاكمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العلق ترتيبها (٩٦) آياتها (١٩)

(١–٥) الأمر بالتعلم والتدبر في كون الله تعالى الذي خلق.

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥

ورد في سبب نزول مطلع هذه السورة ما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه(وهو التعبد) الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجَأه الحق وهو في غار حراء، فقال: اقرأ فقال له النبيّ ﷺ فقلت: ما أنا بقارئ(أي لا أعرف القراءة) فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال:{ اقرأ باسم ربك الذي خلق} حتى بلغ{ علم الإنسان ما لم يعلم} فرجع بها ترجف

بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق،(إي فليس من سنن الله تعالى أن يضرك).

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمّ خديجة، أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة، ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل

تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، قال ابن عباس:{ فالق الإصباح} ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل.

فأرشد الله تعالى نبيّه قائلا:{ ٱقۡرَأۡ} وتفكّر في خلق السماء والشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض وما فيها من جبال وأنهار وأشجار وزروع وفواكه وثمار وحيوان ورياح وسحاب وبرق ورعد{ بِٱسۡمِ رَبِّكَ} فهو{ ٱلَّذِى خَلَقَ} الذي{ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ} والعلقة هي من عظيم إبداع وإتقان خلق الله تعالى الذي أوحى إلى النطفة وهي البويضة المخصّبة بالعلوق في رحم الأم، أمّا البويضة غير المخصبة فلا تعلق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثمّ أمر الله تعالى قائلًا:{ ٱقۡرَأۡ} وادرس وتعلم وتدبر في عظيم خلقه تعالى وصنعه وسلطانه{ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ} في عطائه ونعمائه على خلقه، فهو تعالى{ٱلَّذِى عَلَّمَ} الكتابة والتدوين{ بِٱلۡقَلَمِ} فالعلم صيدٌ والكتابة قيده{ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ} مذ خلقه{ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}.

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى بالقراءة والتَّعَلُم والتدبر أخذًا في الاعتبار بأنّه تعالى هو الذي خلق كلَّ شيء، وخلق الإنسان من علق، وهو تعالى الأكرم فيما يعطي ويهب، والذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

(٦–٨) تقرير طغيان الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى إذا استغنى.

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨

ثمّ قال تعالى:{ **كَلَّآ**} بل الحقيقة{ **إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ**} المعرض عن هدي الله تعالى عنادًا وطغيانًا{ **لَيَطۡغَىٰٓ**} على ربه ورسله والنّاس، وذلك{ **أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ**} بماله وعلمه وجاهِهِ وسلطانه، فليكن على يقين{ **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ**} للعرض والحساب والمآل، فليمهد الإنسان طريقه لآخرته.

الخلاصة: –

يؤكد تعالى بأن الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى ليطغى، أن رأى أنّه استغنى بما يملك، وإن إلى ربك الرجعى والمآب.

(٩ – ١٩) الإشارة إلى طغيان أبو جهل وبيان سنن الله تعالى فيه وأمثاله.

أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ

﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾

ورد في سبب نزول هذه الآيات ما جاء في صحيح الإمام مسلم وغيره بصيغ مختلفة عن أبي هريرة (رلع) قال:" قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فبالذي تحلف به(في رواية أخرى واللات والعزى) لو رأيت ذاك لأطأن على رقبته، قال: فقيل له: هو ذاك يصلي! فأتاه ليطأ على رقبته، قال: فما فَجِئَه منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فانتهى إليه أصحابه فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وأجنحة، فقال نبيّ الله ﷺ:" والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا".

فاستنكر الله تعالى على طغيانه وسوء فعاله قائلًا:{ أَرَءَيۡتَ} ذلك الجاحد المستكبر الممتنع عن الإيمان عنادًا وعصيانًا كأبي جهل{ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ} عن الإيمان والصلاة{ عَبۡدًا} كمحمد ﷺ{ إِذَا صَلَّىٰٓ} خاشعًا مبتهلًا مقبلًا على ربّه{ أَرَءَيۡتَ} شناعة فعله{ إِن كَانَ} ذلك العبد{ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ} والتقى والحق المبين{ أَوۡ أَمَرَ} النّاس{ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ} وفعل الخير والمعروف وحُسن الخلق والعفاف ونهي عن المنكر.

ثمّ قال تعالى:{ أَرَءَيۡتَ} من سفاهته وشدّة عناده{ إِن كَذَّبَ} وأعرض واستهزأ{ وَتَوَلَّىٰٓ} عن هدي الله تعالى المخرج من ظلمات الجاهلية

وشرائعها الباطلة إلى نور الإسلام لإقامة المجتمع الأمثل للبشرية{ أَلَمۡ يَعۡلَم} ذلك الطاغية{ بِأَنَّ ٱللَّهَ} تعالى{ يَرَىٰ} كفرانه وجحوده واستعلاءه{ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ} عن سوء فِعاله وتجبره{ لَنَسۡفَعَۢا} ولنسوّدنّه ولنُقبّحنّه وجهه بِذُلٍ وهوان ليكون شاحبا من حرِّ جهنّم كما وردت المعاني في قاموس لسان العرب، بدءً{ بِٱلنَّاصِيَةِ} ومقدمة شعره، والسَفَع هو السواد والشحوب، وقيل للأثافي سُفع، والأثافي هي ثلاثة أحجار يوضع عليه القدر فاسودت صفاحها التي تلي النار كما جاء في قاموس لسان العرب، ويسبق ذلك عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ}٥٦ فأخزاه الله تعالى بتقبيح وجهه في غزوة بدر.

فناصيته{ نَاصِيَةٖ} زيفٍ وزورٍ فهي{ كَٰذِبَةٍ} وفي سعيها{ خَاطِئَةٖ} فيومها{ فَلۡيَدۡعُ} وليستنجد بـ{ نَادِيَهُۥ} وجمعه وسلطانه ومن في الأرض جميعًا{ سَنَدۡعُ} له ولعذابه الملائكة الغلاظ الشداد{ ٱلزَّبَانِيَةَ} ليذوق العذاب الغليظ المهين{ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ} وأعرض عنه{ وَٱسۡجُدۡ} سجود تعظيم وإذعان وخضوع وخشوع{ وَٱقۡتَرِب}.

الخلاصة: –

يستنكر تعالى على أَبي جهل الذي ينهى، عبدًا كمحمدٍ ﷺ إذا صلّى وإن كان على الهدى ويأمر بالتقوى، أرءيت الجاهل إن كذّب وتولّى، ألم يعلم بأنّ الله يرى، وتوعده بتسويد وجهه والناصية، فناصيته كاذبة خاطئة، عندها فليدع نادية وناصره، وسيدعى له الملائكة الزبانية، كلّا لا تطعه واسجد واقترب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القدر ترتيبها (٩٧) آياتها (٥)

(١–٥) التأكيد بنزول القرآن في ليلة القدر.

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥

أكدّ الله تعالى أنّه أنزل القرآن العزيز في ليلة مباركة وذات الشأن والمنزلة والمقام العظيم في رمضان لقوله تعالى في سورة الدخان:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ}٦ ولما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره عن واثلة بن الاسقع (رلـع) وغيره أن النبي ﷺ قال:" أنزل الله صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة على موسى لِستٍ خَلونَ من رمضان، وأنزل الزبور على داود في إحدى عشرة ليلة خَلَت من رمضان، وأنزل القرآن على محمد ﷺ في أربع وعشرين خَلَت من رمضان".

فقال تعالى{ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ} أي القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه{ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ} العظيم وذات المقام والشأن الكبير، والقَدَرْ هو القضاء الموفق، والقضاء والحُكم، وما يقدره الله عزّ وجل من القضاء ويحكم به من الأمور{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} شأن وما عِظَم{ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ}.

فأجر العمل الصالح في{ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ} من صلاة أو صيام أو قيام أو زكاة أو صدقة أو عمرة أو قراءة قرآن أو ذكر أو الصلاة أو سلام على خير البرية محمد ﷺ يبارك، وهي{ خَيۡرٞ} من العمل الصالح في غيرها{ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ} ليس فيها ليلة القدر لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أبي هريرة (رلع) أنّ رسول الله ﷺ قال:" من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِر له ما تقدم من ذنبه" ولما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أبي هريرة (رلع) أنّ رسول الله ﷺ قال:" من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

ولما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أبي هريرة (رلع) عن النبي ﷺ قال:" من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

ولما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن جابر بن عبد الله (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" عمرة في رمضان تعدل حَجة" ويستخلص من تلك الأحاديث من أفطر يوما في رمضان بغير عذر ثم قضاه فقد فاته أجر صيام يزيد عن ألف شهر، ومن ترك صلاة فرض أو سنّة في رمضان بغير عذر عليه فاته أجر ألف شهر.

وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان لما ورد في مسند الإمام أحمد ابن حنبل عن عيينة قال حدثني أبي قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال: ما أنا بطالبها إلا في العشر الأواخر بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: التمسوها في العشر الأواخر، من تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث يبقين، أو آخر ليلة" وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها لماورد في مسند الإمام ابن خزيمة والإمام ابن حبان والإمام البيهقي.

ففي ليلة القدر{ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} الموكّلون بأمور الدنيا{ وَٱلرُّوحُ} جبريل (عس) ينزلون{ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم} ومشيئته{ **مِّن كُلِّ أَمۡرٍ**} قضاه الله تعالى ليكون في الكون من أرزاق وآجال وخير وشر أو غير ذلك لمدة سنة هجرية كاملة، فـ{ **سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ**} من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

الخلاصة: -

يؤكّد الله تعالى أنّه أنزل القرآن في ليلة القدر العظيم التي لا يُعرف حقيقة قدرها، فهي خير من عبادة ألف شهر، وتتنزل الملائكة والروح جبريل فيها بكلّ أمر، وهي سلام حتى مطلع الفجر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البيّنة ترتيبها (٩٨) آياتها (٨)

(١–٥) الاستنكار على كفر أهل الكتاب والمشركين من بعد ما جاءتهم البينة.

لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ
٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤ وَمَآ
أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥

لا يحقّ لكفّار أهل الكتاب ولا المشركين من العرب وغيرهم الكُفر والإعراض عن الدين ببعثة الرسول محمد ﷺ فقال تعالى:{ لَمۡ يَكُنِ} ولا يجدر ولا يحق بـ{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} برسول الله ﷺ عنادًا وعصيانًا{ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ} أن يكونوا{ مُنفَكِّينَ} عن دين الله تعالى وعن هديه ونوره{ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ} والحجة الواضحة برسالته، خاصّة أنّ هذه البيّنة هو{ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ} والذي أخذ الله تعالى العهد عليهم بالإيمان به ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ}﴿٨٢﴾.

وقد ذكّرهم عيسى (ع‌س) في قوله تعالى من سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ}﴿٦﴾ والذين يعرفونه كما يعرفون أبنائهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ}﴿١٤٦﴾ وهو ﷺ{ **يَتۡلُواْ**} عليهم القرآن و{ **صُحُفٗا**} وشرائع وأحكام{ **مُّطَهَّرَةٗ**} من التحريف والتبديل ومما يُخفون من كتبهم لقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}﴿١٦﴾ والبيّنة التي جاءتهم{ **فِيهَا كُتُبٞ**} وآيات وأحكام

وشرائع{ **قَيِّمَةٞ**} ترقى بالأفراد والأسر والمجتمعات لإقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض.

ثمّ قال تعالى:{ **وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ**} التفرق المذموم الذي نهى الله تعالى عنه، والذي أدّى إلى قتل بعضهم بعضًا{ **إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ**} بحرمة التفرق كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}﴿٨٥﴾ وفي هذا تحذير لهذه الأمة من الوقوع فيما وقع فيه كفّار أهل الكتاب من التفرق والاقتتال.

ثمّ استنكر الله تعالى على كفر أهل الكتاب قائلا:{ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ**} فيما أوحي إليهم وما جاء به رسوله ﷺ{ **إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ**} تعالى وحده{ **مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**} عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملات{ **حُنَفَآءَ**} لدينه تعالى مائلين

عن كل دين آخر{ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ } ليأمن الفقير على حياته الغني على ثرواته{ وَذَٰلِكَ} هو{ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ} للفرد والأسرة والمجتمع.

الخلاصة: -

يستنكر الله تعالى على الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين إعراضهم عن دين الله تعالى من بعد ما جاءتهم البينة، التي أتى بها رسول من الله يتلوا صحفًا مطهرة، فيها كتب قيّمة، وما تفرقوا إلّا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء مائلين إلى دين الله تعالى وليقموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة.

(٦-٨) بيان جزاء الكافرين من أهل الكتاب والمشركين ومن آمن.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨

يقرر الله تعالى قائلًا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} برسول الله ﷺ وما أوحي إليه عنادًا وعصيانًا واستكبارًا{ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ} بعد بعثته

ﷺ{ فِى نَارِ جَهَنَّمَ } يوم القيامة{ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ} لنقضهم العهد الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة الأعراف:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}﴿١٥٧﴾ فـ{ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ} في الدنيا والآخرة، ولقوله تعالى في سورة هود:{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}﴿١٧﴾ ولما ورد في صحيح الإمام مسلم أبي هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ أنه قال:" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

و{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} بمحمد ﷺ من البشر{ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} في الدنيا{ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ} عند الله تعالى{ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ} يوم القيامة{ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ} ولقد{ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ} وراقبه في كل أمور حياته.

الخلاصة: -

يؤكد تعالى بأنّ الذين كفروا برسوله ﷺ من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنّم خالدين فيها، فأولئك هم شرّ البرية، وإنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية، وجزاءهم عند ربهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربّه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الزلزلة ترتيبها (٩٩) آياتها (٨)

سورة الزلزلة وموضوعها: -

- بيان بعض أمارات الساعة ومعايير الحساب ليوم القيامة.

(١-٨) بيان بعض أمارات الساعة ومعايير الحساب ليوم القيامة.

إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨

يشير الله تعالى إلى بعض أمارات الساعة وعلاماتها فيقول:{ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا} الشديد العظيم فجأةً كما قال تعالى في سورة الحج:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ}٢ ثمّ قال تعالى:{ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا} من إنس وجنّ وغيرهم لقوله تعالى في سورة

الانشقاق{ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}۝٤ وأصبحت حقيقة{ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ} المعرض عن هدي الله تعالى عنادًا واستكبارًا{ مَا لَهَا}؟ فـ{ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} وما جرى عليها إلى قيام الساعة مخبرةً{ بِأَنَّ رَبَّكَ} هو الذي{ أَوْحَىٰ لَهَا} بفعل ذلك فـ{ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ} ويرجعون من كل صوب وحدب إلى الله تعالى{ أَشْتَاتًا} لا يجمعهم شأن كانوا يجتمعون لأجله في الدنيا، فالكلّ مشغول بنفسه{ لِّيُرَوْاْ} ويطلعوا على حصيلة وجزاء{ أَعْمَٰلَهُمْ} التي عملوها في الدنيا{ فَمَن} كان{ يَعْمَلْ} في الدنيا{ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ} في ميزان حسناته وجنانه مضاعفًا إلى ما يشاء الله تعالى{ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} شرًا في صُحفه، ويذوق عقوبة في نار جهنّم.

الخلاصة: -

تفجأ الأرض الخلق بزلزالها العظيم، وتخرج أثقالها من الخلائق، ويقول الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى ما لها، يومئذٍ تحدث أخبارها وما جرى عليها، بأنّ ربّك أوحى لها، فيومئذٍ يصدر النّاس إلى ربهم أشتاتًا، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خير يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرٍّ يَره.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العاديات ترتيبها(١٠٠) آياتها(١١)

(١-١١) القسم بالعاديات وتأكيد جحود المعرضين وأنه تعالى خبير بخلقه.

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ
نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ
۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١

ورد في تفسير التحرير والتنوير أنّ سبب نزول السورة عن مقاتل وعن غيره أن رسول الله ﷺ بعث خيلًا سرية إلى بني كنانة وأمّر عليها المنذر بن عمرو وكان أنصاريًا" فأسهبت" أي أمعنت(وتأخرت) في سهبٍ(وهي الأرض الواسعة) شهرًا وتأخر خبرهم فأرجف المنافقون وقالوا: قتلوا جميعًا، فأخبر الله عنهم بقوله: والعاديات ضبحًا الآيات؛ إعلامًا بأن خيلهم قد فعلت جميع ما في تلك الآيات، فالأرجح أن تكون السورة مدنية.

فأقسم الله تعالى بعدو وغدوّ الخيل أو الإبل ضبحًا مسرعة في الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك لما للإبل والخيل من أهمّية في الحرب وحياة النّاس، أمّا ابداع الله تعالى وإعجازه في خلق الإبل فقد تقدم بيانه في قوله تعالى في سورة الغاشية:{ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}﴿١٧﴾ وأمّا الإعجاز في خلق الخيل ومنافعها وسرعة عدوها فلما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

فأقسم تعالى قائلا:{ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ} المضمَّرات السريعات{ ضَبْحًا} مسرعةً مرتفعة أصوات أنفاسها{ فَٱلْمُورِيَٰتِ} بسنابك حوافرها الحجارة{ قَدْحًا} شررًا{ فَٱلْمُغِيرَٰتِ} في سبيل الله تعالى{ صُبْحًا} وبغتًا{ فَأَثَرْنَ} وأججن وأذكين{ بِهِۦ نَقْعًا} غبارًا وترابًا{ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا} من جموع الأعداء.

ثمّ أكد الله تعالى فقال:{ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ} المعرض عن هدي الله تعالى ودينه وشرعه{ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ } كفّار جحود{ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} بنهجه وأقواله وأفعاله{ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ} والمال والجاه{ لَشَدِيدٌ} ثمّ توعد الله تعالى قائلا:{ أَفَلَا يَعْلَمُ} هذا المعرض عن هدي الله تعالى{ إِذَا بُعْثِرَ} وبُعث ونُشر{ مَا فِى ٱلْقُبُورِ} أحياءً{ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ} لا تخفى خافية،

ثم يجزم الله تعالى قائلًا:{ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ } فيحاسبهم على أعمالهم ونيّاتهم.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالعاديات ضبحًا بأنفاسها، فالموريات قدحًا بسنابكها، فالمغيرات صبحًا، فأثرن به نقعًا وغبارًا، فوسطن به جمعًا للعدو، بأنّ الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى لربه لكنود جحود، وإنّه على ذلك لشهيد، وإنّه لحب الخير لشديد، وتوعده إذا بعثر ما في القبور، وحصّل ما في الصدور، فإنّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القارعة ترتيبها (١٠١) آياتها (١١)

(١-١١) بيان بعض علامات القيامة، وبيان حال من ثقلت ومن خفت موازينه.

ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١

يحذّر الله تعالى النّاس من يوم تقرع فيه القارعة العظيمة الشديدة، إيذانا بيوم القيامة فقال تعالى:{ ٱلۡقَارِعَةُ} الكبرى الحاسمة{ مَا ٱلۡقَارِعَةُ} وما أهوالها وجسامتها{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ} وفظاعتها وعذابها، فهي كقوله تعالى في سورة الانفطار:{ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣} وكما قال تعالى في سورة الطور:{ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠}.

فيومها{ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ} فيها{ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ} بعد بعثهم وكالجراد المنتشر{ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ} الرواسي كثيبا مهيلا و{ كَٱلۡعِهۡنِ} والصوف{ ٱلۡمَنفُوشِ} وهباءً منبثا{ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ} بالأعمال الصالحة الخالصة{ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ} ناعمةٍ سامية{ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ} الصالحة{ فَأُمُّهُۥ} وهامته تهوي في ال{ هَاوِيَةٞ} ونار حامية وسموم وحميم لا بارد ولا كريم.

ثمّ يقول تعالى:{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ} فهي كما ورد في صحيح الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" وهي{ نَارٌ حَامِيَةُۢ}.

الخلاصة: -

يحذر الله تعالى مباغتة القارعة وأهوالها، يومها يكون النّاس كالفراش المبثوث، والجبال كالعهن المنفوش، فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأمّا من خفّت موازنه فإمّه هاوية، وما أدراك ما هيه، فهي نارٌ حامية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التكاثر ترتيبها (١٠٢) آياتها (٨)

(١–٨) التحذير من الانصراف إلى التكاثر والغفلة عن الدين وواجباته.

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨

ليس المخاطب بقوله تعالى ألهاكم التكاثر عموم المؤمنين، لأنّ الله تعالى صنّف هذه الأمّة التي اصطفاها واجتباها إلى ثلاثة فئات في قوله تعالى في سورة فاطر:{ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ} أمّة محمد ﷺ{ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ} بالتقصير في أداء الواجبات واقتراف المعاصي وحب الدنيا كما هو مشاهد من حال كثير من المسلمين{ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ} يجاهد نفسه في تأدية الواجبات واجتناب المحرّمات{ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ...}٣٢ وهم السّابقون الذين قال الله تعالى فيهم في سورة الواقعة:{ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ}١٤.

فالمقصود بألهاكم التكاثر هم المؤمنون الظّالمي أنفسهم بالتقصير في الواجبات والواقعين في المعاصي المغترون بزينة الحياة الدنيا، ولذلك قال تعالى:{ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ} أي طيلة حياتكم{ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ} وقبرتم في{ ٱلۡمَقَابِرَ} لاهين معرضين عن إقامة الدين في الأرض الذي شَرعه الله تعالى لكم في قوله تعالى في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...}١٣ لأجل أن تحتكم البشرية لدين الله تعالى لقوله في سورة الأنفال:{ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ}٣٩.

أمّا القتال فقد تحملته الدول عن عموم المسلمين، وبقي عليهم دعوة النّاس لدين الله تعالى لقوله في سورة يوسف:{ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ}١٠٨ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}١٠٤ والغاية من إقامة الدين في الأرض أن يفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للناس لقوله تعالى في سورة

الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾.

ثمّ قال تعالى:{ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} عِظم خسارتكم وعقوبتكم جزاء انشغالكم وتفريطكم فيما أمرتم به{ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} حقا وحقيقة جزاء انكبابكم ولهوكم على زينة الحياة الدنيا{ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ} حقًا عِظم تلك العقوبة وأهوال ما ستلاقون وتجازون{ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ} عندها{ لَتَرَوُنَّ} أنّ إعراضكم وسوء أعمالكم تؤدي بكم إلى{ ٱلْجَحِيمَ} والسعير{ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا} حقًا وحقيقة وعيانًا{ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ} حين تبعثون وتقاسون جزاء صنيعكم ولهوكم{ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ} الذي تنعمتم به في الحياة الدنيا وتغافلكم عن واجباتكم فتندمون وتتحسّرون يوم لا تنفعكم الحسرة ولا الندامة.

الخلاصة: -

يحذّر الله تعالى الغافلين من المسلمين عن إقامة الدين في الأرض، حتى يكون الدين كلّه لله، فتحتكم إليه البشرية ليفتح الله تعالى بركات السماء والأرض للنّاس، وسوف يعلمون مغبة ذلك وعين اليقين يوم القيامة، ثمّ لتسألن يومئذٍ عن النعيم الذي تنعمتم به في الدنيا وشغلكم عن واجبكم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العصر ترتيبها (١٠٣) آياتها (٣)

(١-٣) القسم بأنّ المعرضين عن دينه لفي خسر إلّا الذين آمنوا.

وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣

يقسم الله تعالى بالعصر وقيل هو الدهر لما فيه من العبر بما يمضيه الله تعالى من سنن في النّاس مؤمنهم وكافرهم، أو يقسم بوقت العصر وصلاة العصر لما فيها من فضل لما ورد في صحيح الإمام البخاري وفي غيره بصيغ عن أبي هريرة (رلع) أنّ رسول الله ﷺ قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون" ولما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن عبد الله بن عمر (رلع) أنّ رسول الله ﷺ قال:" الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله".

وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى لقوله تعالى في سورة البقرة:{ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ ولما رواه الإمام

البخاري عن عليّ (رلع) أنّ النبي ﷺ قال يوم الخندق:" حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم" شك يحيى" نارا".

فأقسم الله تعالى قائلا:{ وَٱلۡعَصۡرِ} وجواب القسم{ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ} المعرض عن هدي الله تعالى ودينه عصيانًا وعنادًا واستكبارًا{ لَ} وللام تأكيد وفي محل قسم، وجواب القسم أنّ الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى{ فِي خُسۡرٍ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ}﴿١٢٤﴾ ثمّ استثنى تعالى منهم قائلا:{ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} عمومًا، أو آمنوا بعد كفرهم وإعراضهم، فغيّروا ما بأنفسهم إلى إيمان{ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ} وبشائر الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا والآخرة كثيرة كقوله تعالى في سورة يونس:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ}﴿٩﴾.

ثمّ قال تعالى:{ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ} أي تواصوا بشرائع الدين من عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملات وانتهوا عن كل ما نُهي عنه{ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ} والتواصي بالصبر ضرورة لما فيه من عظيم الأجر لقوله تعالى في سورة

البقرة:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ}١٥٧.

أمّا إذا قيل أنّ القسم بالعصر هو الدهر وذلك لما فيه من العبر التي يمضيها الله تعالى في الأمم التي أعرضت عن هديه كقوله تعالى في سورة الفجر:{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ نسأل الله العلي القدير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة آمين.

الخلاصة: -

يقسم الله تعالى بالعصر بأنّ الإنسان المعرض عن هدي الله تعالى لفي خسر، إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الهمزة ترتيبها (١٠٤) آياتها (٩)

(١-٩) التحذير من الهمز واللمز.

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

أراد الله تعالى بقيم دينه وشرائعه تنزيه وتزكية المجتمعات من كل الآفات الأخلاقية التي تقوض الحياة الاجتماعية، لأجل إقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض، ولذلك قال تعالى:{ وَيۡلٞ} قيل خزي في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة، وقيل في وادٍ من جهنّم{ لِّكُلِّ} إنسان مؤمن أو كافر، غنيّ أو فقير جعل من نفسه{ هُمَزَةٖ} عيّابا ساخرا من النّاس إشارة برأسه أو بيده أو بعينه أو{ لُّمَزَةٍ} بلسانه لقوله تعالى في سورة الحجرات:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ

بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ}﴿١١﴾.

ثمّ خصّ الله تعالى:{ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالٗا} كثيرًا{ وَعَدَّدَهُۥ} بُخلا لا يؤدي زكاةً ولا صدقة ولا ينفق شيئا في سبيل الله تعالى فـ{ يَحۡسَبُ} ويظن{ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ} في الدنيا{ كَلَّاۖ} فبئس الظنّ ظنّه و{ لَيُنۢبَذَنَّ} وليُطرحنّ قذفا حقيرًا ذليلًا{ فِى} سعير ولَظى{ ٱلۡحُطَمَةِ} التي تحطم كبرياء المعرضين عن هدي الله تعالى ووقودها النّاس والحجارة{ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا} عِظم وأهوال عذاب{ ٱلۡحُطَمَةُ}؟ فهي{ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ} التي أوقد عليها حتى اسودت لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أبي هريرة (رلع) عن النبيّ ﷺ قال:" أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة".

و{ ٱلَّتِى} من شدة حرّها الذي لا تدركه العقول ولا الأفهام{ تَطَّلِعُ عَلَى} القلوب و{ ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ} بلُظاها، و{ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ} مغلقة مطبقة لا خروج منها إلّا بإذنه تعالى، وهم مقيّدون{ فِى عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ} اللهم أجرنا من عذابك يوم تبعث عبادك.

الخلاصة: –

يحذّر الله تعالى من الهمز وللمز بعذاب شديد، ويخصُّ من جمع مالًا وعدده، فيظن أنّ ما له أخلده، كلا لينبذنّ ويُلقى في الحطمة، في نار الله الموقدة، التي تتطلع من حرِّها على الافئدة، وهي عليهم مؤصدة مغلقة، في عمدٍ ممددة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفيل ترتيبها (١٠٥) آياتها (٥)

(١–٥) بيان مكانة الكعبة عند الله تعالى.

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥

عام الفيل وُلد فيه خير البشر ﷺ فهو عام ذو شأن واعتبار وعِظَةٍ لما فيه من عبر، فأرّخ الله تعالى به وأرّخت به العرب، وهذا الحدث العظيم عَلِمه الأحباش والروم والفرس حيث كانت اليمن تدول بينهم، وكانت الحرب بين الفرس والروم دول كما قال تعالى في سورة الروم:{ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ} ٣ وكان لبعض العرب صلة بالروم وبعضهم بالفرس بما تقتضيه الأحوال، وقاتل بعض العرب مع الفرس وقاتل بعضهم مع الروم، وكان من العرب من تَنصَّر، إلّا أنه لم تكن بين العرب وبين الفرس ولا الروم حروب قبل الإسلام إلّا حادثة الفيل.

ومختصر الحدث التاريخي كما ورد في كتب التاريخ أنّ إبرهة الحبشي بنى كنيسة في اليمن بعد أن تولى عليها وقال:" لست منتهيًا حتى أضيف إليها حج العرب" فسمع بذلك رجل من بني كنانة فخرج فدخلها ليلًا فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة فحلف ليسيرنّ الى الكعبة فيهدمها" غرورًا.

فأشار الله تعالى إلى تلك العقوبة العظيمة التي حمى الله تعالى بيته الذي جعله للناس فقال:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ} وإن كان ظاهر الخطاب موجه لرسول الله ﷺ إلّا أنّه موجه للنّاس عامّة مسلمين وعرب وفرس وروم وأحباش ومن وصل إليه خبر تلك المعجزة إلى يوم الدين وأنزل{ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ} إبرهة وجيشه ما نزل، والذين استخفّهم إبرهة وتوجه بالفيل من اليمن لهدم الكعبة المشرفة لصرف العرب والنّاس عن حج بيت الله تعالى إلى بيعته في اليمن ليُنصِّر العرب، ونسي أنّ لله تعالى جنود السماوات والأرض يسلطها على من يشاء ومتى شاء بعدله ولا يظلم ربك أحدا لقوله تعالى الفتح:{... وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}﴿٤﴾ الله أكبر{ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ} الخبيث لصرف الناس عن بيت الله تعالى{ فِى تَضْلِيلٍ} وهلاك وتدمير.

وكان في قول عبد المطلب لإبرهة:" إنّ للبيت ربًا يحميه" تحذير شديد كما جاء في كتب التاريخ، كون إبرهة نصرانيا يفهم ما تعنيه تلك المقولة، ولكن الله تعالى طمس على قلبه ليلقى جزاء مكره في الدنيا قبل الآخرة{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} جماعات متتابعة يتبع بعضهم بعضا{ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ} ولم يقل ترميهم بالحصى وهو صغير الحجر الذي يكون في" الصّحصح" هي الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار، والحجر هو الصخر وفي الكثرة حِجار وحِجارَةْ كما ورد في قاموس لسان العرب، فمعنى بحجارة أي كبيرة صلبة شديدة، والحجر ليس كالحصى لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) قال النبيّ ﷺ:" الولد للفراش وللعاهر الحجر" والحجر بقدر قبضة اليد، لأن الغاية من الرجم إقامة الحدّ في الزاني المحصن بأقل عدد من الحجارة وليس المراد التعذيب بالحصى.

والحجارة كانت{ مِّن سِجِّيلٍ} والسِّجْل كما ورد في قاموس لسان العرب هو الدلو الكبير المملوء بالماء، وسَجَلَ الماء صبه صبًا متصلًا، وفي الحديث: أنّ أعرابيا بال في المسجد فأمر بسِجْلٍ فصُب على بوله، قال الراوي: السِّجل أعظم ما يكون من الدلاء، ويقال الحرب سِجال أي قتال وكرّ وفرّ، فالسِّجِّيل حجارة كبيرة صلبة شديدة كالحجارة التي رمي بها قوم لوط كما قال تعالى في سورة هود:{ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا

سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ}﴿٨٢﴾ وأخذه تعالى شديد كقوله تعالى في سورة هود:{ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ}﴿١٠٢﴾ فشدّة عقوبة إبرهة وجنده متناسبة مع عظم المعصية التي أُرِيد منها هدم البيت العتيق وصرف النّاس عن بيت الله تعالى.

وبذلك يكون الطير الأبابيل طيرًا ضِخامًا لحمل تلك الحجارة، لما ورد في تفسير الطبري أن الطير لها رؤوس كرؤوس السباع"، فإذا كان الأمر كذلك فتلك الحجارة لا زالت موجودة في مكان الواقعة يمكن للمتخصصين التعرف عليها، لأنها ليست من طبيعة أودية مكة ولا جبالها، فجعلتهم كهشيم النّار لذلك قال تعالى{ فَجَعَلَهُمۡ } وفِيلَهم{ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ} أي كقشور الحب اليابس التالف المحصود الذي عصفته الرياح أو أكلته الماشية أو الدواب، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقد نبأ رسول الله ﷺ مستقبلًا أنّ جيشًا يغزو الكعبة فيُهلِكه الله تعالى كما أهلك إبرهة وجيشه لما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، قالت:

قلت: يا رسول الله كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم".

فحرمة البيت العتيق عظيمة مستمرة منذ خلق السماوات والأرض لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن مجاهد (رلع): أنّ رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال:" إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تُحلّل لي قط إلا ساعة من الدهر، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاها(النبات الرقيق ما دام رطبا)، ولا تحلّ لقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن عبد المطلب: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقين(الحداد) والبيوت، فسكت ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال".

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أنّ حرمة بيته عظيمة كما فعل ونكّل بأصحاب الفيل، الذين أرادوا هدم الكعبة المشرّفة، وصرف النّاس عن حج بيته تعالى إلى كنيستهم في اليمن، فجعل كيدهم في تضليل وضياع وخسار، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل يتبع بعضهم بعضًا، ترميهم بحجارة من سجّيل، فجعلتهم فتاتًا كعصفٍ مأكول.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة قريش ترتيبها (١٠٦) آياتها (٤)

(١-٤) العتب على كفّار قريش.

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا
ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤

منّ الله تعالى على قريش بحمايتهم من غزو العرب وغيرهم؛ بحماية بيته تعالى على مرِّ الزمان، فلا يُعتدى عليهم ولا يغزوهم أحد، وأهلك تعالى إبرهة وجنده أصحاب الفيل الذين قدموا من الحبشة لهدم الكعبة وصدّ النّاس عن بيت الله تعالى وتنصيرهم، ولو أذن الله تعالى لإبرهة بفعل ما يشاء لانتهت قريش وهلكوا أو تفرقوا في جزيرة العرب وغيرها، كما شُتت سبأ من قبل لمّا أعرضوا عن هديه تعالى وكفروا كما قال تعالى في سورة سبأ:{ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۝١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ

سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} ٢٠.

فكان في سبأ عبرة لقريش وللعرب فقال تعالى:{ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ} وإبقاء سيادتهم على البيت، أن جعل{ إِۦلَٰفِهِمۡ} ب{ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ} إلى اليمن{ وَٱلصَّيۡفِ} إلى الشّام{ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ} جزاء منّته تعالى عليهم بإلافهم، وجزاء أن جعلهم حول البيت الذي رفع أركانه إبراهيم الخليل وابنَهُ إسماعيل- عليهما وعلى نبيّنا الصلاة والسلام- فكان الأولى لقريش أن يعبدوا الله تعالى، ومنّة أخرى هو تعالى{ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ} بهاتين الرحلتين إلى اليمن الشّام، وألّف بين قلوبهم{ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ}.

علاوةً على ذلك أن بيّن الله تعالى لقريش أنّ في الإسلام شرفهم ورِفعةً لذكرهم وفخرهم وعزّهم كما قال تعالى في سورة الزخرف:{ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ} ٤٤ ولقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} ١٠.

ثم إنّ رسول الله ﷺ بيّن لقريش في مطلع دعوته أنّ الدنيا ستدين للإسلام عندما قال لعمه أبي طالب: ادعوهم إلى كلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم، فماذا يريد كفّار قريش؟ وعلام كفرهم وجحودهم واستكبارهم؟ فكان الأولى أن يعتبروا ويؤمنوا ويعبدوا ربَّ هذا البيت المقدس المبارك.

فبتدبيره تعالى وتصريفه أمور الكون أطعمهم من جوع وآمنهم من كل خوف، ولو أنّهم آمنوا لفتح الله تعالى عليهم بركات السماء والأرض لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾ فذلّ من كفر من قريش ونال العزّ والشرف والمكانة من آمن، نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

الخلاصة: -

بيان مِنَّته الله تعالى على قريش بإيلافهم برحلتي الشتاء والصيف، وكان الأولى أن يعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الماعون ترتيبها (١٠٧) آياتها (٧)

(١–٧) بيان بعض صفات المنافقين المكذبين بالدين.

أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧

تكفّل الله تعالى بفضح ما في قلوب المنافقين في قوله تعالى في سورة التوبة:{ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ}٦٤ ففضح الله تعالى بعض صفاتهم الظاهرة والباطنة وفي هذه السورة، فبدأ تعالى بفضح أعلى صفات النفاق والمَخفيَّة في الصدور والمخرجة من دائرة الإيمان وهي التكذيب بالدين وهي الصفة الأولى للنّفاق فقال تعالى:{ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ} والتكذيب بالدين محبط للعمل لقوله تعالى في سورة المائدة:{... وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}٥ والدين كلمة شاملة للعقيدة والعبادات والشرائع والقِيم والأخلاق والمعاملات التي

يرتضيها الله تعالى، وهي ركائز الإسلام التي من شأنها إقامة المجتمع الأمثل للبشرية في الأرض.

والمكذّب بالدين لا يراعي متطلبات الدين{ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ} ويطرد وينهر ويُغْلِظ القول مع{ ٱلْيَتِيمَ} ولا يعطيه حقّه من الزكاة ولا الصدقة ولا يبذل له معروف وهي الصفة الثانية للنّفاق، أمّا الصفة الثالثة لنفاق المكذِّب بالدين{ وَلَا يَحُضُّ} ولا يحثّ{ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ} لسدّ حاجته.

وغاية الإسلام من العناية باليتيم والأرامل والفقراء والمساكين ومن في حكمهم إقامة المجتمع الأمثل في الأرض بتأليف قلوب النّاس في المجتمع الواحد، وبث روح رعاية القادرين للمحتاجين، للارتقاء بالعلاقات الإنسانية في المجتمع، ولتعزيز الأمن والسلامة فيه، ففي العموم إذا لم يجد الإنسان المحتاج غير القادر على سد حاجته بنفسه من يسد عِوَزه بطيب نفس، سلك مختلف الطرق غير المشروعة لسد حاجته ليعيش، ومن هذه الثغرة تنشأ المشاكل والانحرافات واستغلال ذوي الحاجة في المجتمعات، ولذلك حضّ الله تعالى إطعام المساكين وتوعد من يُعرض عن ذلك، ولذلك تجد أنّ المجتمعات المسلمة الملتزمة بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ أكثر أمنًا وسلامًا من غيرها.

ثمّ قال تعالى:{ فَوَيۡلٞ} وعذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة{ لِّلۡمُصَلِّينَ} المكذّبين بيوم الدين، ثمّ عرّفهم تعالى قائلًا:{ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ} عن أدائها إلّا نفاقا وهي صفتهم الرابعة، أمّا الصفة الخامسة{ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ} بصلاتهم وأعمالهم لتكذيبهم بالإيمان، وصفتهم السادسة{ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ} عن المحتاجين ومن في حكمهم كقوله تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا}﴿١٤٢﴾.

فليحذر المسلم من أعمال النفاق التي ذكرت في السورة وأعظمها التكذيب بالدين، ودعّ وطرد اليتيم، وعدم الحضّ على طعام المسكين، والمراءاة بالصلوات والأعمال، ومنع الماعون عن ذوي الحاجة.

الخلاصة: -

فضح الله تعالى المنافقين وما يخفون في قلوب بتكذيبهم بالدين، ونهرهم اليتيم، وعدم حضهم على طعام المسكين، فتوعدهم تعالى بويل في جهنّم فهم الذين هم يراءون بصلاتهم ويمنعون الماعون عن المحتاجين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكوثر ترتيبها (١٠٨) آياتها (٣)

(١–٣) بشارة الرسول ﷺ بالخير العظيم الكثير والأمر بشكر النعم.

إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣

يعظِّم الله تعالى شأنه وذاته قائلًا:{ إِنَّآ} مالك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، مُبَشِّرًا رسوله ﷺ قائلًا{ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ} والكوثر كما جاء في قاموس لسان العرب الكثير من الشيء، وعظمة العطاء بقدر عظمة المعطي، ولمّا كان المعطي هو الله تعالى فعطاؤه من عِظَم عَظَمته سبحانه وتعالى، والكوثر هو نهر جارٍ في الجنّة لما ورد في مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري كذا على وجه الأرض، حافتاه قباب اللؤلؤ، ليس مشفوفا، فضربت بيدي إلى تربته فإذا مِسكةٌ ذَفِرَةٌ، وإذا حصاه اللؤلؤ"، والذَفِرَة هي شدّة ذكاء الريح من طيب أو نتن كما جاء في قاموس لسان العرب، ومِسكَة ذفرة أي ريحها مسك طيب شديد الذكاوة.

ولما ورد في مسند الإمام أحمد أن أنس بن مالك الأنصاري (رلع) أخبره: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ فقال رسول الله ﷺ هو

نهر أعطانِيهُ اللهُ في الجنة، أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزُر، فقال عمر بن الخطاب (رلع): إنها لناعمة يا رسول الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: أُكُلُها أنعم منها" وناعمة أي مترفة حسنة العيش والغذاء كما ورد في قاموس لسان العرب، وروى الإمام أحمد بن حنبل" أكلتها أنعم منها"، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رلع) عن النبيّ ﷺ قال:" أنا سيّد ولد آدم، وأوّل من ينشق عنه القبر، وأوّل شافع، وأوّل مُشفَّع".

وبشّره الله تعالى أن يكون نصف أهل الجنّة من أمّته لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدالله بن مسعود (رلع) قال بينما رسول الله ﷺ مضيفٌ ظهرهُ إلى قبةٍ(مُسنِد ظهره إلى خيمة) من أدمٍ يمانٍ(جلد يماني) إذ قال لأصحابه:" أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا بلى، قال: أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال فوالذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة".

كما وله ﷺ الخير الكثير في الدنيا قبل الآخرة فجعل الله تعالى أمّته خير الأمم لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...}﴿١١٠﴾ ولما ورد في مسند الإمام أحمد وغيره عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده

(رلع) قال: سمعت نبيّ الله ﷺ يقول:" ألا إنَّكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله- عزّ وجلّ-".

ومما أعطاه الله من شرف في الدنيا أن أخذ ميثاق النبيّن بالإيمان به ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ}﴿٨١﴾.

وهو ﷺ دعوة أبو الأنبياء إبراهيم (عس) لقوله تعالى في سورة البقرة:{ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}﴿١٢٩﴾ وبشرى عيسى ابن مريم (عس) لقوله تعالى في سورة الصف:{ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ...}﴿٦﴾.

كما ونسب الله تعالى إبراهيم (عس) إلى الإسلام، وهو ﷺ أوْلى النّاس بإبراهيم (عس) ومن آمن به لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ

ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ
وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٦٨﴾.

وجعل أحكام دينه ﷺ مهيمنة على كلّ ملّة ودين، وأن يحكم في النّاس قاطبة بحكم دينه ﷺ لقوله تعالى في سورة المائدة:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ...﴾ ﴿٤٨﴾.

وغفر الله تعالى له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأتمّ نعمته عليه، وهداه إلى صراط مستقيم، وأيده بنصره لقوله تعالى في سورة الفتح:﴿ إِنَّا
فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ
نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ ﴿٣﴾.

وأنّه تعالى مستخلف الصالحين من أمته ﷺ في الأرض وممكن لهم دينه وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنا لقوله تعالى في سورة النور:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾.

ثمّ قال الله تعالى:{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ} مخلصا له الدين على كثرة تلك النِّعم، وكان ﷺ يقوم حتى تتورم قدما لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره عن المغيرة ابن شعبة (رلع) يقول: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماهُ، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورا".

ثمّ قال تعالى:{ وَٱنْحَرْ} من بهيمة الأنعام نُسُكًا وأُضحيةً، ثمّ أكّد تعالى قائلا:{ إِنَّ شَانِئَكَ} ومبغضك العاص بن وائل القائل بأن رسول الله ﷺ أبتر، أي ليس له ولد ذكر{ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ} المقطوع عن رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة وإن كان له عشرة من الأولاد الذكور، أمّا محمد رسول الله ﷺ فهو الموصول برحمة الله تعالى في الدينا والآخرة، ويُرفع اسمه ﷺ في كلّ أذان وصلاة، ويَنتَسِب له ﷺ، وبه يَلُوذ المؤمنون والمؤمنات من آدم (عس) إلى قيام الساعة ويوم القيامة.

وهو ﷺ منّة الله تعالى على المؤمنين لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ}﴿١٦٤﴾.

الخلاصة: -

يبشِّر الله تعالى رسوله ﷺ بالكوثر والخير الكثير في الدنيا والآخرة قائلا: إنّا أعطيناك نهر الكوثر في الآخرة، فصلِّ لربك فرضًا ونفلًا وانحر هديًا، إنّ شانئك ومبغضك العاص بن وائل هو الأبتر المقطوع عن رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكافرون ترتيبها (١٠٩) آياتها (٦)

(١-٦) الأمر بعبادة الله تعالى والتبرؤ من عبادة الكافرين.

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ
٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ
وَلِيَ دِينِ ٦

أمر الله تعالى رسوله محمدً ﷺ ممثلا لأمّته أن يعلن براءته التّامة من كل ما يعبده الكافرون قائلًا:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ} بالله تعالى المعاندين العاصين الممتنعين عن الإيمان استكبارًا{ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ} من أصنام وأوثان وما تشركون، ولكن أعبد الله تعالى الذي له الخلق والأمر كما قال تعالى عن نفسه في سورة النحل:{ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ
مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن
نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ
وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (٧) وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا
تَعۡلَمُونَ (٨) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ
(٩) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ
(١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ
ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى
ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٤) وَأَلۡقَىٰ فِي
ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٥) وَعَلَٰمَٰتٖۚ
وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن
تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٨) وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعۡلِنُونَ (١٩) وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
(٢٠) أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ}(٢١).

فماذا خلقت الآلهة التي تعبدون؟ وتشركون بها{ وَلَآ أَنتُمۡ} مستقبلًا{ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ} أبدًا{ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ} عاجلًا ولا آجل{ مَّا عَبَدتُّمۡ} مطلقًا{

وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ} قطعًا{ لَكُمۡ دِينُكُمۡ} القائم على الكفر بالله تعالى والإعراض عن هديه وشرائعه والصد عن دينه، فأحللتم ما حرّم من عبادة الأوثان وأبحتم الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وكفرتم بوحدانيته تعالى وتركتم عبادة الله واتباع هدية{ وَلِيَ دِينِ} الذي أوحاه إلي ربي، وتناسيتم أنّ لله تعالى سننًا أمضاها في الكافرين، فأهلك في الدنيا من كفر ولهم جهنّم بعد النشور، ونجّى من آمن في الدنيا ولهم الفوز والجنان يوم القيامة، فمن يُنجي الكافرين من بأس الله إذا نزل؟

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى المؤمنين بالتَّبرؤ مما يعبده الكافرون قائلا: قل يا أيّها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النصر ترتيبها (١١٠) آياتها (٣)

(١-٣) الإشارة إلى بشائر الانتصارات وفتح مكّة المكرمة واستتباب الأمر في جزيرة العرب.

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣

تتحدث هذه السورة عن حدثين عظيمين، الأوّل نصر الله تعالى لرسوله ﷺ والمسلمين، والذي امتد من إذنه تعالى للمسلمين بالجهاد في العام الثاني من الهجرة لقوله تعالى في سورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ}٣٩ إلى آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ وهي غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة، وهذا النصر حقٌّ على الله تعالى للمؤمنين الصالحين، والذي لا ينقطع إلى قيام الساعة، كما نصر الله تعالى الأنبياء والمرسلين على من كفر من أقوامهم، وهذا كثير جدًا في القصص القرآني من نوح إلى عيسى- عليهما وعلى نبيّنا الصلاة والسلام-، وقد امتد نصر الله تعالى للمؤمنين بعد وفاته ﷺ كما

هو معلوم ووصل الدين إلى كل قرية ومدينة عرفها المسلمون على مستوى العالم.

والحدث الثاني هو بشرى فتح مكّة المكرمة والذي كان قبل آخر تلك الغزوات، وفي نصر الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين الذين يعملون الصالحات، العابدين المخلصين الذين لا يشركون بالله تعالى شيئًا وفاء لعهد الله تعالى الذي أخذه على نفسه بالاستخلاف والتمكين في الأرض واستبدال خوفهم أمنا لقوله تعالى في سورة النّور :{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}﴿٥٥﴾.

فغزا رسول ﷺ بنفسه سبعةً وعشرون غزوة وهي، الأبْوَاء في السنة الثانية من الهجرة، ثم بُواط، ثم العشيرة من ينبع، ثم بدر الأولى طلبًا لِكَرز بن جابر، ثم بدر الكبرى التي قُتل فيها صناديد قريش وأشرافها، ثم بني سُلَيم، ثم السَّويق طلبًا لأبي سفيان بن حرب، ثم غطفان إلى نجد، ثم بحران وهو موضع بالحجاز، ثم أُحد، ثم حمراء الأسد، ثم بني النَّضِير، ثم ذات الرقاع من نجد، ثم بدر الأخيرة، ثم دومة الجندل، ثم المُرَيْسِيع،

ثم الخندق وهي الأحزاب والتي كانت في السنة الخامسة من الهجرة والتي قال بعدها رسول الله ﷺ: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سليمان بن صرد (رلع) قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب:" اليوم نغزوهم ولا يغزوننا" فبدأ ببني قرَيْظة، ثم بني لحيان، ثم ذي قَرد، ثم بني المُصطَلق، ثم الحديبية، ثم خيبر، ثم فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ثم حُنين، ثم الطائف، ثم غزوة تَبُوك والتي كانت آخر غزواته ﷺ في رجب من العام التاسع، وفي نفس العام والذي تلاه بايعت وفود جزيرة العرب رسول ﷺ واستتب الأمر لدين الله تعالى في الجزيرة.

يمكن تلخيص المراحل التي مرّ بها المسلمين من بعثة الرسول ﷺ إلى وفاته إلى ثلاث مراحل: -

١- المرحلة الأولى وهي فترة الصبر والمصابرة، والتي امتدت من نزول الوحي إلى تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، والتي استُضّعِف فيها المسلمون واضطُروا إلى الهجرة إلى الحبشة وكانوا أحد عشر رجلًا وأربع نسوة، وأمَّروا عليهم عثمان بن مظعون، ثم كانت الهجرة الثانية للحبشة في العام الذي يليه بعد أن بلغ المسلمين في الحبشة أن أهل مكّة أسلموا، فرجع منهم أُناس، وتبيّن أنهم لم

يسلموا، فهاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية وهاجر معهم غيرهم في العام الذي يليه، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلًا وزوجاتهم وأبنائهم، وأمر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم كانت الهجرة إلى المدينة، واستمرت ثلاثة عشر عامًا.

٢- المرحلة الثانية هي فترة السِّجال ضد المعتدين الكفار والمشركين ومنافقي المدينة المنورة بعد قيام الدولة الإسلامية فيها، حيث تجمع المسلمون وأذِن الله تعالى لهم بمحاربة المعتدين في السنة الثانية من الهجرة لقوله تعالى في سورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ}﴿٣٩﴾ حتى غزوة الأحزاب والتي امتدت لخمس سنوات، وتم خلالها تطهير المدينة المنورة من يهود المدينة المنورة.

٣- المرحلة الثالثة هي مرحلة التمكين في الأرض والظفر والظُّهور، والتي بدأ المسلمون فيها غزو من تحزّب ضدّ المسلمين في المدينة المنورة، حتى دانت جزيرة العرب للرسول ﷺ، والتي امتدت لخمس سنوات إلى وفاته ﷺ.

فبشّر الله تعالى نبيّه ورسوله محمد ﷺ بنصره قائلًا:{ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ} له ﷺ وللمسلمين حتى دانت لهم قبائل جزيرة العرب عام الوفود،

وفيه إشارة إلى قرب أجل رسول الله ﷺ بعد التمكين والاستخلاف في الأرض لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رلع) وعن أبيه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريَهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك{ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول".

فأتمّ الله تعالى وعده لرسوله ﷺ والمؤمنين بالتمكين والاستخلاف في الأرض إلى غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة وقدوم الوفود لمبايعته ﷺ وتحقق النصر{ وَٱلۡفَتۡحُ} العظيم لمكّة المكرمة ودُحر الشرك بعد أحدى وعشرين سنة من بعثته ﷺ وانتهت الهجرة إلى المدينة حيث صارت مكّة المكرمة دار إسلام.

ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رلع) وعن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:" لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا

استنفرتم فانفروا" ثمّ قال تعالى:{ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ} أي عربَ الجزيرة وغيرهم{ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا} حتى بايعت قبائل العرب رسول الله ﷺ عام الوفود{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا} وفيه إشارة إلى ما ينبغي فعله عند حصول مثل تلك النِّعم ودخول الناس في دين الله أفواجا في كلّ زمان.

وقد أتمّ الله تعالى وعده بنصر المؤمنين في عهد الخلفاء الراشدين فهُزمت دولتا الفرس والروم في عهد عمر ابن الخطاب (رلع)، ففي الخامس(٥) من رجب عام الخامس عشر(١٥) من الهجرة كانت معركة القادسية حيث هَزمت دولة الإسلام دولة الفرس بنصف الجيش، وفي الخامس عشر(١٥) من شعبان من نفس العام هَزمت دولة الإسلام دولة الروم بكامل الجيش، وفي العام السادس عشر والسابع عشر تمّ أجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب، واستمرت الانتصارات على مستوى العالم حتى وصل الإسلام إلى الصين وروسيا وغيرها من جانب، وإلى تركيا واسبانيا حتى حدود فرنسا من جانب، وإلى شمال أفريقيا وجنوبها من جانب آخر.

وستستمر الانتصارات التي بشَّر بها رسول الله ﷺ إلى دخول الإسلام كلّ بيت لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره بصيغ عن تميم الداري (رلع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ليبلغن هذا الأمر ما

بلغ الليل، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز يعز به الإسلام، أو ذِلِ ذليل يُذَلُّ به الكفر"، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سعيد بن المُسيِّب سمع أبا هريرة (رلع) عن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"، ولا يتحقق ذلك إلّا برجوع المسلمين لدينهم والتمسك به والعمل على نصر دينه كما قال تعالى في سورة محمد:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ}٧.

الخلاصة: -

بشائر الانتصارات للمؤمنين وفتح مكّة المكرمة واستتباب الأمر في جزيرة العرب، وفي السورة إشارة إلى قرب وفاته ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المسد ترتيبها (١١١) آياتها (٥)

(١-٥) الجزم بخسران أبي لهب وامرأته في الدنيا والآخرة.

تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥

عندما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإنذار عشيرته بقوله تعالى في سورة الشعراء:{ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤} جمع رسول الله ﷺ عشيرته لينذرهم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رلع) وعن أبيه أن النبيّ ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل(الصفا) فنادى يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله عزّ وجلّ تبت يدا أبي لهب إلى آخرها".

وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ وكان جوادا، وكنّاه أبوه بذلك لحسنه كما جاء في كتاب أسد الغاب، وزوجه أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكان رسول الله ﷺ قبل

البعثة زوّج ابنتيه رقيّة من عتبة وأم كلثوم من عتيبة ابني أبي لهب، فلمّا نزلت سورة المسد أمر أبو لهب ابنيه تطليق بنتي رسول الله ﷺ ففعلا.

فتزوج عثمان بن عفّان رقية وهاجرت إلى الحبشة وولدت له عبدالله وتوفي عن ست سنين بنقرة ديك في عينه، فلمّا توفيت رقيّة تزوج عثمان بن عفّان أختها أم كلثوم، وكان أبو لهب وأبو جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي ابن خلف من أشدهم على رسول الله ﷺ كما جاء في كتاب البدء والتاريخ.

وبعد هلاك أبي لهب أسلم أولاده عتيبة ومُعَتّب وابنته درّة، ومن شدّة عداوته ما ورد في مسند الإمام أحمد عن ربيعة بن عبّاد الديلي (رلع) قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يمر في فجاج ذي المجاز (أيّام الحج بمنى، وفي رواية فلا يؤذيه أحد) إلاّ أنهم يتبعونه، وقالوا: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال: ورجل أحول وضيء الوجه ذو غديرتين(ضفيرتين) يتبعه في فجاج ذي المجاز ويقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا عمّه أبو لهب" وكان أبو لهب جارًا لرسول الله ﷺ وكانت زوجته أم جميل تضع الحطب والشوك عند باب رسول الله ﷺ لتؤذيه، فأكدّ الله تعالى أنّ الخسران عليهما في الدنيا والآخرة فقال:{ تَبَّتْ} وخسرت كلتا{ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ} عمّ رسول الله ﷺ في الدنيا{ وَتَبَّ} وخسر خسرانًا عظيمًا في الآخرة.

فالهداية بيد الله تعالى يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء بعدله وحكمته وعلمه ولا يظلم ربك أحدا، فسُنن الله تعالى في أبي لهب وزوجه أم جميل وأمثالهم أن يختم الله تعالى على قلوبهم وسمعهم ويجعل على أبصارهم غشاوة لكي لا يصل نور هدايته تعالى لقلوبهم عقوبة لهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}۝٧ في الآخرة، لعلمه تعالى حقيقة ما في قلوبهم، وأن لا خير فيهم حتى لو أسمعهم لقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ}۝٢٣.

ثمّ قال تعالى:{ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ} وحسبه ونسبه وحسن منظره وشرفه ومكانته وقبيلته{ وَمَا كَسَبَ} من جود في الجاهلية، ومن سننه تعالى فيه وأمثاله أن يكون لهم خزيٌ في الدنيا وخزي في الآخرة لقوله تعالى في سورة الحج:{ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ}۝٩.

وقد أخزى الله تعالى أبو لهب في الدنيا لما ورد في تاريخ الطبري مختصرًا عن أبي رافع(إبراهيم أبو رافع وكان قبطيًا مملوكا للعباس وهبه للنبي ﷺ) قال: وكان أبو لهب عدُوّ الله قد تخلف عن بدر لرؤيا رأتها

أخته عاتكة بنت عبد المطلب(وهذا هو الخزي الأول لتخلفه عن بدر، لأنّ تخلفه عن الحرب مذمّة له) وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليالٍ رؤيا أفزعتها فقصتها على أخيها العباس واستكتمته خبرها، قالت: رأيت راكبًا على بعير له، حتى وقف بالأبطح(المكان المتسع الذي يمر فيه السيل)، ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث! قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، فمثل بعيره على الكعبة، ثم صرخ مثلها، ثم مثل بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها، ثم أخذ صخرة عظيمة وأرسلها، فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت(تفرّقت) فما بقي بيت من مكة إلا دخله فِلقَةٌ منها.

والخزي الثاني، أن كبته الله وأخزاه(بهزيمة قريش ببدر) وقال أبو رافع: ووجدنا في أنفسنا قوة وعزًا، قال: وكنت رجلا ضعيفا، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني جالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل(لبابة بنت الحارث بن حزن أم عبد الله بن العباس- رضي الله عنهم-) جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بِشَرّ، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، حتى جلس(أبو لهب) على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري،

فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هلمّ إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء، والله إن كان إلاّ أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالًا بيضًا على خيل بلق(ألوانها بياض وسواد) بين السماء والأرض، ما تليق شيئا(لا تترك شيئًا) ولا يقوم لها شيء(لا يهزمون)، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: فثاورته، فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني، فقامت أم الفضل إلى عمود من عَمَدِ الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فشجت في رأسه شجة منكرة وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده، فقام موليًا ذليلًا(وهذا الخزي الثالث حيث ضربته امرأة وشجت رأسه) فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله عز وجل بالعدسة(قرحة معدية كالطاعون وهو الخزي الرابع) فقتلته فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثًا ما يدفنانه حتى أنتن في بيته(وهو الخزي الخامس).

وكانت قريش تتقي العدسة وعدوتها كما يتقي الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تغيبانه، فقالا: إنا نخشى هذه القرحة: قال: فانطلِقا فأنا معكما، فما

غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد، ما يمسونه(وهو الخزي السادس)، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه"(هو الخزي السابع في الدنيا).

أمّا خزي الآخرة فـ{ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا} عظيمة{ ذَاتَ لَهَبٖ} عظيم لكفره وشدّة عداوته لرسول الله ﷺ والمؤمنين{ وَٱمۡرَأَتُهُۥ} أم جميل كذلك تصلى نارًا ذات لهب لكفرها وشدة عداوتها وهي{ حَمَّالَةَ} الأوزار والذنوب و{ ٱلۡحَطَبِ} والشوك تضعه عند باب بيته ﷺ، وخزي آخر أن يجعل الله تعالى{ فِي جِيدِهَا} وحول عنقها{ حَبۡلٞ} تُجرّ به في جهنم{ مِّن مَّسَدِۭ} إي من ليف جهنم أجيد فتله، وذلك أنها كانت لها قلادة من جواهر حلفت أن تنفقها في عداوة رسول الله ﷺ كما ذكر الشوكاني في كتاب فتح القدير، فيوضع في عُنقِها حبل من نار جزاء ما أنفقت في عداوتها لرسول الله ﷺ.

الخلاصة: -

يبيّن الله تعالى أنّه يخزي المحاربين لدينه في الدنيا قبل الآخرة فقال: تبّت يدا أبي لهب وتبّ، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارًا ذات لهب، وامرأته حمّالة الحطب، في جيدها وعنقها حبل من مسد جهنّم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإخلاص ترتيبها (١١٢) آياتها (٤)

(١-٤) الأمر بتوحيد الله تعالى وذكر بعض صفاته.

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤

تفرّقت البشرية عندما اجتهدت في التعرف على حقيقة خالقها واتجهت كلّ اتجاه، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، حتى عُبد كل شيء، وكان لقبائل العرب ثلاثمائة وستون(٣٦٠) صنمًا حول الكعبة، أما حال الأمم حاضرًا وماضيًا فحدث ولا حرج، فقد خالط الشرك بالله تعالى معتقدات الأمم التي أُخذ عليها العهد بالتوحيد والإيمان من قبل، كاليهود والنصارى كما ذكر تعالى في سورة التوبة فقال:{ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ}٣٠ فردَّ الله تعالى على إفكهم وكذبهم منطقًا وعقلًا نافيًا كلّ شرك عن ذاته العلية كما قال في سورة الأنعام:{ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}١٠١.

ودحض الله تعالى تعدد الآلهة فقال في سورة الإسراء:{ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا}﴿٤٢﴾ أي لتنازعت تلك الآلهة للوصول إلى المُلك والعرش كما يتنافس الملوك وأهل الصنعة الواحدة، ولتفرَّد كل إله بما خلق كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}﴿٩١﴾.

وبهذا كفّ الله تعالى عناء البشرية وردّ على كل النظريات والفلسفات وما كتب على مرّ التاريخ في هذا الشأن، والقرآن الكريم زاخر بذلك، وادِّعاء الشريك أو الولد لله تعالى من تكذيب ابن آدم لله تعالى لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رلع) عن النبيِّ ﷺ قال: قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إيّايّ فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كُفئا أحد".

فقال تعالى:{ قُلۡ} أي وقولوا وبينوا للنّاس{ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} ليس كمثله شيء ولم يزل وحده ولم يكن معه أحد، والأحد من أسماء الله تعالى وهو الوتر، والمُفرد في العبودية، وهو اسم لنفي ما يذكر معه من العدد كما

جاء في قاموس لسان العرب. ثمّ أكّد تعالى قائلًا:{ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ} أي المقصود والمعتمد من كلِّ خلقه، وصاحب الأمر، الذي ليس فيه خور ولا ضعف، وليس له ساقطة ولا استعطاف ولا انكسار، والمطاع الذي لا يُقضى أمر في السماوات ولا في الأرض دونه، والصامد المستجيب لحاجات عباده وخلقه في الكون كلّه، ولا يعجزه شيء، الدائم الباقي، الذي ليس فوقه أحد، ولا يَستَغني عنه شيء، والصلب الشديد كما ورد في قاموس لسان العرب، الذي{ لَمۡ يَلِدۡ } أحدًا أبدًا، وخلق كلّ شيء{ وَلَمۡ يُولَدۡ} له شيء{ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ} ولا نظير ولا مثيل ولا ند ولا شبيه ولا مساوي.

وسورة الإخلاص لها فضائل عدة لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره بصيغ عن أنس ابن مالك (رلع) كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلّما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبيّ ﷺ أخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به

أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها، فقال: حُبُك إيّاها أدخلك الجنة".

وهي صفة الرحمن لما ورد في صحيح الإمام البخاري وغيره عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- أن النبيّ ﷺ بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبيّ ﷺ: أخبروه أن الله يحبه".

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لما ورد في موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري وغيره بصيغ عن أبي سعيد الخدري (رلع) أن رجلا سمع رجلا يقرأ: قل هو الله أحد، يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال رسول الله ﷺ:" والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن".

قال المفسرون أن القرآن كله يشتمل على ثلاثة أشياء، الأول توحيد الله وذكر صفاته، والثاني: تكاليف الشرع من الأمر والنهي، والثالث: قصص الأنبياء والمواعظ. وكان رسول الله ﷺ يتعوذ بها في كل ليلة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-

أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى بتوحيده قائلا: قل هو الله أحد، الله الصّمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفلق ترتيبها (١١٣) آياتها (٥)

(١–٥) الأمر بالتعوذ من شر ما خلق تعالى ومن الغواسق والنفاثات والحاسدين.

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

ذكر في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل وغير أنّ سورة الفلق والنّاس نزلتا بعد أن سُحر رسول الله ﷺ في مشط ومشاطة من شعره، أخذها غلام يهودي كان يخدم رسول الله ﷺ دسّت في بئر لبني زريق يقال لها بئر ذروان فتعوّذ ﷺ بهما(الفلق والنّاس) لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– قالت: سَحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنّه دعا ودعا، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما: لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال:

مطبوب، قال: من طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجُفِّ طلع نخلةٍ ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أُثوِّر على الناس فيه شرا، فأمر بها فدفنت".

وهذه الحادثة كانت بالمدينة المنورة بالإجماع فالأرجح أن تكون سورة الفلق والنّاس مَدَنِيّتان، فقال تعالى:{ قُلۡ أَعُوذُ} أي ألوذُ وألجأ وأعتصم وأمتنع وأستجير كما جاء في قاموس لسان العرب وغيره{ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ} والفلق هو الشق والفطر والفتق، أي رب جميع الخلق، لأن الله تعالى جعل الانفلاق خاصية خلقه، ومنه انفلاق الخليّة الواحدة وانشطارها إلى خليتين لتكبر الأجسام في المخلوقات سواء الإنسان والحيوان والنبات وغيره كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ}﴿٩٥﴾ فأمر الله تعالى بالتعوذ{ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} في السماوات وفي الأرض وما بينهما، مما يُعلم ولا يُعلم.

ثمّ خصّ ثلاثة أمور لعظم شرّها، الأوّل{ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ} أي من الشرور التي تأتي مع الليل وشدة الظلمة{ إِذَا وَقَبَ} أي إذا حلّ، وكان رسول الله ﷺ يأمر إذا جنح الليل كفّ الصبيان عن اللهو ونحوه لساعة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن جابر بن عبدالله (رلع) وعن أبيه يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا كان جُنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا(شدوا أفواه) قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصابيحكم".

وغسّاق كالغاسق ويعني الشدَّة سواء في النتن أو الحمرة أو البرد أو غيره كما جاء في قاموس لسان العرب، لقوله تعالى في سورة ص:{ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ}٥٨ ولقوله تعالى في سورة النبأ:{ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا}٢٥ وكل شيء فيه شدة فهو غاسق كالداء العضال أو وباء أو جائحة أو زلزال أو إعصار ونحوه ذا حلّ ووقب.

والثاني{ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ} السواحر التي تنفث السحر أو الشر{ فِي ٱلۡعُقَدِ} ومنه نفث الشيطان لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره

عن نافع بن جبير بن مُطعِم عن أبيه- رضي الله عنهم- قال: سمعت النبيَّ ﷺ حين افتتح الصلاة قال: الله أكبر كبيرا ثلاثًا، الحمد لله كثيرا ثلاثًا، سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثًا، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه"، والحيّة تنفث السم، والجرح ينفث الدم كما جاء في قاموس لسان العرب.

أمّا الشر الثالث{ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ} يتمنى تحول نعمة المحسود عنه{ إِذَا حَسَدَ} لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن جابر بن عبدالله (رلع) وعن أبيه أنّ رسول الله ﷺ اشتكى فاتاه جبريل فقال:" بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين اللهُ يشفيك"، أمّا الغِبطة فهي تمني نعمة كما هي لغيره.

ومن فضل سورة الفلق والنّاس أنّ رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهما في كل ليلة، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات".

الخلاصة: -

بأمر الله تعالى بالتّعوُذ به تعالى من شرٍّ ما خلق، ومن شرٍّ غاسقٍ إذا وقب، ومن شرٍّ النفّاثات في العقد، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الناس ترتيبها (١١٤) آياتها (٦)

(١-٦) الأمر بالتعوذ برب الناس من شر الوسواس الخناس ومن الجنة والناس.

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦

خصّ الله تعالى سورة النّاس للتّعوذ من شرّ الجِنَّةِ والناس لأثرهما الكبير على الناس، وفتنة الجِنّ أعظم من فتنة النّاس، حيث أنّهم لا يُرَون لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧}.

والشيطان بيِّن العداوة للناس لقوله تعالى في سورة الزخرف:{ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ}٦٢ وقد أخذ العهد على نفسه بإضلال النّاس لقوله تعالى في سورة النساء:{ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ

عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا}﴿١٢٠﴾.

والشيطان لعنه الله يجري من ابن آدم مجرى الدم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين صفية بنت حُيَي قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته ثم قمت فانقلبت(أي إلى داري) فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمرّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبيّ ﷺ أسرعا، فقال النبيّ ﷺ على رسلكما إنها صفية بنت حُيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا أو قال: شيئًا".

أمّا الفتنة الثانية على الناس فمن النّاس كأصحاب السوء لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ}﴿٢٠٦﴾ ولذا لا يجوز

مصاحبتهم، لأنّ الصاحب ساحب كما قيل، إمّا إلى الخير أو إلى الشر، وأمر الرسول ﷺ بالنظر في النّاس قبل مصاحبتهم لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل وغيره بصيغ عن أبي هريرة (رلع) قال: قال: رسول الله ﷺ:" المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل".

فأمر الله تعالى بالتعوذ منهما فقال تعالى:{ قُلۡ أَعُوذُ} أي ألوذُ وألجأ وأعتصم وأمتنع وأستجير كما جاء في قاموس لسان العرب وغيره{ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ} والرب هو المالك والسيد والمدبِّر والمربِّي والقيِّم على شؤن خلقه، والمُنعم، والحافظ والراعي.

وهو تعالى{ مَلِكِ ٱلنَّاسِ} و{ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ} وإله كل شيء، والمستحق للعبودية والواجب له الخضوع والتذلل في كل ما أمر ونهى{ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ} الذي يلهيهم عن عبادتهم وأمور دينهم لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن عثمان بن أبى العاص (رلع) أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذاك شيطان يقال له خَنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثًا، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني".

ثمّ عرّف الله تعالى فعله فقال:{ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ} من حديث نفس أو غيره{ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ} وكان رسول الله ﷺ يتعوذ بسورة الفلق والنّاس كل ليلة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات".

فقراءة السورة الإخلاص والفلق والنّاس في كل ليله لأنّ سورة الإخلاص هي تمام التوحيد للواحد الأحد الذي يتعوّذ به من شرِّ ما خلق، ومن شرّ غاسق إذا وقب، ومن شرِّ النفاثات في العقد، ومن شرِّ حاسد إذا حسد، وفي سورة النّاس يتعوّذ به تعالى من شرِّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور النّاس من الجِنّة والنّاس، نسأل الله العلي القدير أن يعيذنا من كلّ ما ذُكر آمين.

الخلاصة: -

يأمر الله تعالى بالتعوذ به تعالى فهو ربَّ الناس ومَلِك النّاس، وإله النّاس، من شرِّ الوسواس الخنّاس، الذي يوسوس في صدور النّاس، من الجِّنةِ والنّاس.